كتاب

الأربعين في أصول الدين

في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق

تأليف

الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

[illegible]

[illegible]

عبد الله عبد الحميد عرواني

[illegible]

محمد بشير الشقفة

بسم الله الرحمن الرحیم

الاربعين فى اصول الدين

کاتب:

ابى حامد محمد بن محمد بن محمد غزالى

نشرت فى الطباعة:

دارلكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوتريه

الفهرس

الاربعین فی اصول الدین

اشارة

سرشناسه : غزالی، محمد بن محمد، ق۵۰۵ – ۴۵۰ عنوان و نام پدیدآور : ...الاربعین فی اصول الدین/ ابی حامد محمد بن محمد بن محمـد غزالی مشـخصات نشـر : بیروت : دارالکتـب العلمیـة ، م۱۹۸۸ = .ق۱۴۰۹ = .۱۳۶۷. مشـخصات ظـاهری : ص ۱۹۲ وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی موضوع : اخلاق اسلامی -- متون قدیمی تا قرن ۱۴ موضوع : اسلام -- عقاید رده بندی کنگره : BP۲۴۷/۳۵/غ۴الف۴ شماره کتابشناسی ملی : م۸۰-۳۷۷۲۶

المقدّمة

المقدّمـة بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه رب العالمین و الصـلاة و السـلام علی محمد و آله أجمعین. «أما بعد» و لعلک تقول هذه الآیات التی أوردتها فی القسم الثانی «۱» تشـتمل علی أصناف مختلفة من العلوم و الأعمال، فهل یمکن تمییز مقاصدها و شرح جملها علی وجه من التفصـیل و التحصـیل یمکن التفکر فی کـل واحـدة منهـا علی حیالهـا لیعلم الإنسـان تفصـیل أبواب السـعادة فی العلم و العمل، و یتیسـر علیه تحصیل مفاتیحها بالمجاهدة و التفکیر؟ «فأقول» نعم ذلک یمکن، فإنه ینقسم جمل مقاصدها إلی علوم و أعمال، و الأعمال تنقسم إلی ظاهرة و باطنـة، و الباطنـة تنقسم إلی تزکیـة و تحلیـة؛ فهی أربعـة أقسام: علوم و أعمال ظاهرة، و أخلاق مذمومة تجب التزکیـة عنهـا، و أخلاـق محمودة تجب التحلیـة بهـا. و کل قسم یرجع إلی عشـرة أصول. و اسم هـذا القسم: کتاب الأربعین فی أصول الدین. فمن شاء أن یکتبه مفردا فلیکتب فإنه یشتمل علی زبدة علوم القرآن. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵

القسم الأول فی جمل العلوم و أصولها و هی عشرة

الأصل الأوّل فی الذات

الأصل الأوّل فی الـذات: فنقول: الحمد للّه الذی تعرف إلی عباده بکتابه المنزل، علی لسان نبیه المرسل، بأنه فی ذاته واحد لا شـریک له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، متوحد لا ند له؛ و أنه قدیم لا أوّل له، أزلی لا بدایة له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدیّ لا نهایة له، قیوم لا انقطاع له، دائم لا انصـرام له؛ لم یزل و لا یزال موصوفا بنعوت الجلال، لا یقضـی علیه بالانقضاء و الانفصال، و بتصرم الآماد و انقضاء الآجال؛ بل هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، و هو بکل شیء علیم.

الأصل الثانی فی التقدیس

الأصـل الثـانی فی التقـدیس: و أنه لیس بجسم مصور، و لاـ جوهر محـدود مقـدر، و أنه لا یماثل الأجسام لا فی التقـدیر و لا فی قبول الانقسـام، و أنه لیس بجوهر و لاـ تحله الجواهر، و لاـ بعرض و لاـ تحله الأـعراض؛ بـل لاـ یماثـل موجودا، و لا یماثله موجود، و لیس کمثله شـیء و لا هو مثل شـیء، و أنه لا یحده المقدار، و لا تحویه الأقطار، و لا تحیط به الجهات، و لا تکتنفه السـموات، و أنه مسـتو علی العرش علی الوجه الـذی قـاله، و بـالمعنی الـذی أراده، اسـتواء منزّها عن المماسّـة و الاسـتقرار، و التمکن و التحول و الانتقال؛ لا یحمله العرش، بل العرش و حملته محمولون بلطف قدرته، و مقهورون فی قبضـته؛ و هو فوق العرش و فوق کل شیء إلی تخوم الثری فوقیـة لا تزیده قربا إلی العرش و السـماء، بل هو رفیع الدرجات علی العرش، کما أنه رفیع الدرجات علی الثری، و هو مع ذلک قریب من کل موجود، و هو أقرب إلی العبید من حبل الورید، و هو علی کل شـیء شهید، إذ لا یماثل قربه قرب الأجسام، کما لا یماثل ذاته

ذات الأجسام؛ و أنه لا يحل فی شـیء، و لا يحل فيه شـیء؛ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶ تعالی عن أن يحويه مكان، كما تقـدس عن أن يحدّه زمـان؛ بـل كـان قبـل أن خلق الزمـان و المكـان، و هو الآن على ما عليه كان. و أنه باين بصـفاته من خلقه ليس فی ذاته سواه، و لا فی سواه ذاته. و أنه مقدس عن التغيير و الانتقال، لا تحله الحوادث، و لا تعتريه العوارض، بل لا يزال فی نعوت جلاله منزها عن الزوال، و فی صـفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال. و أنه فی ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئیّ الذات بالأبصار، نعمة منه و لطفا بالأبرار فی دار القرار، و إتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

الأصل الثالث فی القدرة

الأصل الثالث فی القدرة: و أنه حیّ قادر جبار قاهر، لا يعتريه قصور و لا عجز، و لا تأخذه سـنة و لا نوم، و لا يعارضه فناء و لا موت. و أنه ذو الملك و الملكوت، و العزة و الجبروت، له القـدرة و السـلطان و القهر، و الخلق و الأمر، و السـموات مطويات بيمينه، و الخلائق مقهورون فی قبضته. و أنه المتفرد بالخلق و الاختراع، المتوحد بالإيجاد و الإبداع؛ خلق الخلق و أعمالهم، و قدّر أرزاقهم و آجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، و لا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصی مقدوراته و لا تتناهی معلوماته.

الأصل الرابع فی العلم

الأصـل الرابع فی العلم: و أنه عـالم بجميع المعلومـات، محيـط بمـا يجری فی تخوم الأرضـين إلى أعلی السـموات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فی الأرض و لا فی السـماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء، على الصـخرة الصماء، فی الليلة الظلماء، و يدرك حركة الذر فی جوّ الهواء، و يعلم السر و أخفی، و يطلع على هواجس الضمائر و حركات الخواطر و خفيات السرائر، بعلم قديم أزلی، لم يزل موصوفا به فی أزل الآزال، لا يعلم متجدد حاصل فی ذاته بالتحوّل و الانتقال.

الأصل الخامس فی الإرادة

الأصـل الخـامس فی الإرادة: و أنه مريـد للكائنات، مـدبر للحادثات، فلا يجری فی الملك و الملكوت قليل و لا كثير، و لا صـغير و لا كبير، خير أو شـر، نفع أو ضـر، إيمـان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسـر، زيادة أو نقصان، طاعـة أو عصـيان، إلا بقضائه و قـدره، و حكمه و مشيئته؛ فما شاء كان، و ما لم يشأ لم يكن. لا يخرج عن مشـيئته لفتـة ناظر و لا فلتـة خاطر؛ بل هو المبـدئ المعيد، الفعّال لما يريـد، لا رادّ لحكمه، و لا معقب لقضائه، و لا مهرب لعبد عن الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷ معصيته إلا بتوفيقه و رحمته، و لا قوة له على طـاعته إلا بمعونته و إرادته. لو اجتمع الإنس و الجن و الملائكـة و الشـياطين، على أن يحركوا فی العالم ذرة أو يسـكّنوها دون إرادته و مشـيئته عجزوا عن ذلك. و أن إرادته قائمة بذاته فی جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفا بها، مريدا فی أزله لوجود الأشياء فی أوقاتهـا التی قـدرها، فوجـدت فی أوقاتهـا كما أراده فی أزله، من غير تقـدم و لا تأخر، بل وقعت على وفق علمه و إرادته، من غير تبـدل و لا تغير. دبّر الأمور بلا ترتيب أفكار، و تربص زمان، فلـذلك لا يشـغله شأن عن شان. اعلم أن هـذا المقام مزلـة الأقدام، و لقد زلت فيه أقـدام الأكثرين، لأن تمام تحقيقه مسـتمدّ من تيّار بحر عظيم وراء التوحيد، و هم يطلبونه بالبحث و الجدال؛ و لقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «ما ضلّ قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدال» و يستدلون بآيات القرآن مؤولين و ليسوا من أهل التأويل، و لو نال كل واحـد مقام التأويل، لما قال صـلى اللّه عليه و سـلم داعيا لابن عباس- رضـی اللّه عنهما-: «اللهم فقهه فی الدين و علمه التأويل»، و لما قال يعقوب ليوسف- على نبينا و عليهما السـلام- «كذلك يجتبيك ربّك و يعلّمك من تأويل الأحاديث». قال صاحب «الكشاف» فی تفسـيرها: يعنی معانی كتب اللّه، و سـنن الأنبياء- عليهم السـلام- و ما غمض و اشـتبه على الناس من أغراضـها و مقاصدها تفسرها لهم و تشـرحها، و تـدلهم على مودعـات حكمها. و إنما زلت أقـدام الأكثرين فی هـذا المقام، لأنهم يتبعون الـذين يتبعون ما تشابه منه

ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله، و ما يعلم تأويله إلا ـ اللّه و الراسخون فى العلم؛ و هؤلاء ليسوا براسخين فيه، بل هم قاصرون عاجزون؛ فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا الأمر، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمراته بلجام المنع مع سائر القاصرين، فقيل لهم اسكتوا، فما لهذا خلقتم، لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳] عن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- أنه قال: خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و نحن نتنازع فى القدر، فغضب- عليه السلام- حتى احمرّ وجهه الشريف، فقال: «أ بهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم، حين تنازعوا فى هذا الأمر؛ عزمت عليكم، عزمت عليكم فى هذا الأمر أن لا تنازعوا فيه». و عن أبى جعفر قال: قلت ليونس بن عبيد: مررت بقوم يختصمون فى القدر، فقال: لو همّتهم ذنوبهم ما اختصموا فى القدر، و امتلأ مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور اللّه، و كان زيتهم صافيا حتى يكاد يضىء و لو لم تمسسه نار، فاشتعل نورا على نور، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸ فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها، فأدركوا الأمور كما هى عليه؛ فقيل لهم: تأدبوا بآداب اللّه و اسكتوا، و إذا ذكر القدر فأمسكوا! فلذلك أمسك عمر لما سئل عن القدر، فقال للسائل: بحر عميق لا تلجه؛ و لما كرر السؤال قال: طريق مظلم لا تسلكه؛ و لما كرر ثالثا قال: سر اللّه قد خفى عليك فلا تفتشه. و من أراد معرفة أسرار الملكوت فليلازم بابهم بالمحبة و الإخلاص و الصدق و الإعراض عن عدائهم، و الامتثال بأوامرهم و السعى فيما يرضيهم، و كذلك من أحب معرفة أسرار الربوبية، فليلازم باب اللّه عز و جل بالمحبة، و الإخلاص، و الصدق و التعظيم، و الحياء و الامتثال بالأوامر، و الانتهاء عن المعاصى، و المجاهدة و الإقبال بكنه الهمة، و التعرض لنفحاته لقوله- عليه السلام- «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها» و السعى فيما يرضى و إن لم يطق ذلك فعليه أن يعتقد فى هذا البحث ما عليه أبو حنيفة- رحمه اللّه- و أصحابه، حيث قالوا: إحداث الاستطاعة فى العبد فعل اللّه، و استعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا. و القدرية أنكروا قضاء اللّه و رأوا الخير و الشر من أنفسهم. أرادوا بذلك تنزيه اللّه عن الظلم و فعل القبيح، و لكنهم ضلوا إذ نسبوا العجز إلى اللّه تعالى فى ضمن ذلك، و لم يدروا. و الجبرية اعتمدوا على القضاء، و رأوا الخير و الشر من اللّه، و لم يروا من أنفسهم فعلا، كما لم يروا من الجمادات؛ أرادوا بذلك تنزيه اللّه تعالى عن العجز فضلّوا، إذ نسبوا الظلم إليه تعالى فى ضمن ذلك؛ و أضلوا سفهاءهم، فكانوا يعصون اللّه و ينسبون إلى اللّه، و يبرءون أنفسهم عن الذم و اللوم كالشيطان حيث قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [الأعراف: ۱۶]. فالحاصل أن القدرية أثبتوا الاختيار الكلى للعبد فى جميع أفعال العباد، و أنكروا قضاء اللّه تعالى و قدره بالكلية فى الأفعال الاختيارية. و الجبرية نفوا الاختيار بالكلية فى أفعال العباد، و اعتمدوا على القضاء و القدر؛ فينبغى للباحث معهم أن يضربهم، و يمزق ثيابهم و عمائمهم و يخدش وجوههم، و ينتف أشعارهم و شواربهم و لحاهم، و يعتذر بما اعتذر هؤلاء السفهاء فى سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم. و المعتزلة أضافوا الشر فقط إلى أنفسهم، و أثبتوا لأنفسهم الاختيار الكلى تحرزا عن نسبة القبح و الظلم إلى اللّه، و لكن نسبوا إلى اللّه العجز فى ضمن ذلك و لم يدروا، فتعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا. و أما أهل السنة و الجماعة، فتوسطوا بينهم، فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹ بالكلية، و لم ينفوا القضاء و القدر عن اللّه تعالى بالكلية، بل قالوا: أفعال العباد من اللّه من وجه، و من العبد من وجه. و للعبد اختيار فى إيجاد أفعاله. و اعلم أن قضاء اللّه تعالى على أربعة أوجه: قضاء الطاعات، و قضاء المعاصى، و قضاء النعم، و قضاء الشدائد. و المذهب المستقيم فى ذلك، إذا قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد و الإخلاص حتى يكرمه اللّه بالتوفيق و الهداية لقوله تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [العنكبوت: ۶۹]. يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا و فى ديننا لنوفقنهم لذلك. و إذا قضى المعصية، فعليه أن يستقبله بالاستغفار و التوبة و الندامة من صميم الفؤاد، لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ۲۲۲]. و إذا قضى النعمة، فعليه أن يستقبله بالشكر و السخاء حتى يكرمه بالزيادة، لقوله تعالى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم: ۷]. و إذا قضى الشدة، فعليه أن يستقبله بالصبر و الرضاء حتى يعطيه الكرامة فى الدار الآخرة، لقوله تعالى: «إن اللّه يحبّ الصّابرين» «۱» و قال: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ [الزمر: ۱۰]. و ذكر الفاضل الإمام مولانا علاء الدين فى شرحه للمصابيح: «الفرق بين القضاء و القدر، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ، إجمالا ـ لا ـ تفصيلا، و القدر هو تفصيل قضائه السابق

بإيجادها فى المواد الخارجية واحدا بعد واحد. و قيل القضاء هو الإرادة الأزلية، و العناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، و القدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها الخاصة. ثم إن المسلمين فى القدر على اختلاف: منهم من ذهب إلى أن كلّ ما يجرى فى العالم من الخير و الشرّ و الأفعال و الأقوال بقضاء اللّه و قدره، و لا اختيار للعباد فيه، و يسمى هذا القوم جبرية. و الجبر هو القهر و الإكراه؛ فيقولون: أجبر اللّه عباده على أقوالهم و أفعالهم من غير اختيار منهم فيها؛ و يزعمون أن إضافتها إليهم إضافتها إلى الجمادات؛ فى مثل قولنا: دارت الرحا و جرى الميزاب. و هذا المذهب باطل؛ لأنهم قالوا هذا القول ليسقطوا من أنفسهم التكاليف، و شبهوا أنفسهم بالصبيان و المجانين فى عدم جريان الخطاب بهم، فقد كفروا؛ لأن مذهبهم يفضى إلى إبطال الكتب و الرسل. و إن قالوا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰ ذلك لتعظيم اللّه و تحقير أنفسهم و عجزهم عن دفع قضاء اللّه، فهم مبتدعون لمخالفتهم الإجماع. و منهم من ذهب إلى أن كل ما يصدر عن العباد عقيب قصدهم و إرادتهم يكون واقعا بقدرتهم و اختيارهم، و لا يتعلق بها بخصوصها قدرة اللّه و إرادته، و يسمّى هؤلاء قدرية لنفيهم القدر لا لإثباتهم. و هذا المذهب أيضا باطل؛ لأنهم إن قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز العجز عن التقدير للّه تعالى، فهم كافرون، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا؛ و إن قالوا عن خطأ اجتهاداتهم و تنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة و خلقها فهم مبتدعون لمخالفتهم الإجماع. و من هذه الطائفة من يقول: الخير بتقدير اللّه. و الشر ليس بتقديره. و المذهب الحق هو أن المؤثر مجموع القدرتين: قدرة اللّه و قدرة العباد، فالأفعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء اللّه و قدره، و لكن للعباد اختيار، فالتقدير من اللّه، و الكسب من العباد، و هذا المذهب وسط بين الجبر و القدر، و عليه أهل السنة و الجماعة». انتهى كلامه. و ذكرنا فى كتاب «المقصد الأقصى» تدبير رب الأرباب و مسبب الأسباب، أصل وضع الأسباب، ليتوجه إلى المسببات حكمه، و نصبه الأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول و لا تحول كالأرض و السموات السبع و الكواكب و الأفلاك، و حركاتها المتناسبة الدائمة التى لا تتغير و لا تنعدم، إلى أن يبلغ الكتاب أجله و قضاؤه، كما قال: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصلت: ۱۲]. و توجيهه هذه الأسباب- بحركاته المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى مسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة- قدره. فالحكم هو التدبير الأول الكلى، و الأمر الأزلى هو كلمح البصر. و القضاء هو الوضع الكلىّ للأسباب الكلية الدائمة. و القدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدّرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد و لا ينقص؛ و لذلك لا يخرج شىء عن قضائه و قدره. و لا تفهم ذلك إلا بمثال؛ و لعلك شاهدت صندوق الساعات التى بها تتعرف أوقات الصّلوات و إن لم تشاهده، فجملة ذلك أنه لا بدّ فيه من آلة على شكل أسطوانة تحوى مقدارا من الماء معلوما، و آلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء، و خيط الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱ مشدود أحد طرفيه فى هذه الآلة المجوفة، و طرفه الآخر فى أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة، و فيه كرة و تحته طاس، بحيث لو سقطت الكرة وقعت فى الطاس و سمع طنينها، ثم تثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء، منه قليلا قليلا، فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذى فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس إلى أن ينتكس، فتتدحرج منه الكرة و تقع فى الطاس و تطنّ، و عند انقضاء كلّ ساعة تقع واحدة؛ و إنما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء و انخفاضه، و ذلك بتقدير سعة الثقب الذى يخرج منه الماء، و يعرف ذلك بطريق الحساب؛ فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم، بسبب تقدير سعة الثّقبة بقدر معلوم، و يكون انخفاض أعلى الماء بذلك المقدار و به يتقدر، و انخفاض الآلة المجوفة و انجرار الخيط بها المشدود، و تولد الحركة فى الظرف الذى فيه الكرة؛ و كل ذلك يتقدر بتقدّر سببه، و لا يزيد لا ينقص. و يمكن أن يجعل وقوع الكرة فى الطاس سببا لحركة أخرى، و تكون الحركة الأخرى سببا لحركة ثالثة، و هكذا إلى درجات كثيرة، حتى تتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة، و سببها الأول نزول الماء بقدر معلوم. فإذا تصورت هذه الصورة، فاعلم أن واضعها يحتاج إلى ثلاثة أمور: أوّلها التدبير، و هو الحكم بأنه ما الذى ينبغى أن يكون من الآلات و الأسباب و الحركات حتى يؤدى إلى حصول ما ينبغى أن يحصل؛ و ذلك هو الحكم. و الثانى إيجاد هذه الآلات التى هى الأصول، و هى الآلة الأسطوانية لتحوى الماء، و

الآلـة المجوفـة لتوضع على وجه المـاء، و الخيـط المشـدود بهـا، و الظرف الـذى فيه الكرة و الطـاس الـذى تقع فيه الكرة؛ و ذلـك هو القضاء. الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة، و هو ثقب أسـفل الآلة ثقبة مقدرة السّعة، ليحدث بنزول الماء منها حركـة فى المـاء تؤدى إلى حركـة وجه المـاء بنزوله، ثم إلى حركـة الآلـة المجوفـة الموضوعـة على وجه المـاء بنزوله، ثم إلى حركة الخيط، ثم إلى حركة الظرف الذى فيه الكرة، ثم إلى حركة الكرة، ثم إلى الصدمة بالطاس- إذا وقع- ثم إلى الطنين الحاصل منها، ثم إلى تنبيه الحاضـرين و استماعهم، ثم إلى حركاتهم فى الاشتغال بالصلوات و الأعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة؛ و كل ذلك يكون بقدر معلوم و مقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى، و هى حركة الماء. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲ فإذا فهمت أن هـذه الآلات أصول لابـد منها للحركة، و أن الحركة لابد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها، فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التى لا يتقـدم منها شـىء و لا يتأخر؛ إذا جاء أجلهم، أى حضـر سـببها. و كل ذلك بمقـدار معلوم أن اللّه بالغ أمره قـد جعل اللّه لكل شىء قـدرا. فالسـموات و الأفلاـك و الكواكب و الأرض و البحر و الهواء، و هـذه الأجسام العظام فى العالم كتلك الآلات، و السـبب المحرك للأفلاـك و الكواكب و الشـمس و القمر بحسـاب معلوم، كتلـك الثقبـة الموجبـة لنزول المـاء بقـدر معلوم، و إفضـاء حركة الشـمس و القمر و الكواكب إلى حصول الحوادث فى الأرض، كإفضاء حركة الماء إلى حصول تلك الحركات المفضـية إلى سقوط الكرة المعرّفـة لانقضـاء الساعـة. و مثـال تـداعى حركـات السـماء الى تغيير الأـرض، هـو أن الشـمس بحركتهـا إذا بلغت إلى المشـرق فاسـتضاء العـالم، و تيسـر على النـاس الإبصـار، فيتيسـر عليهم الانتشـار فى الاشـتغال؛ فإذا بلغ المغرب تعـذر عليهم ذلك، فيرجعوا إلى المسـاكن. و إذا قربت من وسـط السـماء و سامتت «۱» رؤوس أهـل الأقـاليم حمى الهواء و اشـتد القيـظ و حصل نضـج الفواكه، و إذا بعـدت حصـل الشـتاء و اشـتد البـرد، و إذا توسـطت حصـل الاعتـدال فظهر الربيـع، و أنبتـت الأـرض و ظهرت الخضـرة؛ و قس بهـذه للمشـهورات التى تعرفها و الغرائب التى لا تعرفها. فاختلاف هـذه الفصول كلها مقـدرة بقـدر معلوم، لأنها منوطـة بحركات الشـمس و القمر، و الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْـبانٍ [الرحمـن: ۵]، أى حركتهما بحساب معلوم. فهـذا هو التقـدير. و وضع الأسـباب الكلية هو القضاء. و التدبير الأول الذى هو كلمح البصـر، هو الحكم. و كما أن حركة الآلة و الخيط و الكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة، بل ذلك هو الـذى أراد بوضع الآلـة فكـذلك كل ما يحدث فى العالم من الحوادث، شـرها و خيرها، نفعها و ضـرها، غير خارج عن مشـيئة اللّه تعالى، بل ذلك مراد اللّه تعالى و لأجله دبر أسـبابه. و تفهيم الأمور الإلهيـة بالأمثلـة العرفيـة عسير؛ و لكن المقصود من الأمثلـة التنبيه، فدع المثال و تنبه للغرض، و احذر من التمثيل و التشبيه.

الأصل السادس فى السمع و البصر

الأصل السادس فى السمع و البصر: و أنه تعالى سميع بصير، يسمع و يرى: لا يعزب عن سمعه مسموع و إن خفى، و لا يغيب عن رؤيته مرئىّ و إن دق، و لا يحجب سـمعه بعـد، و لا يـدفع رؤيته ظلام، يرى الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۳ من غير حدقـة و لا أجفان و يسمع من غير أصمخة «۱» و لا آذان. كما يعلم من غير قلب، و يبطش بغير جارحة، و يخلق بغير آلة؛ إذ لا تشـبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق.

الأصل السابع فى الكلام

الأصل السابع فى الكلام: و أنه متكلم آمرناه، و اعد متوعد بكلام أزلى قديم، قائم بذاته لا يشـبه كلامه كلام الخلق، كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق؛ فليس بصوت يحدث من انسلال هواء و اصطكاك أجرام، و لا حرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان. و أن القرآن و التوراة و الإنجيـل و الزبور كتبه المنزلـة على رسـله. و أن القرآن مقروء بالألسـنة، مكتوب فى المصاحف، محفوظ فى القلوب. و أنه مع ذلك قـديم قائم بـذات اللّه تعالى، لا يقبل الانفصال و الافتراق بالانتقال إلى القلوب و الأوراق. و أن موسـى- عليه السـلام- سـمع

کلام اللّه بغیر صوت و لا حرف. کما یری الأبرار ذات اللّه- سبحانه- من غیر جوهر و لا شکل و لا لون و لا عرض. و إذا کانت له هذه الصفات، کان حیّا عالما قادرا مریدا سمیعا بصیرا، متکلما بالحیاة و العلم و القدرة و الإرادة، و السمع و البصر و الکلام، لا بمجرد الذات.

الأصل الثامن فی الأفعال

الأصل الثامن فی الأفعال: و أنه لا موجود سواه إلا و هو حادث بفعله، و فائض من عدله، علی أحسن الوجوه و أکملها، و أتمها و أعدلها. و أنه حکیم فی أفعاله، عادل فی أقضیته، لا یقاس عدله بعدل العباد؛ إذ العبد یتصوّر منه الظلم بتصرفه فی ملک غیره، و لا یتصوّر الظلم من اللّه تعالی- سبحانه- فإنه لا یصادف لغیره ملکا حتی یکون تصرفه فیه ظلما. فکل ما سواه من إنس و جن، و شیطان و ملک، و سماء و أرض، و حیوان و نبات، و جوهر و عرض، و مدرک و محسوس، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا و إنشاء، بعد أن لم یکن شیئا؛ إذ کان فی الأزل موجودا وحده، و لم یکن معه غیره، فأحدث الخلق إظهارا لقدرته، و تحقیقا لما سبق من إرادته، و لما حقّ فی الأزل من کلمته، و هی قوله: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف» لا لافتقاره إلیه، و لا لحاجته. و أنه متفضل بالخلق و الاختراع الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۴ و التکلیف، لا عن وجوب، و متطول «۱» بالإنعام و الإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل و الإحسان و النعمة و الامتنان، إذ کان قادرا علی أن یصب علی عباده أنواع العذاب، و یبتلیهم بضروب الآلام و الأوصاب «۲». و لو فعل ذلک لکان منه عدلا و لم یکن منه قبیحا و لا ظلما. و أنه یثیب «۳» عباده علی الطاعات بحکم الکرم و العدل لا بحکم الاستحقاق و اللزوم؛ إذ لا یجب علیه فعل، و لا یتصور منه ظلم، و لا یجب لأحد علیه حق. و أن حقه فی الطاعات واجب علی الخلق بإیجابه علی لسان أنبیائه، لا بمجرد العقل، و لکنه بعث الرسل و أظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلّغوا أمره و نهیه، و وعده و وعیده، فوجب علی الخلق تصدیقهم فیما جاءوا به.

الأصل التاسع فی الیوم الآخر

الأصل التاسع فی الیوم الآخر: و أنه یفرق بالموت بین الأرواح و الأجسام، ثم یعیدها إلیها عند الحشر و النشور، فیبعث من فی القبور و یحصّل ما فی الصدور «۴». فیری کل مکلّف ما عمله من خیر أو شر محضرا «۵»، و یصادف دقیق ذلک و جلیّه مسطّرا فی کتاب، لا یغادر صغیرة و لا کبیرة إلا أحصاها. و یعرف کل واحد مقدار عمله، خیره و شره بمعیار صادق، یعبّر عنه بالمیزان، و إن کان لا یساوی میزان الأعمال میزان الأجسام الثقال، کما لا یساوی الاصطرلاب الذی هو میزان المواقیت، و المسطرة التی هی میزان المقادیر، و العروض الذی هو میزان الأشعار، سائر الموازین، ثم یحاسبهم علی أفعالهم و أقوالهم، و سرائرهم و ضمائرهم، و نیاتهم و عقائدهم، مما أبدوه أو أخفوه، فإنهم یتفاوتون فیه إلی مناقش فی الحساب، و إلی مسامح فیه، و إلی من یدخل الجنة بغیر حساب. و أنهم یساقون إلی الصراط، و هو جسر ممدود بین منازل الأشقیاء و منازل السعداء، أحدّ من السّیف، و أدقّ من الشّعر، یخفّ علیه من استوی فی الدنیا علی الصراط المستقیم الذی یوازیه فی الخفاء و الدقة، الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵ و یتعثر به من عدل عن سواء السبیل المستقیم إلا من عفی عنه بحکم الکرم. و أنهم عند ذلک یسألون، فیسأل من شاء من الأنبیاء عن تبلیغ الرسالة، و من شاء من الکفار عن تکذیب المرسلین، و من شاء من المبتدعة عن السنّة، و من شاء من المسلمین عن أعمالهم، فیسأل الصادقین عن صدقهم، و المنافقین عن نفاقهم. ثم یساق السعداء إلی الرحمن وفدا، و المجرمون إلی جهنم وردا «۱». ثم یأمر بإخراج الموحّدین من النار بعد الانتقام، حتی لا یبقی فی النار من فی قلبه مثقال ذرة من الإیمان، و یخرج بعضهم قبل تمام العقوبة و الانتقام، بشفاعة الأنبیاء و العلماء و الشهداء، و من له رتبة الشفاعة. ثم یستقر أهل السعادة فی الجنة منعمین أبد الآبدین، ممتعین بالنظر إلی وجه اللّه تعالی. و یستقر أهل الشقاوة فی النار مردّدین تحت أنواع العذاب، مبعدین عن النظر بالحجاب إلی وجه اللّه تعالی، ذی الجلال و الإکرام.

الأصل العاشر فى النبوة

الأصل العاشر فى النبوة: و أنه تعالى خلق الملائكة و بعث الأنبياء، و أيّدهم بالمعجزات. و أن الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون «۲». يسبحون الليل و النهار لا يفترون. و أن الأنبياء رسله إلى خلقه، و ينتهى إليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحى يوحى لا عن الهوى، و أنه بعث النبىّ الأمىّ القرشىّ محمد المصطفى صلى اللّه عليه و سلم برسالته إلى كافة العرب و العجم، و الجن و الإنس، فنسخ بشرعه الشرائع، و جعله سيد البشر، و منحه كمال الإيمان بشهادة التوحيد، و هو قوله: «لا إله إلا اللّه» ما لم يقترن بها شهادة الرسول، و هو قوله: «محمد رسول اللّه». و ألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به عنه، فى أمر الدنيا و الآخرة، و ألزمهم اتّباعه و الاقتداء به فقال: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ۷]. فلم يغادر شيئا يقرّبهم من اللّه سبحانه، إلا أمرهم به، و دلهم على سبيله، و لا شيئا يقربهم إلى النار، و يبعدهم عن اللّه تعالى إلا نهاهم عنه، و عرّفهم طريقه. و أن ذلك أمور لا يرشد إليها مجرد العقل و الرأى و الذكاء، بل هى أسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الأنبياء. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶ و الحمد للّه على ما أرشد و هدى، و أظهر من أسمائه الحسنى، و صفاته العليا، و الصلاة و السلام على محمد المصطفى، خاتم الأنبياء و على آله و أصحابه، و سلم كثيرا. آمين يا رب العالمين.

خاتمة فى التنبيه على الكتب التى تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة

خاتمة فى التنبيه على الكتب التى تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة: اعلم أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن، أعنى جمل ما يتعلق منها باللّه و اليوم الآخر؛ و هى ترجمة العقيدة التى لا بد أن ينطوى عليها قلب كل مسلم، بمعنى أنه يعتقده و يصدق به تصديقا جزما. و وراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان: إحداهما معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على أسرارها، و الثانية معرفة أسرارها و لباب معانيها و حقيقة ظواهرها. و الرتبتان جميعا ليستا واجبتين على جميع العوام، أعنى أن نجاتهم فى الآخرة غير موقوفة عليهما، و لا فوزهم موقوف عليهما، و إنما الموقوف عليهما كمال السعادة. و أعنى بالنجاة الخلاص من العذاب، و أعنى بالفوز الحصول على أصل النعيم، و أعنى بالسعادة نيل غايات النعيم، فالسلطان إذا استولى على بلدة و فتحها عنوة، فالذى لم يقتله و لم يعذبه فهو ناج و إن أخرجه عن البلدة، و الذى لم يعذبه و مع ذلك مكّنه من المقام فى بلدته مع أهله و أسباب معيشته فهو مع ذلك فائز بالنجاة. و الذى خلع عليه و أشركه فى ملكه و استخلفه فى مملكته و إمارته فهو مع النجاة و الفوز سعيد، ثم زيادة درجات السعادات لا تنحصر. و اعلم ان الخلق فى الآخرة ينقسمون إلى هذه الأصناف، بل إلى أصناف أكثر منها، و قد شرحنا ما أمكن من شرحها فى كتاب التوبة فاطلبه فيه. و الرتبة الأولى من الرتبتين: و هى معرفة أدلة هذه العقيدة، و قد أودعناها الرسالة القدسية فى قدر عشرين ورقة، و هى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء. و أما أدلتها مع زيادة تحقيق و زيادة تأنق فى إيراد الأسئلة و الإشكالات، فقد أودعناها فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فى مقدار مائة ورقة، فهو كتاب مفرد برأسه، يحوى لباب علم المتكلمين، و لكنه أبلغ فى التحقيق، و أقرب إلى قرع أبواب المعرفة من الكلام الرسمى الذى يصادف فى كتب المتكلمين. و كل ذلك يرجع إلى الاعتقاد لا إلى المعرفة؛ فإن المتكلم لا يفارق العامى إلا فى كونه عارفا، و كون العامى معتقدا، بل هو أيضا معتقد عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد، ليؤكد الاعتقاد و يستمره، و يحرسه عن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷ تشويش المبتدعة. و لا تنحل عقيدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة، فإن أردت أن تستنشق شيئا من روائح المعرفة صادفت منها مقدارا يسيرا مثبوتا فى كتاب الصبر و الشكر، و كتاب المحبة و باب التوحيد، من أول كتاب التوكل و جملة ذلك من كتاب الإحياء، و تصادف منها قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب المقصد الأقصى فى معانى أسماء اللّه الحسنى، لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال. و إن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمجة و لا مراقبة، فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها، و إياك أن تغتر و تحدث نفسك بأهليته، فتشرئب

لطلبه، فتستهدف للمشافهة بصريح الرد؛ إلا أن تجمع ثلاث خصال: إحداها الاستقلال فى العلوم الظاهرة و نيل رتبة الإمامة فيها. و الثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الأخلاق الذميمة، حتى لا يبقى فيك تعطش إلا إلى الحق، و لا اهتمام إلا به، و لا شغل إلا فيه، و لا تعريج إلا عليه. و الثالثة أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة، بقريحة صافية، و فطنة بليغة، لا تكلّ عن درك غوامض العلوم و مشكلاتها على سبيل البديهة و المبادرة؛ فإن البليد إذا أتعب خاطره و أكد نفسه، ربما أدرك بعض الغوامض أيضا، و لكن يدرك منها شيئا يسيرا فى مدة طويلة. فلن يصلح لاقتباس المعرفة الحقيقية، إلا قلب صاف كأنه مرآة مجلوّة؛ و إنما يصير كذلك بقوة الفطرة و صحة القصد، ثم بإزالة كدورات الدنيا عن وجهه، فإنه الرّين «۱» و الطبع يمنع اللّه به القلوب عن معرفته. و أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ [الأنفال: ۲۴]. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸

القسم الثانى فى الأعمال الظاهرة و هى عشرة أصول.

الأصل الأول فى الصلاة

الأصل الأول فى الصلاة: قال اللّه تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِی [طه: ۱۴] و قال النبى عليه السلام: «الصلاة عماد الدين». و اعلم أنك فى صلاتك مناج ربك، فانظر فانظر كيف تصلى، و حافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة و المقيمين لها: [المحافظة الأولى:] فإن اللّه تعالى إنما يأمر بالإقامة و يقول: أَقِمِ الصَّلاةَ [الإسراء: ۷۸] و أَقِيمُوا الصَّلاةَ [الأنعام: ۷۲] و ليس يقول صل أو صلوا. و يثنى على المحافظين على الصلاة فيقول: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ [الأنعام: ۹۲] الأول المحافظة على الطهارة، بأن يسبغ «۱» الوضوء قبل الصلاة، و إسباغها أن يأتى بجميع سننها و أذكارها المروية عند كل وظيفة منها، و يحتاط أيضا فى طهارة ثيابه، و طهارة بدنه، و طهارة الماء الذى يتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليه باب الوسواس، فإن الشيطان يوسوسه فى الطهارة فيضيع أكثر أوقات العبادة. و اعلم أن المقصود من طهارة الثوب- و هو القشر الخارج- ثم من طهارة البدن- و هو القشر القريب- ثم طهارة القلب- و هو اللب الباطن-. و طهارة القلب عن نجاسات الأخلاق المذمومة، أهم طهارة كما سنذكرها فى القسم الثالث؛ لكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضا تأثير فى إشراق نورها على القلب؛ فإنك إذا أسبغت الوضوء، و استشعرت نظافة ظاهرك، صادفت فى قلبك انشراحا و صفاء كنت لا تصادفه من قبل، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۹ و ذلك لسر العلاقة التى بين عالم الشهادة و عالم الملكوت؛ فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة، و القلب من عالم الملكوت بأصل فطرته، و إنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن جبلّته «۱». و كما تنحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح، فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار إلى القلب، و لذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التى هى من عالم الشهادة، و لذلك جعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى الدنيا و من الدنيا، و قال: «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث ...» «۲». الحديث. فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر على الباطن؛ ففى بدائع صنع اللّه أمور أعجب من هذا، إذ قد عرف بالتجربة، أن المجامع فى حال المباشرة، لو أدمن النظر إلى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه، مال لون المولود إلى ذلك اللون الذى غلب عليه، و أن الجنين أول ما يتحرك فى البطن، تميل صورته إلى الحسن، إن كانت الأم مشاهدة فى تلك الحالة لصورة حسنة، بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها، و لذلك أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المباشر عند مباشرته أن يحضر فى قلبه إرادة إصلاح المولود، و يدعو اللّه بذلك فيقول: «اللهم جنّبنا الشيطان و جنب الشيطان عما رزقتنا» حتى يفيض اللّه سبحانه مبادىء الصلاح على الروح التى يخلقها عند إلقاء البذر فى محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث، كما يفيض اللّه النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة. و ها نحن الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب صنع اللّه فى الملك و الملكوت، و إلى قريب منه يرجع سر الشفاعة فى الآخرة فلنجاوزه؛ فغرضنا الآن ذكر الأعمال دون المعارف. و قد أشممناك شيئا يسيرا من أسرار الطهارة الظاهرة، فإن كنت لا

تصادف بعد الطهارهٔ و إسباغ الوضوء شیئا من الصفاء الذی وصفناه، فاعلم أن الدرن الذی عرض علی قلبک من کدورات شهوات الدنیا و شواغلها، اقتضی کلال «۳» حس القلب فصار لا یحس باللطائف و الأشیاء الخفیهٔ اللطیفهٔ، و لم یبق الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۰ فی قوته إلاـ إدراک الجلیات إن بقی. فاشتغل بجلاء قلبک و تصفیته، فـذلک أوجب علیک من کل ما أنت فیه!. المحافظهٔ الثانیهٔ: أن تحافظ علی سنن الصلاهٔ و أعمالها الظاهرهٔ، و أذکارها و تسبیحاتها، حتی تأتی فیها بجمیع السنن و الآداب و الهیئات، کما جمعناها فی کتاب بدایهٔ الهدایهٔ، فإن لکل واحد منها سرّا، و له تأثیر فی القلب کما نبهنا علیه فی تأثیر الطهارهٔ، بل أشدّ و أبلغ، و شرح ذلک یطول. و أنت إذا أتیت بـذلک انتفعت به و إن لم تعلم أسراره، کما ینتفع شارب الدواء بشربه، و إن لم یعرف طبائع أخلاطه و وجوه مناسبته لمرضه. و اعلم أن الصلاهٔ صورهٔ صوّرها ربّ الأرباب، کما صور الحیوان مثلا؛ فروحها النیهٔ و الإخلاص و حضور القلب، و بدنها الأعمال، و أعضاؤها الأصلیهٔ الأرکان، و أعضاؤها الکمالیهٔ الأبعاض «۱» فالإخلاص و النیهٔ فیها یجری مجری الروح، و القیام و القعود یجری مجری البدن، و الرکوع و السجود یجری مجری الرأس و الید و الرجل، و إکمال الرکوع و السجود و الطمأنینهٔ و تحسین الهیئهٔ یجری مجری حسن الأعضاء و حسن أشکالها و ألوانها، و الأذکار و التسبیحات المودعهٔ فیها تجری مجری آلات الحس المودعهٔ فی الرأس و الأعضاء کالعینین و الأذنین و غیرهما، و معرفهٔ معانی الأذکار و حضور القلب عندها یجری مجری قوهٔ الحس المودعهٔ فی آلات الحسّ کقوهٔ السمع و قوهٔ البصر و الشم و الذوق و اللمس فی معادنها. و اعلم أن تقرّبک بالصلاهٔ، کتقرب بعض خدم السلطان بإهداء وصیفهٔ إلی السلطان. و اعلم أن فقد النیهٔ و الإخلاص من الصلاهٔ کفقد الروح من الوصیفهٔ، و المهدی للجیفهٔ المیتهٔ مستهزیء بالسلطان، فیستحق سفک الدم، و فقد الرکوع و السجود یجری مجری فقد الأعضاء، و فقد الأذکار یجری مجری فقد العینین من الوصیفهٔ، و جدع الأنف و الأذنین و عدم حضور القلب فی غفلته عن معرفهٔ معانی القرآن و الأذکار کفقد السمع و البصر مع بقاء جرم الحدقهٔ و الأذن. و لا یخفی علیک أن من أهدی وصیفهٔ بهذه الصفهٔ، کیف یکون حاله عند السلطان؟. و اعلم أن قول الفقیه فی الصلاهٔ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۱ الناقصهٔ ألفاظها و سننها أنها صحیحهٔ، کقول الطبیب فی الوصیفهٔ المقطوعهٔ أطرافها أنها حیهٔ و لیست بمیتهٔ، فإن کان ذلک کافیا فی التقرب بها إلی السلطان و نیل الکرامهٔ منه، فاعلم ان الصلاهٔ الناقصهٔ صالحهٔ أیضا للتقرب بها إلی اللّه سبحانه و نیل الکرامهٔ، و إن أوشک أن یردّ ذلک علی المهدی و یزجر، فلا یبعد مثل ذلک فی الصلاهٔ، فإنها قد تردّ علی المصلی کالخرقهٔ الخلقهٔ «۱» کما ورد فی الخبر. و اعلم أن أصل الصلاهٔ التعظیم و الاحترام، و إهمال آداب الصلاهٔ یناقض التعظیم و الاحترام. المحافظهٔ الثالثهٔ: أن تحافظ علی روح الصلاهٔ، و هی الإخلاص و حضور القلب فی جملهٔ الصلاهٔ، و اتصاف القلب فی الحال بمعانیها؛ فلا تسجد و لا ترکع إلا و قلبک خاشع متواضع علی موافقهٔ ظاهرک، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع البدن؛ و لاـ تقل «اللّه أکبر» و فی قلبک شیء أکبر من اللّه تعالی؛ و لا تقل «وَجَّهْتُ وَجْهِیَ» إلا و قلبک متوجه بکل وجهه إلی اللّه و معرض عن غیره؛ و لا تقل: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» إلا و قلبک طافح بشکر نعمه علیک فرح به مستبشر؛ و لا تقل «وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ» إلا و أنت مستشعر ضعفک و عجزک، و أنه لیس إلیک و لا إلی غیرک من الأمر شیء. و کذلک فی جمیع الأذکار و الأعمال، و شرح ذلک یطول، و قد شرحناه فی کتاب الإحیاء. فجاهد نفسک فی أن تردّ قلبک إلی الصلاهٔ حتی لا تغفل من أولها إلی آخرها، فإنه لا یکتب للرجل من صلاته إلا ما عقل منها. فإن تعذر علیک الإحضار- و ما أراک إلا کذلک- فانظر، فإن کان قدر الغفلهٔ مقدار رکعتین، فلا تعد الصلاهٔ، و لکن افهم أن النوافل «۲» جوابر الفرائض، فتنفّل بمقدار أن یحضر القلب فیها فی مقدار رکعتین، فکلما زادت الغفلهٔ، زد فی النوافل حتی یحضر قلبک مثلا فی عشر رکعات بمقدار أربع رکعات و هو قدر فرضک، فمن رحمهٔ اللّه علیک أن قبل منک جبران الفرائض بالنّوافل. فهذه أصول المحافظهٔ علی الصلاهٔ. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۲

الأصل الثانی فی الزکاهٔ و الصدقهٔ

المحافظهٔ فی زکاهٔ و الصدقهٔ علی خمسهٔ أمور

[المحافظة فی زکاة و الصدقة علی خمسة أمور:] و حافظ فی زکاتک و صلاتک و صدقتک علی خمسة أمور: الأول: الإسرار؛ فإن فی الخبر أن صدقة السر تطفیء غضب الرب. و الذی یتصدق بیمینه بحیث لا تعلم شماله هو أحد السبعة الذین یظلّهم اللّه، یوم لا ظل إلا ظله؛ و قد قال اللّه تعالی: وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ [البقرة: ۲۷۱]. و بذلک تتخلص عن الریاء، فإنه غالب علی النفس و هو مهلک، ینقلب فی القلب- إذا وضع الإنسان فی قبره- فی صورة حیة، أی یؤلم إیلام الحیّة؛ و البخل ینقلب فی صورة عقرب. و المقصود فی کل الإنفاق الخلاص من رذیلة البخل، فإذا امتزج به الریاء، کان کأنه جعل العقرب غذاء الحیة، فما تخلص من العقرب و لکن زاد فی قوة الحیة، إذ کل صفة من الصفات المهلکات فی القلب إنما غذاؤها و قوّتها فی إجابتها إلی مقتضاها. الثانی: أن تحذر من المنّ؛ و حقیقته أن تری نفسک محسنا إلی الفقیر متفضلا علیه، و علامته أن تتوقع منه شکرا أو تستنکر تقصیره فی حقک و ممالأته عدوک استنکارا یزید علی ما کان قبل الصدقة؛ فذلک یدل علی أنک رأیت لنفسک علیه فضلا؛ و علاجه أن تعرف أنه المحسن إلیک بقبول حق اللّه منک؛ فإن من أسرار الزکاة تطهیر القلب، و تزکیته عن رذیلة البخل و خبث الشح؛ و لذلک کانت الزکاة مطهرة إذ بها حصلت الطهارة، فکأنها غسالة نجاسة؛ و لذلک ترفع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أهل بیته من أخذ الزکاة، و قال علیه السلام: «إنها أوساخ أموال الناس»، و إذا أخذ الفقیر منک ما هو طهرة لک فله الفضل علیک. أ رأیت لو کان فصّاد أفصدک مجانا و أخرج من باطنک الدم الذی تخشی ضرره فی الحیاة الدنیا أ کان الفضل لک أم له؟ فالذی یخرج من باطنک رذیلة البخل و ضررها فی الحیاة الآخرة أولی بأن تراه متفضلا. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۴ الثالث: أن تخرجه من أطیب أموالک و أجودها؛ قال اللّه تعالی: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ [النحل: ۶۲]. و قال اللّه: وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ [البقرة: ۲۶۷]. الآیة. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «إن اللّه طیب لا یقبل إلا الطیب» یعنی الحلال، فإن المقصود من هذا إظهار درجة الحب، و الإنسان یؤثر إلیه الأحب إلیه الأنفس دون الأخسّ. الرابع: أن تعطی بوجه طلق مستبشر، و أنت به فرحان غیر مستکره؛ قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «سبق درهم مایة ألف» و إنما أراد ما یعطیه عن بشاشة و طیبة نفس من أنفس ماله و أجوده، فذلک أفضل من مائة ألف مع الکراهة. الخامس: أن تتخیر لصدقتک محلا تزکو به الصدقة؛ و هو المتقی العالم الذی یستعین بها علی طاعة اللّه عز و جل و تقواه، أو الصالح المعیل ذو الرحم. فإن لم تجتمع هذه الأوصاف، فتزکو للصدقة بآحادها أیضا. و رعایة الصلاح أصل الأمور، فما الدنیا إلا البلغة «۱» للعباد و زاد لهم إلی المعاد، فلیصرف إلی المسافرین إلیه المتخذین هذه الدار منزلا من منازل الطریق. قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «لا تأکل إلا طعام تقیّ، و لا یأکل طعامک إلّا تقیّ». :

الأصل الثالث فی الصیام

الأصل الثالث فی الصیام: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «یقول اللّه سبحانه: کل حسنة بعشر أمثالها، إلی سبع مائة ضعف، إلّا الصیام، فإنه لی و أنا أجزی به». و قال علیه السلام: «لکل شیء باب و باب العبادة الصوم»، و إنما کان الصوم مخصوصا بهذه الخواص لأمرین: أحدهما أنه یرجع إلی کفّ، و هو عمل سرّ لا یطلع علیه أحد غیر اللّه تعالی لا کالصلاة و الزکاة و غیرهما. و الثانی أنه قهر لعدو اللّه؛ فإن الشیطان هو العدو، و لن یقوی العدو، إلا بواسطة الشهوات، و الجوع یکسر جمیع الشهوات التی هی آلة الشیطان، فلذلک قال علیه السلام: «إن الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیقوا مجاری الشیطان بالجوع»، و هو سرّ قوله صلی اللّه علیه و سلم «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان، و غلقت أبواب النیران، و صفدت الشیاطین، و نادی مناد: یا باغی الخیر هلمّ و یا باغی الشر أقصر». الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۵ و اعلم أن الصوم، بالإضافة إلی مقداره، علی ثلاث درجات، و بالإضافة إلی أسراره، علی ثلاث درجات. أما درجات مقداره: فأقلها الاقتصار علی شهر رمضان، و أعلاها صوم داود علیه السلام، و هو أن تصوم یوما و تفطر یوما؛ ففی الخبر الصحیح، أن ذلک أفضل من صوم الدهر، و أنه أفضل الصیام. و سرّه أن من صام الدهر صار الصوم له عادة، فلا یحس بوقعه فی نفسه بالانکسار، و فی قلبه بالصفاء، و فی شهواته بالضعف، فإن النفس إنما تتأثر بما یرد علیها لا بما مرنت «۱» علیه،

فلا یبعد هذا، فإن الأطباء أیضا ینهون عن اعتیاد شرب الدواء، و قالوا: «من تعود ذلک لم ینتفع به إذا مرض، إذ یألفه مزاجه فلا یتأثر به». و اعلم أن طب القلوب قریب من طب الأبدان، و هو سر قوله صلی اللّه علیه و سلم لعبد اللّه بن عمر- رضی اللّه عنهما- لما کان یسأله عن الصوم، فقال علیه السلام: «صم یوما و أفطر یوما». فقال: «أرید أفضل من ذلک». فقال علیه السلام: «لا أفضل من ذلک»- و لذلک لما قیل لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إن فلانا صام الدهر»، فقال علیه السلام: «لا صام و لا أفطر». کما قالت عائشة- رضی اللّه عنها- لرجل کان یقرأ القرآن بهذرمة «۲»: «إن هذا ما قرأ القرآن و لا سکت». و أما الدرجة المتوسطة فهو أن تصوم ثلث الدهر. و مهما صمت الاثنین و الخمیس و أضفت إلیه رمضان، فقد صمت من السنة أربعة أشهر و أربعة أیام، و هو زیادة علی الثلث؛ لکن لا بد أن ینکسر یوم من أیام التشریق، و ترجع الزیادة إلی ثلاثة أیام؛ و یتصور أن ینکسر فی العیدین یومان فتکون ثلاثة أیام، فترجع الزیادة إلی یوم واحد، فتأمل حسابه تعرفه. فلا ینبغی أن ینقص من هذا القدر صومک، فإنه خفیف علی النفس، و ثوابه جزیل. و أما درجات أسراره فثلاث: أدناها أن یقتصر علی الکفّ عن المفطرات، و لا یکف جوارحه عن المکاره؛ و ذلک صوم العموم و هو قناعتهم بالاسم. الثانیة: أن تضیف إلیه کف الجوارح، فتحفظ اللسان عن الغیبة و العین عن النظر بالزینة و کذا سائر الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۶ الأعضاء. الثالثة: أن تضیف إلیه صیانة القلب عن الفکر و الوسواس، و تجعله مقصورا علی ذکر اللّه عز و جل، و ذلک صوم خصوص الخصوص و هو الکمال. ثم للصیام خاتمة بها یکمل، و هو أن یفطر علی طعام حلال لا علی شبهة، و أن لا یستکثر من أکل الحلال بحیث یتدارک ما فاته ضحوة، فیکون قد جمع بین أکلتین دفعة واحدة، فتثقل معدته و تقوی شهوته، و یبطل سرّ الصوم و فائدته، و یفضی إلی التکاسل عن التهجّد، و ربما لم یستیقظ قبل الصبح؛ و کلّ ذلک خسران و ربما لا توازیه فائدة الصوم.

الأصل الرابع فی الحج

أما الآداب فسبعة

أما الآداب فسبعة: الأول: أن ترتاد للطریق رفیقا صالحا و نفقة طیبة حلالا، فالزاد الحلال ینوّر القلب، و الرفیق الصالح یذکّر الخیر و یزجر عن الشر. الثانی: أن یخلی یده عن مال التجارة کیلا یتشعب فکره، و ینقسم خاطره و لا یصفو للزیارة قصده. الثالث: أن یوسع فی الطریق بالطعام و یطیّب الکلام مع الرفقاء و المکاری. الرابع: أن یترک الرّفث «۲» و الجدال و التحدّث بالفضول فی أمر الدنیا، بل یقصر لسانه- بعد مهمات حاجاته- علی الذکر و تلاوة القرآن. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۷ الخامس: أن یرکب راحلة دون المحمل، و یکون رث الهیئة أشعث أغبر، غیر متزین، بل علی هیئة المساکین، حتی لا یکتب فی جملة المترفین. السادس: أن ینزل عن الدابة أحیانا ترفیها للدابة و تطییبا لقلب المکاری، و تخفیفا للأعضاء بالتحرک، و لا یحمّل الدابة ما لا تطیق، بل یرفق بها ما أمکن. السابع: أن یکون طیب النفس بما أنفق من نفقة، و بما أصابه من تعب و خسران، و أن یری ذلک من آثار قبول الحج فیحتسب الثواب علیه. و أما أسراره فکثیرة نرمز منها إلی فنّین: أحدهما أنه وضع بدلا عن الرّهبانیة التی کانت فی الملل کما ورد به الخبر؛ فجعل اللّه سبحانه الحج رهبانیة لأمة محمد صلی اللّه علیه و سلم. فشرف البیت العتیق، و أضافه إلی نفسه، و نصبه مقصدا لعباده و جعل ما حوالیه حرما لبیته تفخیما لأمره، و جعل عرفات کالمیدان علی فناء حرمه، و أکد حرمة الموضع بتحریم صیده و شجره، و وضعه علی أمثال الملوک لیقصده الزوار من کل فج عمیق، ضعفاء غبرا «۱»، متواضعین لرب العالمین، خضوعا لجلاله، و استکانة لعزته، مع الاعتراف بتنزهه عن أن یکتنفه بیت، أو یحویه مکان، لیکون ذلک أبلغ فی رقهم و عبودیتهم. و لذلک کلفهم أعمالا غریبة لا تناسب الطبع و العقل، لیکون إقدامهم بحکم محض العبودیة، و امتثال الأمر من غیر معاونة باعث آخر. و هذا سر عظیم فی الاستعباد، و لذلک قال صلی اللّه علیه و سلم: «لبّیک بحجّة حقّا و تعبّدا و رقّا». الفن الثانی: أن هذا السفر وضع علی مثال سفر الآخرة، فلیتذکر المرید بکل عمل من أعماله أمرا من أمور الآخرة موازیا له، فإن فیه تذکرة للمتذکر، و عبرة للمعتبر المستبصر. فتذکر من أول سفرک

عنـد وداعک أهلک، وداع الأهل فی سـکرات الموت، و من مفارقـهٔ الوطن الخروج من الدنیا، و من رکوب الجمل رکوب الجنازهٔ، و من الالتفـاف فی أثواب الإـحرام الالتفـاف فی أثواب الکفن، و من دخول البادیـهٔ إلی المیقـات مـا بین الخروج من الـدنیا إلی میقـات القیامـهٔ، و من هول قطّاع الطریق سؤال منکر و نکیر، و من الاربعین فی اصول الـدین، ص: ۲۸ سباع البوادی، عقارب القبر و دیدانه، و من انفرادک عن أهلـک و أقاربک، وحشـهٔ القبر و وحـدته، و من التلبیـهٔ، إجابـهٔ داعی اللّه عز و جل عنـد البعث، و کـذلک فی سائر الأعمال، فإن فی کل عمل سرّا و تحته رمزا، یتنبه له کل عبد بقدر استعداده للتنبه، بصفاء قلبه، و قصور همه علی مهمات الدین.

الأصل الخامس فی قراءهٔ القرآن

أما الآداب الظاهرهٔ فثلاثهٔ

أمـا الآـداب الظـاهرهٔ فثلاثـهٔ: الأول: أن تقرأه باحترام و تعظیم، و لن تلزم الحرمـهٔ قلبک ما لم تلزم هیئـهٔ الحرمـهٔ ظاهرک، و قـد عرفت کیفیـهٔ علاقـهٔ القلب بالجوارح و وجه ارتفاع الأنوار منها إلیه. و هیئـهٔ الحرمهٔ أن تجلس و أنت علی الطهارهٔ ساکنا مطرقا مسـتقبل القبلهٔ غیر متکیء و لا متربع و لا نائم، کما تجلس بین یـدی المقریء، و تقرأه بترتیل و تفخیم و تؤدهٔ «۲» حرفا حرفا من غیر هذرمهٔ «۳». قال ابن عباس- رضـی اللّه عنه-: «لأن أقرأ «إذا زلزلت» و «القارعهٔ» أتدبّرهما ا أحب إلی من أن أقرأ «البقرهٔ» و «آل عمران» تهذیرا». الثانی: أن تتشوف فی بعض الأوقات إلی أقصـی درجات الفضل فیه، و ذلک بأن تقرأه فی الصـلاهٔ قائما، خصوصا فی المسجد، و باللیل، لأن القلب فی اللیـل أصـفی لأـنه أفرغ. فإنـک و ان خلـوت بالنهـار فـتردّد الخلـق و حرکـاتهم فی أشـغالهم، تحرّک باطنـک، و تشـغلک، خصوصا و إن کنت تتوقع أن تطلب شـغلا من الأعمال و الأشـغال. و کیفما قرأته، و لو مضـطجعا من غیر طهارهٔ، فلا تخلو عن الفضل، فإن اللّه تعالی أثنی علی الجمیع، و قال: الَّذِینَ یَـذْکُرُونَ اللَّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ [آل عمران: ۱۹۱]. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۲۹ الآیـهٔ. و لکن مـا ذکرنـاه فی زیـادهٔ الفضـل؛ فـإن کنت من مریـدی الآـخرهٔ، فلا یسـهل علیک ترک الفضل، و قـد قال علی- رضوان اللّه علیه- «من قرأ القرآن و هو قائم فی الصـلاهٔ، فله بکل حرف مائهٔ حسـنهٔ، و من قرأ القرآن فی غیر صلاهٔ، و هو علی طهارهٔ، فخمس و عشرون حسنهٔ، و من قرأه علی غیر وضوء، فعشر حسنات». الثالث: فی مقدار القراءهٔ، و له ثلاث درجات: أدناها أن یختم فی الشـهر مرهٔ، و أقصاها أن یختم فی ثلاثهٔ أیام مرهٔ. و قال صـلی اللّه علیه و سلم: «من قرأ القرآن فی أقل من ثلاث لم یفقه» و أعدلها أن یختم فی الأسـبوع مرهٔ. و أما الختم فی کل یوم فغیر مستحب. و إیاک أن تتصرف بعقلک فتقول: ما کان خیرا و نافعا فکلما کان أکثر کـان أنفع. فـإن عقلـک لاـ یهتـدی إلی أسـرار الأـمور الإلهیـهٔ، و إنمـا تتلقاها قوهٔ النبوهٔ، فعلیک بالاتّباع فإن خواص الأمور لا تـدرک بالقیاس. أو ما تری کیف نودیت إلی الصـلاهٔ و نهیت عنها جمیع النهار و أمرت بترکها بعـد الصـبح و بعد العصـر و عند الطلوع و عند الغروب و الزوال؟ و ذلـک ینتهی إلی قـدر ثلث النهـار. و کیف و أثر الفسـاد ظـاهر علی قیاسـک هـذا! فإنه کقول القائل: الـدواء نافع للمریض، فکلما کان أکثر کان أنفع. و أنت تعلم أن کثرهٔ الدواء ربما یقتل.

و أما الأسرار الباطنهٔ فخمسهٔ

و أما الأسـرار الباطنهٔ فخمسهٔ: الأول: أن تستشـعر فی أول قراءتک عظمهٔ الکلام باستشـعار تعظیم المتکلم، فتحضـر فی قلبک العرش و الکرسـی، و السـموات و الأـرض و مـا بینهمـا، من الملائکـهٔ و الجن، و الإنس و الحیوانات، و النباتات و المعادن. و تتـذکر أن الخالق لجمیعها واحـد، و أن الکل فی قبضهٔ قدرته، متردد بین فضـله و رحمته، و أنک ترید أن تقرأ کلامه و تنظر به إلی صـفهٔ ذاته، و تطالع جمال علمه و حکمته، و تعلم أنه لا یمس ظاهر المصـحف إلا المطهّرون بظواهرهم، و هو محجوب عن غیرهم، فکذلک حقیقهٔ معناه و باطنه، محجوب عن باطن القلب، إلّا إذا کان مطهرا من کل رجس و خبث من خبائث الباطن. و بمثل هـذا التعظیم کان عکرمـهٔ، إذا

نشر المصحف ربما غشی علیه، و یقول: «هذا کلام ربّی، هذا کلام ربی». و اعلم أنه لولا أن أنوار کلامه العزیز و عظمته غشیت بکسوة الحروف لما أطاقت القوة البشریة سماعه لعظمته و سلطانه و سبحات نوره، و لولا تثبیت اللّه عز و جل موسی- الاربعین فی اصول الدین، ص: ۳۰ علیه السلام- لما أطاق سماعه مجردا عن کسوة الحروف و الأصوات، کما لم یطق الجبل مبادئ تجلیه حتی صار دکّا دکّا. الثانی: أن تقرأ بتدبر معانیه إن کنت من أهله، و کل ما یجری لسانک به فی غفلة فأعده، و لا تعده من عملک لأن الترتیل فی الظاهر للتمکن من التدبر. قال علی- علیه السلام-: «لا خیر فی عبادة لا فقه فیها، و لا فی قراءة لا تدبّر فیها. و إیاک أن تصیر مشغوفا بعدد الختمات علی نفسک فلأن تردد آیة واحدة لیلة تتدبّرها خیر لک من ختمتین، فقد قرأ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» فرددها عشرین مرة». و قال أبو الدرداء- رضی اللّه عنه-: «قام رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بنا لیلة، فقام بآیة یردّدها: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ و قام تمیم الداری لیلة بقوله سبحانه: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ ... الآیة، و قام سعید بن جبیر لیلة بقوله: وَ امْتازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ». و لعل الألیق بک ما قاله بعض العارفین إذ قال: «لی فی کل جمعة ختمة، و لی فی کل شهر ختمة، و فی کل سنة ختمة، و لی ختمة منذ ثلاثین سنة، ما فرغت منها بعد». و ذلک بحسب درجات التدبر، فإن القلب فی بعض الأوقات لا یحتمل التدبر الطویل، فلیکن للتدبر الطویل ختمة خاصة. الثالث: أن تجتنی فی تدبرک ثمار المعرفة من أغصانها، و تقتبسها من أوطانها، و لا تطلب التریاق من حیث تطلب منه الجواهر، و لا الجواهر من حیث یطلب منه المسک و العود، فإن لکل ثمرة غصنا، و لکل جوهر معدنا، و إنما یتیسر لک هذا بأن تعرف الأصناف العشرة التی حصرنا فیها أقسام القرآن، و هی عشرة معادن: فما یتعلق من القرآن باللّه تعالی و بصفاته و أفعاله، فاقتبس منه معرفة الجلال و العظمة، و ما یتعلق بالإرشاد إلی الصراط المستقیم فاقتبس منه معرفة الرحمة و العطف و الحکمة، و ما یتعلق بإهلاک الأعداء فاقتبس منه معرفة العزّة و الاستغناء و القهر و التجبر، و ما یتعلق بأحوال الأنبیاء، فاقتبس منه معرفة اللطف و النعمة و الفضل و الکرم، و کذلک فی کل صنف ما یلیق به. فلا تنظرنّ إلیه بعین واحدة، و شرح ذلک یطول. الرابع: أن تتخلی عن موانع الفهم و هی الأکنّة «۱» التی تمنع من الفهم. قال اللّه عز الاربعین فی اصول الدین، ص: ۳۱ و جلّ: وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً ... [الأنعام: ۲۵، الإسراء: ۴۶] الآیة. و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «لولا أن الشیاطین یحومون علی قلوب بنی آدم لنظروا إلی ملکوت السماء». و اعلم أن معانی القرآن من جملة الملکوت، و إنما حروفها من عالم الشهادة، و الأکنة التی یبتلی بها المتقی المتعطش إلی الحقّ نوعان: إما ما ابتلی به ضعیف الإیمان من حجاب الشک و الجحود، و إما ما ابتلی به المنهمک فی الدنیا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب. فذلک جلیّ لا یخفی کونه مانعا من فهم لطائف القرآن و اقتباس أنواره، فبها حجب أکثر الخلق. و أما العباد المتجرّدون لطریق اللّه عزّ و جل، فیحجبون بنوعین آخرین، أحدهما: الوسواس الصارف للقلب إلی التفکر فی النیة کیف کانت فی الابتداء هل بقیت الآن، و هل هو مخلص فی الحال؟ هذا إن کان فی الصلاة؛ أو الوسواس الصارف للهمّ إلی تصحیح مخارج الحروف و التشکک فیها و إعادتها لأجل ذلک، و هذا یجری فی الصلاة و غیرها، فکیف یطالع أسرار الملکوت قلب محجوب مصروف إلی مطالعة الشفتین و کیفیة انطباقهما، و اللسان و الحنک و کیفیة انسلال الهواء من اصطکاکهما؟ و هو معنی تقطیع الحروف و تصحیحها. النوع الثانی: التقلید لظواهر معانی القرآن و الجمود علیها، و ذلک حجاب عظیم عن الفهم، و لست أعنی به التقلید الباطل، کتقلید المبتدع، بل التقلید الحق أیضا. فإن الحق الذی کلف الخلق اعتقاده له درجات، و له مبدأ ظاهر، و هو کالقشر و المثال و له غور باطن و هو کاللّباب. قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إن للقرآن ظاهرا و باطنا، و حدّا و مطلعا». فالجامد علی الظاهر الظانّ أنه لیس وراءه مرقی یرتقی إلیه، کیف یتصور أن تنکشف له الأسرار، فقد کلف الخلق مثلا أن یعتقدوا أن اللّه تعالی یری، و لکن للرؤیة ظاهر و سرّ، فمن اعتقد أن رؤیة اللّه تعالی مناسبة للرؤیة التی یألفها الإنسان فی هذا العالم، کیف یتصور أن یطّلع علی سرّ قوله تعالی: لَنْ تَرانِی و کیف یفهم أن ذلک ممتنع فی هذه الحیاة الدنیا بهذه العین الموقوفة علی ملاحظة الجهات و الأقطار، و کیف یدرک قوله: لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ۱۰۳]، مع قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ، إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ [القیامة: ۲۲، ۲۳]. و یکفیک هذا المثال الواحد، فلسنا نکشف لک أکثر من هذا، و لسنا نقصد فی

هـذا الأصـل إلاـ التلويحـات لمبادئ الأسـرار تشويقا للمسـتعدين لها. الاربعين فى اصول الـدين، ص: ٣٢ الخـامس: أن لا تقتصـر على اقتباس الأنوار، بل تضـيف إليها اقتباس الأحوال و الآثار، و ذلك أن لا تقرأ آيـة إلا و أن تصـير بصـفتها، فتكون لک بحسب كل فهم حال و وجـد، فعنـد ذكر الرحمـة، و عنـد المغفرة، تستبشـر كأنك تطير من الفرح، و عنـد ذكر الغضب و شدة العقاب، تتضاءل كأنك تموت من الفزع، و عنـد ذكر اللّه و أسـمائه و عظمته، تتطأطأ و تتصاغر حتى كأنك تنمحق من مشاهـدة الجلال، و عند ذكر الكفار ما يسـتحيل عليه من ولد و صاحبة، تنكسـر و تغض صوتک كأنك تنطمس من الحياء، و كذلک فى كل صـنف من الأصناف العشرة، و ذلـک أيضـا يطول. و ليظهر أثر ذلـک على جوارحـک من بكـاء عنـد الحزن، و عرق جبين عنـد الحيـاء، و اقشـعرار الجلـد، و ارتعـاد الفرائص عنـد الهيبـة و الجلاـل، و انبسـاط فى الأعضاء و اللسان و الصوت عنـد الاسـتبشار، و انقباض فيها عنـد الاستشـعار، فإذا فعلت ذلـک، اشترک فى نيـل حـظ القرآن جميع أعضائک، و فـاضت آثـار القرآن على عوالمـک الثلاثـة، أعنى: عـالم الملكوت، و عـالم الجبروت، و عـالم الشـهادة. و اعلم أن محض أنوار المعرفـة تفيض من عـالم الملكوت إلى سرّ القلب، لأـنه أيضا من الملكوت، و أما آثارهـا من الخشـية و الخوف و السـرور و الهيبـة و سـائر الأـحوال، فإنهـا تهبـط من عـالم الجبروت، و مهبطهـا الصـدر الـذى هو عالم الجبروت، و هو عـالم آخر من عوالمک، كنينا عنه بالصـدر كما كنينا عن الأول بالقلب، لأن عالم الجبروت بين عالم الملكوت و عالم الشـهادة، كما أن الصدر بين القلب و الجوارح. و أما البكاء و الشـهيق و الاقشعرار و ارتعاد الفرائص، فتنزل من عالم الشهادة، و مهبطها الجوارح، لأنها من عالم الشـهادة، و ما أراک تفهم من القلب غير اللحم الصـنوبرى الشـكل، و من الصدر غير العظم المحيط به، فإنک لاـ تـدرک من كـل شـىء إلاـ غلافه و قشره، و ما أبعـدک عن درک الحقائق، فإن هـذا يوجـد للبهائم و الميت، و لا تنزل عليه أنوار المعارف و العلوم و لا آثارها من الخشية و الهيبة و السرور، فإن أردت أن تستنشق شيئا من روائح هذه الأسرار- و ما أراک تريد- فقد أخذ الشيطان بمخنقک بحبال الشهوات، فعليک بباب التوحيد من أول كتاب التوكل إن أردته. و اعلم أن القرآن كالشمس، و فيضان أسـرار المعارف منه على القلب كفيضان أنوار الشـمس على الأرض، و سريان آثار الخوف و الخشية و الهيبة و سائر الأحوال منه على الاربعين فى اصول الدين، ص: ٣٣ الصدر كسـريان حرارة الشمس فى باطن الأرض، تابعا لإشراق الأنوار؛ فإن الخشية أثر نور المعرفة، و إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ٢٨]، فانتشـار الحركات و التغيرات إلى الجوارح من البكاء و العرق و الاقشـعرار و الارتعاد، منبعث من آثار الخشـية، و سائر الأحوال، كحركة أجزاء الأرض بتصاعد الأبخرة و الأدخنة منها، بتصـعيد حرارة الشمس، فالحركة تبع الحرارة، و الحرارة تبع النور، و النور تبع وقوع المحاذاة بين الأرض و الشـمس. فاجتهد بأن تحاذى بوجه قلبک شـطر شمس القرآن، و تستضـىء بأنواره. كذلک فإن لم تطق ذلک فأصغ إلى النداء الوارد من جانب الطّور الأيمن، فإن آنست من جوانبه نارا، فخذ منه قبسا و أشـعل منه سـراجا، فـإن كـان زيتک صافيا يكاد يضـىء و لو لـم تمسـسه نار، فإذا مسـته النار انبعث منه الضـياء، و وجـدت على النار هدى، و قام فى حقک مقام الشمس المنتشرة الإشراق و الضياء.

الأصل السادس: ذكر اللّه عز و جل فى كل حال

الأصل السادس: ذكر اللّه عز و جل فى كل حال: قال اللّه سـبحانه: وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال: ۴۵، الجمعة: ١٠]، و قال لنبيه صـلى اللّه عليه و سـلم: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [المزمل: ٨]، و قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «لذكر اللّه بالغداة و العشى أفضل من حطم السـيوف فى سبيل اللّه و من إعطاء المال سخاء»، و قال صلى اللّه عليه و سلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أذكاها عند مليككم، و أرفعها فى درجاتكم، و خير لكم من إعطاء الورق و الذهب، و خير لكـم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم و يضربون أعناقكم؟» قالوا: و ما ذاک يا رسول اللّه؟ فقال: «ذكر اللّه». و قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «سـبق المفردون سبق المفردون»، فقيل: و من هم يـا رسول اللّه؟ فقال: «المسـتهترون بـذكر اللّه، وضع ذكر اللّه عنهم أوزارهم فوردوا القيامـة خفافا». و اعلم أنه قـد انكشف لأرباب البصائر أن الـذكر أفضل الأعمال؛ و لكن له أيضا قشور ثلاثـة، بعضـها أقرب إلى اللب من بعض، و له لب وراء القشور الثلاثـة. و إنما

فضّل القشور لكونها طريقا إليه؛ فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط. و الثانى القلب إذ كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، و لو ترك و طبعه لاسترسل فى أودية الأفكار. و الثالث أن يستمكن الذكر من القلب و يستولى عليه، بحيث يحتاج إلى تكلف فى صرفه عنه إلى غيره، كما احتيج فى الثانى إلى تكلف فى قراره معه و دوامه عليه، و الرابع- و هو اللباب- أن يستمكن المذكور من القلب، و ينمحى الذكر و يخفى، و هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۴ اللّباب المطلوب؛ و ذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر و لا إلى القلب، بل يستغرق المذكور جملته؛ و مهما ظهر له فى أثناء ذلك التفات إلى الذكر، فذلك حجاب شاغل. و هذه الحالة التى يعبر عنها العارفون بالفناء، و ذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه، و لا من الأشياء الخارجة عنه، و لا من العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك و يغيب عنه جميع ذلك، ذاهبا إلى ربه أولا، ثم ذاهبا فيه آخرا، و إن خطر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب «۱» و كدورة؛ بل الكمال فى أن يفنى عن نفسه و يفنى عن الفناء أيضا، فإن الفناء عن الفناء غاية الفناء، و هذا قد يظنه الفقيه الرسمى، أنه طامّات «۲» غير معقولة، و ليس كذلك، بل هذه الحالة لهم- بالإضافة إلى محبوبهم- كحالتك فى أكثر الأحوال بالإضافة إلى محبوبك من جاه أو مال أو معشوق، فإنك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالفكر فى عدوك، و لشدة التفكر فى معشوقك، حتى لا يكون فيك متسع لشيء أصلا، فتخاطب فلا تفهم، و يجتاز بين يديك غيرك فلا تراه و عيناك مفتوحتان، و يتكلم عندك فلا تسمع و ما بأذنيك صمم، و أنت فى هذا الاستغراق غافل عن كل شيء و عن الاستغراق أيضا، فإن الملتفت إلى الاستغراق معرض عن المستغرق به. و إنما سمّوا هذه الحالة فناء، و إن كان الشخص و الظل باقيين، لأن الأشخاص و الأظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود، بل الوجود الحقيقى لعالم الأمر و الملكوت، و القلب من عالم الأمر؛ قال اللّه تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء: ۸۵]. و القوالب من عالم الخلق، و أعنى بالقلب «۳» اللطيفة الذاكرة العارفة التى هى مهبط الأنوار الإلهية دون القلب الظاهر، فإن ذلك من عوالم الخلق، فلا يفهم من هذا إشارة إلى قدم الروح و حدوث القالب بل هما جميعا حادثان. و إنما أعنى بالخلق ما تقع عليه المساحة و التقدير، و هى الأجسام و صفاتها. و أعنى بعالم الأمر ما لا يتطرق إليه التقدير. و العالم الجسمانى ليس له وجود حقيقى، بل هو من ذلك العالم كالظل من الأجسام، و ليس لظل الإنسان حقيقة الإنسان، و ليس للشخص حقيقة الوجود، بل هو ظل الحقيقة، و الكل من صنع اللّه تعالى. قال اللّه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۵ تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً، وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [الرعد: ۱۵]. و سجود عالم الأمر طوع للّه، و سجود الظلال كره، و تحته سرّ بل أسرار، تحرك أوائلها سلسلة المجانين الحمقى، فضلا عن أواخرها؛ فلنتجاوزها، فقد أفهمناك ما أرادوه بالفناء. فدع عنك الغيبة و التكذيب بما لم تحط بعلمه كما قال تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ [يونس: ۳۹]، و قال تعالى: وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ [الأحقاف: ۱۱]. فإذا فهم الفناء فى المذكور فاعلم أنه أول الطريق، و هو الذهاب إلى اللّه عز و جل، و إنما الهدى بعده؛ أعنى بالهدى هدى اللّه، كما قال الخليل- صلوات اللّه عليه- إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ [الصافات: ۹۹]. فأول الأمر ذهاب إلى اللّه، ثم ذهاب فى اللّه، و ذلك هو الفناء و الاستغراق به. و لكن هذا الاستغراق أولا يكون كبرق خاطف قلّ ما يثبت و يدوم. فإن دام ذلك صارت عادة راسخة و هيئة ثابتة، عرج به إلى العالم الأعلى و طالع الوجود الحقيقى الأصفى، و انطبع له نقش الملكوت، و تجلى له قدس اللاهوت، و أول ما يتمثل له من ذلك العالم: جواهر الملائكة و أرواح الأنبياء و الأولياء فى صورة جميلة، يفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق- و ذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، فيكافح بصريح الحق فى كل شيء، فإذا رد إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظلال، نظر إلى الخلق نظر مترحّم عليهم، لحرمانهم من مطالعة جمال حظيرة القدس، و تعجب منهم فى قناعتهم بالظلال، و انخداعهم بعالم الغرور و عالم الخيال، فيكون معهم حاضرا بشخصه، غائبا بقلبه، متعجبا هو من حضورهم، و يتعجبون هم من غيبته. فهذه ثمرة لباب الذكر، و إنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلّفا، ثم ذكر القلب طبعا، ثم استيلاء المذكور و انمحاء الذكر، و هذا سرّ قوله صلى اللّه عليه و سلم: «من أحبّ أن يرتفع فى رياض الجنة فليكثر ذكر اللّه عز و جل»، بل سرّ قوله: «يفضل الذّكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا». و اعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك، تسمعه

الحفظة، فإن شعورهم يقارن شعورك، و فيه سر، حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية، فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة. و ما دام القلب يشعر بالذكر، و يلتفت إليه، فهو معرض عن اللّه عز و جل، و غير منفكّ عن شرك خفيّ حتى يصير مستغرقا بالواحد الحقّ؛ فذلك هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۶ التوحيد. و كذلك القول فى المعرفة، فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثانى، و من وجدها، كمثل أن لا يجدها بل يجد المعروف بها، فهو الذى استمكن من حقيقة الوصال، و حل بحبوحة حظيرة القدس، فإن قلت: فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء؟ فاعلم أن هذه قصة يطول فيها نظر الناظر، و ذلك إذا تأملت لم تقصّر عن أن تدرك كون الحواس و عوارض النفس و شهواتها، جاذبة إلى هذا العالم المحسوس، و هو عالم الزور و الغرور، و لذلك يكشف صريح الحق بالموت، لبطلان سلطان الحواس و الخيالات المولية بوجه القلب إلى عالم السفل؛ فإن قصّر عنك سلطان الحواس بالنوم، طولعت بشيء من الغيب على قدر استعدادك و قبولك و همّتك، و لكن بمثال يحتاج إلى التعبير. و ما عندى أنك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطّلعت بها على أمر مستقبل، لكن الخيال لا يفتر فى النوم و إن ركدت الحواس؛ فلذلك يضعف الاطلاع و لا يخلو من شوب المثال. و أما الفناء، فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس و لا تشتغل، و يسكن فيها الخيال و لا يشوّش؛ فإن بقيت فى الخيال بقية مغلوبة، لم يؤثر إلا فى محاكاة ما يتجلى من عالم القدس، حتى يتمثل الأنبياء و الملائكة و الأرواح المقدسة فى قوالب الخيال. فهذه أمور نبهت عليها لتكون متشوقا إلى أن تصير من أهل الذوق لها، فإن لم تكن، فمن أهل العلم بها، فإن لم تكن، فمن أهل الإيمان بها، و يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ [المجادلة: ۱۱]. و إياك أن تكون من المنكرين لها، فتلقى العذاب الشديد، إذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذى كنت منه تحيد، و قيل لك: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن الإيمان و العلم و الذوق ثلاث درجات متباعدة، فإن العنّين «۱» مثلا يتصور أن يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره، بأن يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به و لا يتهمه بالكذب، و ذلك إيمان، و يتصور أن يعلم بالبرهان وجوده لغيره، و هو علم؛ و مأخذه قياس أن ينظر إلى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع، و كل ذلك بعيد عن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۷ إدراك حقيقة الشهوة بوجودها له. و كذلك المرض يعرفه العامى الصحيح و يؤمن به، و يعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان و هو علم، و من لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق. فكذلك القول فى الفناء فى التوحيد؛ فالذوق مشاهدة، و العلم قياس، و الإيمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة. فاجتهد ان تصير من أهل المشاهدة، فليس الخبر كالمعاينة. فإن قلت: لقد عظّمت أمر الذكر فهل هو أفضل أم قراءة القرآن؟ فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلّهم إلا للذاهب إلى اللّه عز و جل؛ و هو أفضل للذاهب إلى اللّه فى جميع أحوال بدايته، و فى بعض أحواله فى نهايته؛ فإن القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف و الأحوال و الإرشاد إلى الطريق، فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق و تحصيل المعارف، فالقرآن أولى به، فإن جاوز ذلك و استولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له أن يفضى به ذلك إلى الاستغراق، فمداومة الذكر أولى به، فإن القرآن يجاذب خاطره، و يسرح به فى رياض الجنة، و المريد الذاهب إلى اللّه تعالى، لا ينبغى أن يلتفت إلى الجنة و رياضها، بل ينبغى أن يجعل همه همّا واحدا، و ذكره ذكرا واحدا، حتى يدرك درجة الفناء و الاستغراق، فلذلك قال اللّه عز و جل: وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت: ۴۵]، و كذلك من ينتهى إلى درجة الاستغراق و لا يدوم و لا يثبت عليه، فإذا ردّ الى نفسه فقد تنفعه تلاوة القرآن؛ و هذه حالة نادرة عزيزة، كالكبريت الأحمر، يتحدث به و لا يوجد. فتكون تلاوة القرآن أفضل مطلقا؛ لأنه أفضل فى كل حال، إلا فى حال من شغله المتكلم عن الكلام، إذ لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن، و معرفة جماله و الاستغراق به، و القرآن سائق إليه و هاد نحوه، و من أشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق. فإن قلت: فأىّ الأذكار أفضل؟ فاعلم أن الأفضل- كما ذكرناه- استيلاء المذكور على القلب؛ و هو شيء واحد لا كثرة فيه، حتى يختار أفضله، و ذلك عين الجمع و التوحيد، و إنما التفرقة و الكثرة قبل ذلك، فذلك ما دمت فى مقام الذكر باللسان و القلب، و عند هذا قد ينقسم الذكر إلى الأفضل و غير الأفضل، و فضله بحسب الصفات التى يعبّر عنها بالأذكار. و الصفات و الأسماء الواردة فى حق اللّه سبحانه، تنقسم إلى ما هو حقيقة فى حق الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۸ العباد، و مؤولة فى

حقه سبحانه، کالصبور و الشکور و الرحیم و المنتقم. و إلی ما هو حقیقة فی حقه سبحانه، و إذا استعمل فی حق غیره کان مجازا. فمن أفضل الأذکار: «لا إله إلّا اللّه الحیّ القیّوم» فإن فیه اسم اللّه الأعظم، إذ قال صلی اللّه علیه و سلم: «اسم اللّه الأعظم فی آیة الکرسی و أول آل عمران» و لا یشترکان إلا فی هذا، و له سرّ یدقّ «۱» عن فهمک ذکره. و القدر الذی یمکن الرمز إلیه أن قولک: «لا إله إلا اللّه» یشعر بالتوحید، و معنی الوحدانیة فی الذات و الرّبّیّة حقیقی فی حق اللّه عز و جل، غیر مؤوّل بل هو فی حق غیره مجاز و مؤوّل. و کذلک الحی فإن معنی الحی هو الذی یشعر بذاته و یعلم ذاته، و المیت هو الذی لا خبر له من ذاته، و هذا أیضا حقیقی للّه تعالی، غیر مؤوّل، و القیوم: یشعر بکونه قائما بذاته، و أن کل شیء قوامه به؛ و هذا أیضا حقیقی للّه عز و جل غیر مؤوّل، و لا یوجد لغیره. و ما عداها من الأسماء الدالة علی الأفعال کالرحیم و المقسط و العدل و غیره، فهو دون ما یدل علی الصفات؛ لأن مصادر الأفعال هی الصفات، و الصفات أصل، و الأفعال تبع. و ما عداها من الصفات التی تدل علی القدرة و العلم و الإرادة و الکلام و السمع و البصر، فذلک مما یظن أن الثابت منها للّه عز و جل مفهوم من ظواهرها. و هیهات، فإن المفهوم من ظواهرها أمور تناسب صفات الإنسان و کلامه و قدرته و علمه و سمعه و بصره، بل لها حقائق یستحیل ثبوتها للإنسان، فیستخرج من هذه الأسامی بنوع من التأویل. فهذا ینبهک علی ما یحتمله فهمک من اختصاص هذه الکلمات بکونها أعظم، و یقرب منه قولک: «سبحان اللّه و الحمد للّه، و لا إله إلا اللّه و اللّه أکبر» لأن «سبحان اللّه» للتقدیس، و هو حقیقی فی حقه؛ فإن القدس الحقیقی لا یتصور إلّا له تعالی. و قولک: «الحمد للّه» یشعر بإضافة النعم کلها إلیه، و هو حقیقی، إذ هو المنفرد بالأفعال کلها تفردا حقیقیا بلا تأویل، و هو- تبارک و تعالی- المستوجب الحمد وحده، إذ لا شرکة لأحد معه فی فعله أصلا، کما لا شرکة للقلم مع الکاتب فی استحقاق المحمدة عند حسن الخطّ. و اعلم أن کل من سواه ممن تری منه نعمة، فهو تعالی مسخر له کالقلم، فهذا مثال ینبهک علی تفرده باستحقاق الحمد. و قولک: «لا إله إلا اللّه»، فقد عرفت أنه الاربعین فی اصول الدین، ص: ۳۹ التوحید الحقیقی. و قولک: «اللّه أکبر»، فلیس المعنی به أنه أکبر من غیره، إذ لیس معه- سبحانه- غیره حتی یقال أکبر منه، بل کل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته. و لیس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعیّة، حتی یقال إنها أکبر منه؛ بل رتبة التبعیة؛ بل معناه أنه- عز و جل- أکبر من أن ینال بالحواس، أو یدرک جلاله بالعقل و القیاس، بل أکبر من أن یدرک کنه جلاله غیره، بل أکبر من أن یعرفه غیره، فإنه لا یعرف اللّه- تبارک و تعالی- إلا اللّه، فإن منتهی معرفة عباده، أن یعرفوا أنه یستحیل منهم معرفته الحقیقة. و لا یعرف ذلک أیضا بکماله إلا نبی أو صدّیق، أما النبیّ، فیعبر عنه و یقول: «لا أحصی ثناء علیک، أنت کما أثنیت علی نفسک»، و أما الصّدیق فیقول: «العجز عن درک الإدراک إدراک». فإن تشوّقت إلی زیادة تحقیق فی هذا المعنی و استنکرت قولی: «لا یعرف اللّه إلا اللّه» فاطلب معرفة حقیقته بالبرهان من کتاب المقصد الأقصی فی معانی أسماء اللّه الحسنی، و یکفیک الآن هذا القدر من الرموز إلی أسرار الذکر، و فضل الأذکار منها.

الأصل السابع فی طلب الحلال

فصل اعلم أن طیب المطعم له خاصیة عظیمة فی تصفیة القلب

فصل اعلم أن طیب المطعم له خاصیة عظیمة فی تصفیة القلب و تنویره و تأکید استعداده لقبول أنوار المعرفة، و فیه سر لا یحتمل هذا الکتاب ذکره؛ و لکن ینبغی أن تفهم أن درجات الورع أربع: الدرجة الأولی: هی التی یجبّ «۱» الفسق باقتحامها، و تزول العدالة بزوالها، و هی التی یحرمها فتوی الفقهاء. الثانیة: ورع الصالحین؛ و هو الحذر عما یتطرق إلیه احتمال التحریم، و إن أفتی المفتی بحله بناء علی الظاهر، و هو الذی قال فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «دع ما یریبک إلی ما لا یریبک». الثالثة: ورع الیقین؛ قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «لا یبلغ العبد درجة المتّقین حتی یترک ما لا بأس به حذارا و مخافة مما به بأس». و قال عمر- رضی اللّه عنه-: «کنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فی الحرام». و من هذا الأصل کان بعضهم إذا استحق مایة درهم اقتصر علی تسعة و

تسعين، و يترک الواحد حاجزا بينه و بين النار لخوف الزيادة، و کان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة، و يعطى ما يعطى بزيادة حبة؛ و لـذلک أخذ عمر بن عبد العزيز- رحمة اللّه عليه- أنفه حذرا من ريح المسک لبيت المال کان يوزن بين يديه، و قال: «هل ينتفع إلا بريحه؟»، و من ذلک أن يتورع عن الزينـة و أکل الشـهوات، خيفـة من أن تغلب النفس فتـدعوه إلى الشـهوات المحظورة. و من ذلک ترک النظر إلى تجمـل أهـل الـدنيا، فإنه يحرک دواعى الرغبـة فى الـدنيا؛ و لـذلک قال اللّه تعالى: وَ لا تَمُـدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الـدُّنْيا [طه: ۱۳۱]. و لـذلک قال عيسـى ابن مريـم- عليه السـلام-: «لا تنظروا إلى أموال أهل الـدنيا، فإن بريق أموالهم يـذهب بحلاوة إيمانکم». و لـذلک قال السـلف: «من رقّ ثوبه رق دينه». فالحلال الطلق الطيب کل حلال انفکّ عن مثل هذه المخافـة و لم يوجـد فيها. الرابعـة: ورع الصـدّيقين، و هو الحذر عن کل ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة اللّه تعالى إذا کان قد يتطرق إلى بعض أسبابها معصية. فمن ذلک ما حکى أن ذا النون الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۱ المصرى کان محبوسا جائعا، فبعثت إليه امرأة صالحـة من طيّب مالها طعاما على يـد السـجان، فلم يأکل منه و اعتـذر أنه جاءنى على طبق ظالم أى يد السـجّان. و من ذلک أن بشـر الحافى کان لا يشـرب الماء من الأنهار التى حفرها السـلاطين. و أطفأ بعضـهم سراجا أشعله غلامه من بيت ظالم. و شرب بعضهم دواء فأشارت إليه امرأته بالمشـى و التردد، فقال: هـذه مشـية لا أعرف لها وجها، و أنا أحاسب نفسـى على جميع حرکاتى. و هذه رتبة أقوام وفوا بقوله تعـالى: قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِـهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعـام: ۹۱]، فعـدّوا کـل مـا لم يکن للّه تعالى حراما. و ليس هـذا من عشّک «۱» و عش ناصـحک، فادرج و اجتهد أن تفىء بورع العدول الذى تفتى به الفقهاء. نعم ينبغى أن تضـيف إليه شيئين: أحدهما أن تحـذر عن مواقع غرورهم، و لاـ تلتفت إلى قولهم: «من وهب فى آخر السـنة مـاله زوجته، و استوهب منهـا مالهـا، سـقطت الزکـاة عنهمـا». فإنهم إن عنوا به أن السـلطان لا يطالبهم بالزکاة، لأن مطمـح نظره ظاهر الملک فهو صـدق؛ و درجـة الفقهاء و فتواهم ذکر ما يتعلق بـالظواهر فيحکمون بالبراءة عن الزکاة إذا سـقط طلب الساعى، و يحکمون بصـحة الصـلاة إذا امتنع القتل على السـلطان بجريان صورة الصلاة «۲»؛ إذ ليس بأيـديهم من القوانين إلا القانون الـذى يسـتعمله السـلطان فى السـياسة لينتظم أمر المعيشة الدنيوية التى هى منزل من منازل الطريق کما سـبق. و أما أنت، إذا کنت تنظر فيما ينفعک غـدا عنـد جبّار الجبابرة، و سـلطان السـلاطين، فلا تلتفت إلى هـذا، و اعلم أن مقصود الزکاة إزالة رذيلة البخل فإنه مهلک کما قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم: «ثلاث مهلکات: شحّ مطاع، و هوى متّبع، و إعجاب المرء بنفسه». و هبـة مال الزکاة لأجل درء الزّکاة، تجعل الشحّ مطاعا، فإنه يصـير مطاعا بإجابته إلى ما يقتضـيه. و قبـل هـذا لم يکن مطاعا، فکيف يکون ذلک منجيا؟ و کـذلک من يسـىء معاشـرة زوجته حتى تنفکّ له من المهر، فلا يحل له المهر بينه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۲ و بين اللّه- عز و جل- و إن کان الفقيه يفتى بسـقوط المهر و صحة الإبراء؛ لأن اللّه تعالى قال: «فإن طبن لکم عن شـىء منه نفسا فکلوه هنيئا مريئا»؛ و ليس هـذا طيبـة النفس بل طيبة القلب. و الفقيه لا يميز بين الأمرين، لأن شـغفه بقطع الخصومات الظاهرة لا غير. و الحجامة و شرب الدواء البشيع لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب، و کذلک کلّ ما يأباه الطبع و يريده العقل لمصلحة البدن فى العاقبة. و هذا باب طويل، و أصله أن لا تستحلّ مال غيرک إلا برضاء مطلق صاف. و ينبغى أن لا تأکل من السؤال، فـإن سـألت فاحـذر أن تسأل على الملأ؛ فربمـا يعطى بالحياء، و ذلک ليس مقرونا بالرضاء، فإن المستحى يؤثر ألم إزالة الملک على ألم الحياء. و لا فرق بين أن تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط، و بين أن تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء، فالکل مصادرة. و احـذر أيضـا أن يعطيـک بالـدّين، و ذلک بأن يعطيک لظنه أنک ورع تقىّ فتأکل بالـدين؛ و يکون من شـرط حلّه، أن لا يکون فى باطنـک مـا لو اطلع عليه المعطى لاـ متنع من الإعطاء؛ فلا فرق بين من يأخـذ بالتصوّف و التقوى، و ليس هو متصـفا به باطنا، و بين من يزعم أنه علوى ليعطى و هو کـاذب. و کـل ذلـک حرام عنـد ذوى البصـائر و إن أفتى الفقيه بالحـل بنـاء على الظـاهر. الفن الثانى: أن تراجع قلبک، و إن أفتوک، فإن الإثم حزّاز القلوب، فالذى يضرک ما حاک فى قلبک، و لذلک قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «استفت قلبـک و إن أفتوک و أفتوک». و هـذا السـر طويـل ذکره، و لکن اعلم على الجملـة أن المحـذور من الحرام إظلام القلب، و المطلوب من الحلال تنويره، و ذلک يتشـعب من اعتقادک لا من نفس المعتقـد. فمن وطئ امرأة على أنها أجنبيـة، فإذا هى منکوحته

حصل إظلام القلب، و لو وطئ أجنبیـة علی ظن أنها زوجته لم یحصل. و کـذلک فی النجاسات و الطهارات المؤثّرة فی تنویر القلب و همـک و اعتقـادک؛ فمـا أمرت بـأن تصـلی و ثوبـک طاهر، بل أن تصـلی و أنت تعتقـد أنه طاهر. فاستشـعار الطهارة مؤثّر فی إشـراق القلب، و إن لم یکن علی وفق الحال؛ و لـذلک نقول: إن من صـلی ثم تذکر أنه کان معه نجاسة، فلیس علیه الإعادة علی الأصح؛ لأنه صلی اللّه علیه و سلمخلع نعلیه فی أثناء صـلاته لما أخبره جبریل- علیه السـلام- بأن علیهما قـذرا، و استمر فیها. و لذلک یشدد الأمر علی الموسـوس، فـإنه مـا لم یطمئن قلبه الاربعین فی اصـول الـدین، ص: ۴۳ باعتقـاده الطهـارة، فیجب علیه الاسـتقصاء و المعاودة، و أولئـک قوم شـددوا علی أنفسـهم فشـدد اللّه علیهم، فهلکوا باسـتقصائهم کمـا قـال علیه السـلام: «هلک المتنطّعون» «۱». فکذلک فی الحلال، أنت متعبد بما یطمئن إلیه قلبک، لا بما یفتی به المفتی، فاستفت قلبک.

فصل إیاک أن تشدد علی نفسک فتقول: أموال الدنیا کلها حرام

فصـل إیـاک أن تشـدد علی نفسک فتقول: أموال الـدنیا کلها حرام ، و قـد أخبثتها الأیـدی العادیـة «۲»، و المعاملات الفاسـدة، فأقنع بالحشـیش مترهبـا، أو أتنـاول من الجمیع متوسـعا، لاـ أفصـل فیه بین حلال و حرام. بل اعلم قطعا، أن الحلال بیّن «۳» و الحرام بیّـن، و بینهما أمور متشابهات. کـذلک کان فی عصـر رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم و کـذلک یکون أبـد الدهر. فاسـتمد من السـر الذی ذکرناه، فإنک غیر متعبّد بما هو فی نفسه حلال، بل بما هو فی اعتقادک حلال، لا تعرف سببا ظاهرا فی تحریمه؛ فقد توضأ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سـلم من مزادة «۴» مشـرک، و توضأ عمر- رضـی اللّه عنه- من جرة نصـرانیة. و لو عطشوا لشـربوا منه؛ و شـرب الماء النجس حرام، و لکن استصـحبوا یقین الطهارة، و لم یترکوها لتوهم النجاسـة. و کـذلک کل مال صادفته فی ید رجل مجهول عندک حاله، فلک أن تشتری منه و تأکل من ضـیافته، تحسـینا للظن بالمسـلم؛ فإن الأصل أن ما فی یـده فهو حلال، و ما تصادفه فی ید رجل عرفته بالصلاح فهو أولی بأن تعتقده حلالا. نعم یجب الحذر مما تصادفه فی ید سلطان ظالم، أو رجل عرفته بالرّبا أو بیع الخمر. فیجب الحذر منه حتی تسأل و تستقصی، و تعرف من أین حصل له. فإن ظهر لک جهة حصوله و أنه حلال، فلک أخذه، و إلا فلا. فالاعتماد علی العلامـة الظـاهرة، و هی قرینـة حـاله. و هـذا إذا کان أکثر أمواله کـذلک، فإن کان أکثرها حلالا فلک أن تأکل منه؛ و إن ترکته فـذلک ورع؛ فقـد الاربعین فی اصول الدین، ص: ۴۴ کتب بعض و کلاـء ابن المبارک من البصـرة إلیه یسأله عن معاملـة رجل یعامل السـلطان، فقال: «إن کان لا یعامل غیر السـلطان فلا تعامله، و إن کان یعامل غیره أیضا فعامله». و بالجملة، الناس فی حقک ستة أقسام: أحـدهم أن یکون مجهولا، فکل من ماله و الحـذر لیس بواجب، بل هو محض الورع. الثانی: أن تعرفه بالصـلاح فکل منه و لا تتورّع، فـالورع فیه وسوسـة؛ فإن أدی إلی الأذی و الإیحاش فهو معصـیة و حرام، لما فیه من الإیـذاء، و لما فیه من سوء الظن بالرجل الصالـح. الثالث: أن تعرفه بالظلم و الربا حتی علمت أن کل ماله أو أکثره حرام کالسـلاطین الظلمـة و غیرهم، فمالهم حرام. الرابع: أن تعرف أن أکثر أمواله حلـل، و لکن لاـ یخلو من حرام، کرجل له تجارة و میراث، و هو مع هـذا فی عمل السـلطان، فلک الأخـذ بالأغلب، لکن الترک من الورع المهم. الخـامس: أن یکون مجهولاـ عنـدک، لکن تری علیه علامـة الظلم، کالقبـاء و القلنسوة و هیئـة الظلمـة، فهـذه علامـة ظاهرة توجب الحذر، فلا تأکل من ماله إلا بعد التفتیش. السادس: إن تری علیه علامة الفسق لا علامة الظلم، کطول الشارب، و انقسام شعر الرأس قزعا «۱»، و رأیته یشتم غیره، أو ینظر إلی امرأة؛ فإن علمت له مالا موروثا أو تجارة لم یحرّم ماله بذلک، و إن کان أمره مجهولا عنـدک فهـذا فیه خطر، لأن علامة الفسق أضـعف دلالة من علامة الظلم؛ و لکن الأظهر عندی أنه لا یحرّم ماله لأن ظاهر الیـد و الإسـلام یـدل علی الملک دلالـة أظهر من دلالـة هـذه العلامات علی التحریم؛ و لیست هذه الدلالة أقوی من دلالة النصـرانیة و المجوسـیة علی نجاسة الماء، و لم یلتفت إلیهما رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و لا عمر- رضی اللّه عنه-. أما علامة الظلم، فتضاهی «۲» مـا إذا رأینـا ظبیـة تبول فی ماء، ثم وجـدنا الماء متغیرا، فأمکن أن یکون من طول المکث، و أمکن أن یکون من البول، فإنه یجب اجتنابه إحالة علی السـبب الظاهر. ثم وراء ذلک کله، علیه أن یستفتی قلبه، فإذا وجد فی قلبه حزازة «۳» فلیجتنبه، فالإثم حزازة القلوب

و حكاكات الصدور. و لكن هاهنا دقيقة «۴» الاربعین فی اصول الدین، ص: ۴۵ يغفل عنها أهل الورع، و هي أنه حيث يكون الترك من الورع أو من حزازة في النفس، فلا يجوز الترك و السؤال بحيث يؤذي؛ فالمجهول إذا قدم إليك طعاما، فإن سألته من أين؟ استوحش و تأذّى؛ و الايذاء حرام، و سوء الظن حرام. و إن سألته عن غيره بحيث يدرى زاد الإيذاء. و إن سألت بحيث لا يدرى فقد تجسست و أسأت الظن، و بعض الظن إثم، و تساهلت بالغيبة و التهمة، و كل ذلك حرام. و ترك الورع ليس بحرام، فليس لك إلا التلطف بالترك، فإن لم يكن إلا بإيذاء، فعليك أن تأكل، فإن طيبة قلب المسلم و صيانته عن الإيذاء أهم من الورع. فإياك أن تكون من القرّاء المغرورين الذين لا يدركون دقائق الورع. و اعلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أكل من صدقة بريرة و لم يسأل عن المتصدق. و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تحمل إليه الهدايا فيقبل و لا يسأل. نعم سأل في أول قدومه إلى المدينة عما حمل إليه هل هو صدقة أو هدية؟ لأن ذلك ليس فيه إيذاء، و لأن قرينة الحال كانت تقتضي الإمكان في الصدقة و الهدية على وتيرة واحدة. و كان صلى اللّه عليه و سلم يدعى إلى الضيافات فيجيب و لا يسأل و لم ينقل السؤال إلا نادرا في محل الريبة. فإن قلت: فإن وقع طعام حرام في سوق فهل يشترى من ذلك السوق؟ فأقول: إن تحققت أن الحرام هو الأكثر فلا تشتر إلا بعد التفتيش، و إن علمت أن الحرام كثير و ليس بالأكثر فلك الشراء. و التفتيش من الورع؛ و لقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه- رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين- يشترون في أسفارهم من الأسواق، مع علمهم بأن فيها أهل الربا و الغصب و أهل الغلول «۱» في الغنيمة، و كانوا لا يتركون المعاملة معهم. و هذا الباب يستدعي شرحا طويلا، فإن رغبت فيه فطالع كتاب الحلال و الحرام من كتب الإحياء لتشهد عند مطالعته بأنه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق و التحصيل و الإحاطة بجميع التفاصيل.

الأصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين و حسن الصحبة معهم

فصل من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذ الإخوان في اللّه عز و جل

فصل من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذ الإخوان في اللّه عز و جل ، قال اللّه تعالى الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵۲ لبعض أنبيائه: «أما زهدك في الدنيا فقد استعجلت الراحة، و أما انقطاعك إليّ فقد تعززت بي، فهل واليت فيّ وليا، و هل عاديت فيّ عدوّا؟». و قال صلى اللّه عليه و سلم: يقول اللّه يوم القيامة: «أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي و لا ظل إلا ظلي». و أوحى اللّه سبحانه إلى عيسى- عليه السلام-: «لو أنك عبدتني بعبادة أهل السّماوات و الأرض، و حب في اللّه ليس «۱»، و بغض في اللّه ليس، ما أغنى عنك ذلك شيئا». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور، و وجوههم نور، و ليسوا بأنبياء و لا شهداء، يغبطهم النبيون و الشهداء». فقالوا يا رسول اللّه حلّهم «۲» لنا من هم؟ فقال: «المتحابون في اللّه، و المتجالسون في اللّه، و المتزاورون في اللّه عز و جل». و اعلم أن كل حب لا يتصور دون الإيمان باللّه و اليوم الآخر، فهو حب في اللّه، و لكنه على درجتين: إحداهما: أن تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا يوصلك إلى الآخرة، كحبك أستاذك و شيخك، بل تلميذك الذي ينمو علمك بتعليمه، بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس بيتك و غسل ثوبك، لتتفرغ بسببه لطاعة اللّه تعالى، بل المنفق عليك من ماله، إذا كان غرضك من ذلك إفراغ القلب لعبادة اللّه تبارك و تعالى. الثانية: و هي أعلى، أن تحبه لأنه محبوب عند اللّه عز و جل و يحب اللّه، و إن لم يتعلق غرض به لك في الدنيا و الآخرة، من علم أو معونة على دين أو غيره؛ و هذا أكمل، لأن الحب إذا غلب تعدّى إلى كلّ من هو من المحبوب بسبب، حتى يحب الإنسان محب محبوبه، و محبوب محبوبه، بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوبه، و بين سائر الكلاب. و إنما سراية «۳» الحب بقدر غلبة الحب، و من أحب لقاء اللّه لم يمكنه أن لا يحبّ عباده الصالحين المرضيّين عنهم. إلا أن ذلك قد يقوى حتى يحمل على أن يسلك بهم مسلك نفسه، بل يؤثرهم على نفسه، و قد يقصّر عن ذلك، و فضلهم عنده ينقسم بقدر درجته و قوته. و كذلك يبغض لا محالة من يعصيه، و يخالف أمره، و يظهر أثر ذلك في مجانبته و مهاجرته

له، و تقطیبه الوجه عند مشاهدته، و لذلک قال صلی اللّه علیه و سلم: «لا تجعل لفاجر علیّ یدا فیحبه قلبی» حذرا من أن یقدح ذلک فی البغض فی اللّه. و بالجملۀ من لا- یصادف من الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵۳ نفسه الحب فی اللّه، و البغض فی اللّه بهذه الأسباب فهو ضعیف الإیمان، و هذا له تفصیل و تحقیق، فاطلبه من کتاب الصحبۀ و الأخوۀ فی اللّه تعالی.

الأصل التاسع فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر

فصل کل من شاهد منکرا و لم ینکره و سکت عنه، فهو شریک فیه

فصل کل من شاهد منکرا و لم ینکره و سکت عنه، فهو شریک فیه ؛ فالمستمع شریک المغتاب. و یجری هذا فی جمیع المعاصی، حتی فی مجالسۀ من یلبس الدیباج، و یتختم بالذهب، و یجلس علی الحریر، و الجلوس فی دار أو فی حمّام علی حیطانها صور أو فیها أوان من ذهب أو فضۀ، أو الجلوس فی مسجد یسیء الناس الصلاۀ فیه، فلا یتمون الرکوع و السجود و الجلوس، أو فی مجلس وعظ یجری فیه ذکر البدعۀ، أو فی مجلس مناظرۀ أو مجادلۀ یجری فیها الإیذاء و الإیحاش بالسّفه و الشتم. و بالجملۀ، من خالط الناس کثرت معاصیه، و إن کان تقیّا فی نفسه، إلا أن یترک المداهنۀ و لا تأخذه فی اللّه لومۀ لائم، و یشتغل بالحسبۀ «۱» و المنع. و إنما یسقط عنه الوجوب بأمرین: أحدهما: الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵۴ أن یعلم أنه إن أنکر لم یلتفت إلیه و لم یترک المنکر و نظر إلیه بعین الاستهزاء، و هذا هو الغالب فی منکرات ترتکبها الفقهاء؛ و من یزعم أنه من أهل الدین فههنا یجوز السکوت، و لکن یستحب الزجر باللسان، إظهارا لشعار الدین، مهما لم یقدر علی غیر الزجر باللسان، و یجب ان یفارق ذلک الموضع، فلیس یجوز مشاهدۀ المعصیۀ بالاختیار؛ فمن جلس فی مجلس الشرب فهو فاسق و إن لم یشرب، و من جالس مغتابا أو لابس حریر أو آکل ربا أو حرام، فهو فاسق فلیقم من موضعه. و الثانی: أن یعلم أنه یقدر علی المنع من المنکر بأن یری زجاجۀ فیها خمر فیرمیها فتکسر، أو یسلب آلۀ الملاهی من یده و یضربها علی الأرض. و لکن یعلم أنه یضرب أو یصاب بمکروه، فههنا یستحب الحسبۀ لقوله تعالی: وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ اصْبِرْ عَلی ما أَصابَکَ [لقمان: ۱۷] و لا یجب إلا أن یکون المکروه الذی یصیبه له درجات کثیرۀ یطول النظر فیها، ذکرناها فی کتاب الأمر بالمعروف من الإحیاء. و علی الجملۀ، فلا یسقط الوجوب إلا بمکروه فی بدنه بالضرب، أو فی ماله بالاستهلاک، أو فی جاهه بالاستخفاف به بوجه یقدح فی مروءته. فأما الخوف من استیحاش المنکر علیه، و خوف تعرضه له باللسان و عداوته له، أو توهم سعیه له فی المستقبل بما یسوؤه أو یحول بینه و بین زیادۀ خیر یتوقعها، فکلّ ذلک موهومات و أمور ضعیفۀ لا یسقط الوجوب بها.

فصل عمدۀ الحسبۀ شیئان

فصل عمدۀ الحسبۀ شیئان: أحدهما: الرفق و اللطف و البدایۀ بالوعظ علی سبیل اللین لا علی سبیل العنف، و الترفع و الإذلال بدالّۀ الصلاح، فإن ذلک یؤکد داعیۀ المعصیۀ، و یحمل العاصی علی المناکرۀ و علی الإیذاء. ثم إذا أذاه و لم یکن حسن الخلق غضب لنفسه، و ترک الإنکار للّه تعالی، و اشتغل بشفاء غلیله منه، فیصیر عاصیا، بل ینبغی أن یکون کارها للحسبۀ، یودّ لو ترک المعصیۀ بقول غیره، فإنه إذا أحب أن یکون هو المتعرض، کان ذلک لما فی نفسه من دالۀ الاحتساب و عزته. و قال علیه السلام: «لا یأمر بالمعروف و لا- ینهی عن المنکر إلا- رفیق فیما یأمر به، رفیق فیما ینهی عنه، حلیم فیما یأمر به، حلیم فیما ینهی عنه، فقیه فیما یأمر به، فقیه فیما ینهی عنه». و وعظ المأمون- رحمۀ اللّه علیه- واعظ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵۵ بعنف فقال: «یا رجل ارفق فقد بعث اللّه تعالی من هو خیر منک إلی من هو شرّ منی فأمره بالرفق. فقال اللّه تعالی: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَیِّناً لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی [طه: ۴۴]». و روی أبو أمامۀ الباهلی- رضی اللّه عنه- أن غلاما شابّا أتی النبی صلی اللّه علیه و سلم، فقال: أ تأذن لی بالزنا؟ فصاح الناس به؛ فقال النبی

علیه السلام: «أقرّوه أقرّوه أدن منی» فدنا منه، فقال علیه السلام: «أ تحبه لأمّک؟» فقال: لا، جعلنی اللّه فداک، قال علیه السلام: «کذلک الناس لا یحبونه لأمهاتهم»، ثم قال: «أ تحبه لابنتک؟»، قال: لا، قال: «کذلک الناس لا یحبونه لبناتهم»؛ حتی ذکر له الأخت و العمة و الخالة و یقول علیه السلام: «کذلک الناس لا یحبونه»، ثم وضع یده علی صدره و قال: «اللهم طهر قلبه، و اغفر ذنبه، و حصّن فرجه»، فلم یکن بعد ذلک شیء أبغض إلیه من الزنا. و قال بعضهم للفضیل: إن سفیان بن عیینة قبل جوائز السلطان، فقال: ما أخذ منهم إلا دون حقه. ثم خلا به و عاتبه بالرفق. فقال: «یا أبا علی، إن لم نکن من الصالحین فإنا نحب الصالحین». العمدة الثانیة: أن یکون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها، و ترک ما ینهی عنه أولا قال الحسن البصری: «إذا کنت تأمر بالمعروف فکن من آخذی الناس به و إلا هلکت» فهذا هو الأولی حتی ینفع کلامه و إلا استهزئ به. و لیس هذا شرطا، بل یجوز الاحتساب للعاصی أیضا؛ قال أنس: قلنا یا رسول اللّه، ألا نأمر بالمعروف حتی نعمل به کله؟ و لا ننهی عن المنکر حتی نجتنبه کله؟ قال علیه السلام: «بلی مروا بالمعروف و إن لم تعملوا به کله، و انهوا عن المنکر و إن لم تجتنبوه کله». و قال الحسن البصری: یرید أن لا یظفر الشیطان منکم بهذه الخصلة، و هو أن لا تأمروا بالمعروف حتی تأتوا به کله، یعنی أن هذا یؤدی إلی حسم باب الحسبة. فمن ذا الذی یعصم عن المعاصی؟

الأصل العاشر فی اتّباع السنة

فصل السبب المرغّب فی الاتباع فی هذه الأفعال

[فصل السبب المرغّب فی الاتباع فی هذه الأفعال] لعلک تشتهی الآن الوقوف علی السبب المرغّب فی الاتباع فی هذه الأفعال، و تستبعد أن یکون تحت ذلک أمر مهم یقتضی هذا التشدید العظیم فی المخالفة. فاعلم أن ذکر السر فی آحاد تلک السّنن طویل لا یحتمل هذا الکتاب شرحه. لکن ینبغی أن تفهم أن ذلک ینحصر فی ثلاثة أنواع من الأسرار: السرّ الأول: أنّا قد نبّهناک فی مواضع علی العلاقة التی بین الملک و الملکوت، و بین الجوارح و القلب، و کیفیة تأثر القلب بعمل الجوارح، فإن القلب کالمرآة، و لا تتجلی فیه حقائق الأشیاء إلا بتصقیله و تنویره و تعدیله. أما تصقیله، فبإزالة خبث الشهوات و کدورة الأخلاق الذمیمة. و أما تنویره فبأنوار الذکر و المعرفة، و یعین علی ذلک العبادة الخالصة إذا أدّیت علی کمال الخدمة بمقتضی السّنّة. و أما تعدیله، فبأن یجری فی جمیع حرکات الجوارح علی قانون العدل، إذ الید لا تصل إلی القلب حتی تقصد بتعدیله و تحدث فیه هیئة معتدلة صحیحة لا اعوجاج فیها، و إنما التصرف فی القلب بواسطة تعدیل الجوارح و تعدیل حرکاتها، و لهذا کانت الدنیا مزرعة الآخرة. و لهذا تعظم حسرة من مات قبل التعدیل، لانسداد طریق التعدیل بالموت، إذ تنقطع علاقة القلب عن الجوارح؛ فمهما کانت حرکات الجوارح، بل حرکات الخواطر أیضا موزونة بمیزان العدل، حدث فی القلب هیئة عادلة مستویة، تستعد لقبول الحقائق علی الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵۷ نعت الصحة و الاستقامة، کما تستعد المرآة المعتدلة لمحاکاة الصور الصحیحة من غیر اعوجاج. و معنی العدل: وضع الأشیاء مواضعها، و مثاله أن الجهات مثلا أربعة، و قد خص منها جهة القبلة بالتشریف؛ فالعدل أن تستقبل فی أحوال الذکر و العبادة و الوضوء، و أن تنحرف عنها عند قضاء الحاجة، و کشف العورة، إظهارا لفضل من ظهر فضله. و للیمین زیادة علی الیسار- غالبا لفضل القوة- فالعدل أن تفضلها علی الیسار، و تستعملها فی بعض الأعمال الشریفة، کأخذ المصاحف و الطعام، و تترک الیسار للاستنجاء و تناول القاذورات؛ و تقلیم الظفر مثلا، تطهیرا للید، فهو إکرام. فینبغی أن تبتدیء بالأکرم و الأفضل؛ و ربما لا یستقل عقلک بالتفطّن للترتیب فی ذلک و کیفیة البدایة، فاتبع فیه السنّة و ابتدئ بالمسبّحة من الیمنی؛ لأن الید أفضل من الرّجل، و الیمنی أفضل من الیسری. و المسبّحة- التی بها الإشارة فی کلمة التوحید- أفضل من سائر الأصابع. ثم بعد ذلک تدور من یمین المسبّحة. و للکفّ ظهر و وجه، فوجهه ما تقابله، فإذا جعلت الکفّ وجه الید، کان یمین المسبّحة من جانب الوسطی، فقدّر الیدین متقابلتین بوجهیهما، و قدّر الأصابع

كأنها أشخاص، فتدور بالمقراض من المسبّحة إلى أن تختم بإبهام اليمنى. كذلك فعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و الحكمة فى ذلك ما ذكرناه، فإذا أنت تعوّدت رعاية العدل فى دقائق الحركات، صارت العدالة و الصحة هيئة راسخة فى قلبك، و استوت صورها، و بذلك تستعد لقبول صورة السعادة؛ و لذلك قال اللّه تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]. فروح اللّه عزّ و جلّ مفتاح أبواب السعادة، و لم يكن نفخها إلا بعد التسوية. و معنى التسوية يرجع إلى التعديل؛ و فى ذلك سر طويل يطول شرحه، و إنما نريد الرمز إلى أصله؛ فإن كنت لا تقوى على فهم حقيقته، فالتجربة تنفعك. فانظر إلى من تعوّد الصدق كيف تصدق رؤياه غالبا؛ لأن الصدق حصل فى قلبه هيئة صادقة، يتلقى لوائح الغيب فى النوم على الصحة. و انظر كيف تكذب رؤيا الكذاب، بل رؤيا الشاعر، لتعوّده التخيلات الكاذبة، فاعوجّ لذلك صورة قلبه. فإن كنت تريد أن تلمح جنات القدس، فاترك ظاهر الإثم و باطنه، و اترك الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و اترك الكذب حتى فى حديث النفس أيضا. السرّ الثانى: أن تعلم أن الأشياء المؤثّرة فى بدنك بعضها إنما يعقل تأثيرها بنوع من الاربعين فى اصول الدين، ص: ٥٨ المناسبة إلى الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، كقولك: إن العسل يضرّ المحرورين و ينفع البارد مزاجه. و منها ما لا يدرك بالقياس، و يعبّر عنه بالخواص، و تلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس، بل مبدأ الوقوف عليها وحى أو إلهام؛ فالمغناطيس يجذب الحديد، و السقمونيا «١» تجذب خلط الصفراء من أعماق العروق، لا على القياس، بل بخاصية وقف عليها إما بالإلهام أو بالتجربة. و أكثر الخواص عرفت بالإلهام، و أكثر التأثيرات فى الأدوية و غيرها من قبل الخواص. فلذلك، فاعلم أن تأثيرات الأعمال فى القلب، تنقسم إلى ما هو يفهم وجه مناسبته، كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية يؤكد علاقته مع هذا العالم، فيخرج من العالم منكوس الرأس موليا وجهه إلى هذا العالم إذ فيه محبوبه؛ و كعلمك أن المداومة على ذكر اللّه تعالى تؤكد الأنس باللّه تعالى، و توجب الحب حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا، و القدوم على اللّه سبحانه. إذ اللذة على قدر الحب، و الحب على قدر المعرفة و الذّكر. و من الأعمال ما يؤثر فى الاستعداد لسعادة الآخرة أو لشقاوتها بخاصية ليست على القياس، لا يوقف عليها إلا بنور النبوة؛ فإذا رأيت النبيّ صلى اللّه عليه و سلم قد عدل عن أحد المباحين إلى الآخر، و آثره عليه مع قدرته عليهما، فاعلم أنه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه، و كوشف به من عالم الملكوت، كما قال صلى اللّه عليه و سلم: «يا أيها الناس إن اللّه أمرنى أن أعلمكم مما علمنى، و أؤدبكم مما أدبنى، فلا يكثرنّ أحدكم الكلام عند المجامعة، فإنه يكون منه خرس الولد، و لا ينظرن أحدكم إلى فرج امرأته إذا هو جامعها، فإنه يكون منه العمى، و لا يقبّلنّ أحدكم امرأته إذا هو جامعها فإنه يكون منه صمم الولد، و لا يديمنّ أحدكم النظر فى الماء فإنه يكون منه ذهاب العقل». و هذا مثال مما ذكرناه و أردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الأشياء، بالإضافة إلى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى اللّه عليه و سلم على ما يؤثر بالخاصية فى السعادة و الشقاوة فلا ترضى، فترضى لنفسك أن تصدق محمد بن زكريا الرازى المتطبب فيما يذكره من خواص الأشياء فى الحجامة و الأحجار و الأدوية، و لا تصدق سيد البشر محمد بن عبد اللّه الهاشمى المكّى المدنيّ- صلوات اللّه عليه و سلامه- فيما يخبر به عنها؛ و أنت تعلم أنه صلى اللّه عليه و سلم مكاشف من العالم الأعلى بجميع الاربعين فى اصول الدين، ص: ٥٩ الأسرار. و هذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه فى السرّ الأول. السر الثالث: أن سعادة الإنسان أن يتشبه بالملائكة فى النزوع عن الشهوات و كسر النفس الأمّارة بالسوء، و يبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى، التى تسترسل فى اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز. و مهما تعوّد الإنسان فى جميع الأمور أن يفعل ما يشاء من غير حاجز، ألف اتباع مراده و هواه، و غلب على قلبه صفة البهيمة، فمصلحته أن يكون فى جميع حركاته ملجما يصدّه عن طريق إلى طريق؛ كيلا تنسى نفسه العبودية، و لزوم الصراط المستقيم، فيكون أثر العبودية ظاهرا عليه فى كل حركة. إذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل بحسب الأمر، فلا ينفك فى جميع أحواله عن مصادمات الزمان بإيثار بعض الأمور على بعض. و من ألقى زمامه إلى يد كلب مثلا حتى لم يكن تصرفه و تردده بحكم طبعه بل بحكم غيره، فنفسه أقوم إلى قبول الرياضة الحقيقية، و أقرب و أقوى ممن جعل زمامه فى يد هواه، يسترسل بها استرسال البهيمة. و تحت هذا سرّ عظيم فى تزكية النفس، و هذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى اللّه عليه و سلم كيفما وضعه. و الفائدة الحكمية و

الخاصية لا تتغير بالوضع، و هذا يتغير بالوضع، فإن المقصود أن لا يكون مخلّى مع اختياره، و ذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أىّ جانب كان، و فى مثل هذا يتصور أن تختلف الشرائع لأنه ثمرة الوضع. فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع فى جميع الحركات و السكنات.

فصل التحريض كله الذى ذكر إنما هو فى العادات

[فصل التحريض كله الذى ذكر إنما هو فى العادات] هذا التحريض كله الذى ذكرته إنما هو فى العادات. و أما فى العبادات، فلا أعرف لترك السنة من غير عذر وجها إلا كفر خفىّ أو حمق جلىّ، بيانه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم إذ قال: «تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ «۱» بسبع و عشرين درجة». فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر؟ نعم، يكون السبب فى ذلك إما حمق أو غفلة بأن لا يتفكر فى هذا التفاوت العظيم. و من يستحقق غيره- إذا آثر واحدا على اثنين- كيف لا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۰ يستحقق نفسه إذا آثر واحدا على سبع و عشرين! لا سيما فيما هو عماد الدين و مفتاح السعادة الأبدية. و أما الكفر، فهو أن يخطر بباله أن هذا ليس كذلك، و إنما ذكره للترغيب فى الجماعة، و إلا فأىّ مناسبة بين الجماعة و بين هذا العدد المخصوص من بين سائر الأعداد؟ و هذا كفر خفىّ قد ينطوى عليه الصدر، و صاحبه لا يشعر به، فما أعظم حماقة من يصدق المنجم و الطبيب فى أمور أبعد من ذلك، و لا يصدق النبى المكاشف بأسرار الملكوت! فإن المنجّم لو قال لك: إذا انقضى سبعة و عشرون يوما من أول تحويل طالعك، أصابتك نكبة فاحترز فى ذلك اليوم، و اجلس فى بيتك! فلا تزال فى تلك المدة تستشعر و تترك جميع أشغالك؛ و لو سألت المنجم عن سببه لقال لك: إنما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع و موضع زحل سبعا و عشرين درجة، فتتأخر النكبة فى كل درجة يوما أو شهرا، فإذا قيل لك هذا هوس، إذ لا مناسبة له فلا تصدقن به، فلا يخلو قلبك عن الاستشعار. و تقول فى أفعال اللّه تعالى عجائب لا تعرف مناسبتها، و لعلها خواصّ لا تدركها؛ و قد عرف بالتجربة أن ذلك مما يؤثر، و إن لم تعرف مناسبته. ثم إذا آل الأمر إلى خبر النبوة عن الغيب، أنكرت مثل هذه الخواص و طلبت المناسبة الصريحة؛ فهل لهذا سبب إلا شرك خفىّ، لا بل كفر جلىّ؟ إذ لا محمل له سواه. و سبب هذا التكاسل كله، أنك لا يهمك أمر آخرتك، فإن أمر دنياك لما كان يهمك، فتحطاط فيه بقول المنجم و الطبيب، و بالاختلاج «۱» و الفأل و الأمور البعيدة عن المناسبة غاية البعد، و تنقاد إلى الاحتمالات البعيدة؛ لأن الشفيق بسوء الظن مولع، و لو تفكرت لعلمت أن هذا الاحتياط بالخطر الأبدى أليق. فإن قلت: ففى أى جنس من الأعمال ينبغى أن تتّبع السنّة؟ فأقول: فى كل ما وردت به السنّة؛ و الأخبار فى ذلك كثيرة، و ذلك لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «من احتجم يوم السبت و الأربعاء فأصابه برص فلا يلومنّ إلا نفسه». و قد احتجم بعض المحدثين يوم السبت، و قال: هذا الحديث ضعيف، فبرص و عظم ذلك عليه، حتى رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المنام فشكا إليه ذلك، فقال لم احتجمت يوم السبت؟ فقال: لأن الراوى كان الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۱ ضعيفا. قال: أ ليس كان قد نقل عنّى؟ فقال: تبت يا رسول اللّه. فدعا له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالشفاء فأصبح و قد زال ما به. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر كان دواء السّنة». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومنّ إلا نفسه». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمش فى نعل واحد حتى يصلح شسعه». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «و إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب، فإن لم يكن فتمر، فإنه لو كان شىء أفضل منه لأطعمه اللّه عزّ و جلّ مريم حين ولدت عيسى عليه السلام». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إذا أتى أحدكم بالحلواء فليصب منه، و إذا أتى أحدكم بالطيب فليمسّ منه». و أمثال ذلك فى العادات كثيرة، و لا يخلو شىء منها عن سرّ.

خاتمة فى ترتيب الأوراد و تنعطف على الأمور العشرة

خاتمة فى ترتيب الأوراد و تنعطف على الأمور العشرة: اعلم أن هذه العبادات التى فصلناها، منها ما يمكن الجمع بينها، كالصوم و

الصلاة و القراءة، و منها ما لا ـ یمکن الجمع بینها، کالقراءة و الذکر و القیام بحقوق الناس و الصلاة «۱»؛ فینبغی أن یکون من أهم أمورک توزیع أوقاتک علی أصناف الخیرات من صباحک إلی مسائک؛ و من مسائک إلی صباحک. و تعلّم أن مقصود العبادات تأکید الأنس بذکر اللّه عز و جل، للإنابة إلی دار الخلود، و التجافی عن دار الغرور. و لن یسعد فی دار الخلود إلا من قدم علی اللّه سبحانه محبّا له. و لا یکون محبّا له إلا من کان عارفا به، مکثرا لذکره. و لا یحصل المعرفة و الحب، إلا بالفکر و الذکر الدائم. و لن یدوم الذکر فی القلب، إلا بالمذکّرات، و هی العبادات المستغرقة للأوقات علی التعاقب. و لاختلاف أصنافها زیادة تأثیر فی التذکیر، و منع الملال، و سقوط أثره عن القلب بالدوام الذی ینتهی إلی حد الاعتیاد. نعم، إن کنت والها باللّه عز و جل، مستغرقا به، لم تفتقر إلی ترتیب الأوراد، بل الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۲ وردک واحد، و هو ملازمة الذکر. و ما أراک تکون کذلک، فإن ذلک من أعز الأمور. فإن لم تکن والها مستهترا، فعلیک أن ترتب أورادک، فأحد الأوراد هو من وقت انتباهک من النوم، إلی طلوع الشمس. و ینبغی أن تجمع فی هذا الوقت الشریف بعد الفراغ من الصلاة بین الذکر و الدعاء و القراءة و التفکیر، فإن لکل واحد أثرا آخر فی تنویر القلوب، و تعرف کیفیة ذلک و تفصیله من کتاب بدایة الهدایة و کتاب ترتیب الأوراد. و کذلک تفعل بین الطلوع و الزوال، و بین الزوال و الغروب و بین الغروب و العشاء، فإنها من أشرف الأوقات؛ لأن النشاط إنما یتوفر بأن تمیّز ورد کلّ وقت، لتکون فی کل وقت عبادة أخری تنتقل من بعضها إلی بعض. هذا إن کنت من العبّاد، فإن کنت معلّما أو متعلما أو والیا، فالاشتغال بذلک أولی فی بیاض النهار، و أفضل من العبادات البدنیة، لأن أصل الدین العلم الذی به یحصل التعظیم لأمر اللّه سبحانه، و النفع الذی یصدر عن الشفقة علی خلق اللّه تعالی. و کذلک إن کنت معیلا محترفا، فالقیام بحق العیال بکسب الحلال أفضل من العبادات البدنیة. و لکن فی جمیع ذلک لا ینبغی أن تخلو و تنفکّ عن ذکر اللّه تعالی، بل تکون کالمستهتر بمعشوقه، المدفوع إلی شغل من الأشغال لضرورة وقته، فهو یعمل ببدنه، و هو غائب عن عمله، حاضر بقلبه مع معشوقه. حکی عن أبی الحسن الجرجانی أنه کان یعمل بالمسحاة «۱» دائما و کان یقول: «أعطینا الید و اللّسان و القلب: فالید للعمل، و اللسان للخلق، و القلب للحق». و لنقتصر علی هذا القدر فی قسم الطاعات الظاهرة، ففیه الکفایة إن شاء اللّه. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۳

القسم الثالث فی تزکیة القلب عن الأخلاق المذمومة

اشاره

القسم الثالث فی تزکیة القلب عن الأخلاق المذمومة قال اللّه تعالی: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکَّی [الأعلی: ۱۴]، و قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکَّاها [الشمس: ۹]. و التزکیة هی التطهیر. و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «الطهور شطر الإیمان». فافهم منه أن کمال الإیمان، بتزکیة القلب عما لا یحبه اللّه عز و جل، و تحلیته بما یحبه اللّه؛ فالتزکیة شطر الإیمان. و کیف یشتغل بالطهارة من لا یعرف النجاسة. فلنذکر الأخلاق المذمومة، و هی کثیرة، و لکن نحتاج أن نردّ شعبها إلی عشرة أصول:

الأصل الأول شره الطعام

اشاره

الأصل الأول شره الطعام: و هو من الأمهات؛ لأن المعدة ینبوع الشهوات، إذ منها تتشعب شهوة الفرج. ثم إذا غلبت شهوة المأکول و المنکوح، یتشعب منها شره المال، إذ لا یتوصل إلی قضاء الشهوتین إلا به. و یتشعب من شهوة المال شهوة الجاه، إذ یعسر کسب المال دونه. ثم عند حصول المال و الجاه و طلبهما، تزدحم الآفات کلها، کالکبر و الریاء و الحسد و الحقد و العداوة و غیرها. و منبع جمیع ذلک البطن؛ فلهذا عظّم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أمر الجوع، فقال علیه السلام: «ما من عمل أحبّ إلی اللّه تعالی من الجوع و

العطش»، و قال: «لا یدخل ملکوت السماء من ملأ بطنه»، و قال علیه السلام: «سید الأعمال الجوع»، و قال علیه السلام: «الفکر نصف العبادة، و قلة الطعام هی العبادة»، و قال علیه السلام: «أفضلکم عند اللّه تعالی أطولکم جوعا و تفکرا، و أبغضکم إلی اللّه تعالی کلّ أکول شروب نؤوم «۱»»، و قال علیه السلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطنه، حسب الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۴ ابن آدم لقیمات یقمن صلبه، و إن کان لا محالة فثلاث لطعامه و ثلاث لشرابه و ثلاث لنفسه»، و قال علیه السلام: «إن الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیّقوا مجاری الشیطان بالجوع و العطش»، و قال علیه السلام لعائشة- رضی اللّه عنها-: «أدیموا قرع باب الجنة یفتح لکم»، قالت: کیف ندیم؟ قال علیه السلام: «بالجوع و الظمأ». و قال علیه السلام: «کلوا و اشربوا فی أنصاف البطون، فإنه جزء من النبوة».

فصل السر فی تعظیم الجوع و مناسبته لطریق الآخرة

[فصل السر فی تعظیم الجوع و مناسبته لطریق الآخرة] لعلک تشتهی أن تعلم السر فی تعظیم الجوع و مناسبته لطریق الآخرة. فاعلم أن له فواید کثیرة، و لکن یرجع أصولها إلی سبع: إحداها: صفاء القلب و نفاذ البصیرة، فإن الشّبع یورث البلادة و یعمی القلب؛ قال صلی اللّه علیه و سلم: «من أجاع بطنه عظمت فکرته و فطن قلبه». و لا یخفی أن مفتاح السعادة المعرفة، و لا تنال إلا بصفاء القلب، فلذلک کان الجوع قرع باب الجنة. الثانیة: رقة القلب؛ حتی یدرک به لذة المناجاة، و یتأثر بالذکر و العبادة؛ و قال الجنید: «یجعل أحدکم بینه و بین قلبه مخلاة من الطعام، و یرید أن یجد حلاوة المناجاة». و لا یخفی علیک أن أحوال القلب من الخشیة و الخوف و الرقة و المناجاة و الانکسار بالهیبة، من مفاتیح أبواب الجنة، و إن کان باب المعرفة فوقه، و الجوع قرع لهذا الباب. الثالثة: ذل النفس و زوال البطر و الطغیان منها؛ فلا تکسر النفس بشیء کالجوع. و الطغیان داع إلی الغفلة عن اللّه تعالی، و هو باب الجحیم و الشقاوة؛ و الجوع إغلاق لهذا الباب. و فی إغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة؛ و لذلک لمّا عرضت الدنیا علیه صلی اللّه علیه و سلم قال: «لا بل أجوع یوما و أشبع یوما، فإذا جعت صبرت و تضرعت، و إذا شبعت شکرت». الرابعة: أن البلاء «۱» من أبواب الجنة، لأن فیه مشاهدة طعم العذاب، و به یعظم الخوف من عذاب الآخرة، و لا یقدر الإنسان علی أن یعذّب نفسه بشیء کالجوع، فإنه لا الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۵ یحتاج فیه إلی تکلف، و ترتبط بها فوائد أخری، فیکون مشاهدا بلاء اللّه تعالی علی الدوام. الخامسة: و هی من کبار الفوائد- کسر شهوات المعاصی، و الاستیلاء علی النفس الأمارة بالسوء، و کسر سائر الشهوات التی هی منابع المعاصی؛ قال علیّ- رضی اللّه عنه- «ما شبعت قط إلا عصیت أو هممت بالمعصیة». و قالت عائشة- رضی اللّه عنها- «أول بدعة حدثت بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الشبع، إن القوم إذا شبعت بطونهم، جمحت بهم نفوسهم إلی الدنیا». السادسة: خفة البدن للتهجد و العبادة و زوال النوم المانع من العبادة؛ فإن رأس مال السعادة العمر، و النوم ینقص العمر إذ یمنع من العبادة و أصله کثرة الأکل. قال أبو سلیمان الدارانیّ: «من شبع دخل علیه ست آفات: فقد حلاوة العبادة، و تعذّر حفظ الحکمة، و حرمان الشفقة علی الخلق؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق کلهم شباعا، و ثقل العبادة، و زیادة الشهوات، و أن سائر المؤمنین یدورون حول المساجد و هو یدور حول المزابل». السابعة: خفة المئونة، و إمکان القناعة بقلیل من الدنیا، و إمکان إیثار الفقر، فإن من تخلص من شره بطنه لم یفتقر إلی مال کثیر، فیسقط عنه هموم الدنیا؛ فمهما أراد أن یستقرض لقضاء شهوة البطن، استقرض من نفسه، و ترک شهوته. کان إذا قیل لإبراهیم بن أدهم- رحمة اللّه علیه- فی شیء إنه غال، قال: «أرخصوه بالترک».

فصل کیفیة ترک عادة الشبع و الإکثار

[فصل کیفیة ترک عادة الشبع و الإکثار] لعلک تقول: قد صار الشبع و الإکثار فی الأکل عادة، فکیف أترکها؟ فاعلم أن ذلک یسهل علی من أراده بالتدریج؛ و هو أن ینقص کل یوم من طعامه لقمة، حتی ینقص رغیفا فی مقدار شهر، فلا یظهر أثره، و یصیر التقلیل

عادته. ثم إذا أذعنت بالتقليل، فلك النظر في الوقت و القدر و الجنس؛ أما القدر، فله ثلاث درجات: أعلاها- و هى درجة الصديقين- : الاقتصار على قدر القوام، و هو الـذى يخاف النقصان منه على العقل أو الحياة، و هو اختيار سهل التسترىّ، و كان يرى أن الصلاة قاعدا لضعفه بالجوع، أفضل من الصلاة قائما مع قوة الأكل. الثانية: أن تقنع بنصف مدّ كل يوم و هو ثلث الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۶ البطن، و على ذلك كانت عادة عمر- رضى اللّه عنه- و جماعة من الصحابة، إذ كان قوتهم فى الأسبوع صاعا من شعير. الثالثة: المدّ الواحد و ما جاوز ذلك، فهو مشاركة مع أهل العادة، و ميل عن طريق السالكين المسافرين إلى اللّه تعالى. و قد يؤثّر فى المقادير اختلاف الأحوال و الأشخاص، و عند ذلك فالأصل فيه أن يمدّ اليد إذا صدق جوعه، و يكفّ و هو بعد صادق الاشتهاء. و علامة صدق الجوع أن تشتهى أىّ خبز كان من غير أدم «۱»، فإذا استثقل الأكل بغير أدم، فهو علامة الشبع. و أما الوقت، ففيه أيضا ثلاث درجات: أعلاها أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها، فقد كان الصدّيق- رضى اللّه عنه- يطوى «۲» ستة أيام، و إبراهيم بن أدهم و الثورى سبعا، و بعضهم انتهى إلى أربعين يوما. و قيل من طوى أربعين يوما ظهرت له لا محالة أشياء من عجائب الملكوت، و لا يمكن ذلك إلا بالتدريج. و أما الأوسط بأن يطوى يومين، و الأدنى بأن يأكل فى اليوم مرة واحدة، فمن أكل مرتين لم تكن له حالة جوع أصلا، فيكون قد ترك فضيلة الجوع. و أما الجنس، فأعلاه خبز البرّ «۳» مع الإدام، و أدناه خبز الشعير بلا إدام. و المداومة على الإدام مكروه جدا؛ قال عمر- رضى اللّه عنه- لولده: كلّ مرة خبزا و لحما، و مرة خبزا و سمنا، و مرة خبزا و لبنا، و مرة خبزا و ملحا، و مرة خبزا قفارا «۴». فهذا تنبيه على الأحسن فى أهل العادة. و أما السالكون الطريق، فقد بالغوا فى ترك الإدام، بل فى ترك الشهوات جملة، حتى كان بعضهم يشتهى الشهوة عشر سنين و عشرين سنة، و هو يخالف نفسه و يمنعها شهواتها. و قد قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «شرار أمتى الذين غذّوا بالنعيم و نبتت عليه أجسامهم، و إنما همتهم ألوان الطعام و أنواع اللباس و يتشدقون فى الكلام». و قد شرحنا طريق السلف فى ترك الشهوات فى كتاب كسر الشهوتين. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۷

الأصل الثانى شره الكلام

اشاره

الأصل الثانى شره الكلام: و ذلك لا بد من قطعه، فإن الجوارح كلها تؤثر أعمالها فى القلب، و لكن اللسان أخص به، لأنه يؤدى عن القلب ما فيه من الصور، فتقتضى كل كلمة صورة فى القلب محاكية لها، فلذلك إذا كان كاذبا حصل فى القلب صورة كاذبة، و اعوجّ به وجه القلب، و إذا كان فى شىء من الفضول مستغنى عنه، اسودّ به وجه القلب و أظلم، حتى تنتهى كثرة الكلام إلى إماتة القلب؛ و لذلك عظم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمر اللسان فقال: «من يتوكل لى بما بين لحييه «۱» و رجليه أتوكل له بالجنة». و سئل عن أكثر ما يدخل النار، فقال عليه السلام: «الأجوفان: الفم و الفرج». و قال عليه السلام: «و هل يكبّ الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟». و قال: «من صمت نجا». و قال له معاذ: أى الأعمال أفضل؟ فأخرج لسانه و وضع عليه يده، و قال: «إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه». و قال عليه السلام: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». و قال عليه السلام: «من كثر كلامه كثر سقطه، و من كثر سقطه كثرت ذنوبه، و من كثرت ذنوبه فالنار أولى به». و لهذا كان الصدّيق- رضى اللّه عنه- يضع حجرا فى فيه ليمنع نفسه من الكلام

فصل أن للسان عشرين آفة

[فصل أن للسان عشرين آفة] اعلم أن للسان عشرين آفة شرحناها فى كتاب آفات اللسان. و يطول ذكرها، و يكفيك العمل بآية واحدة؛ قال اللّه تعالى: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ [النساء: ۱۱۴] الآية. و معناه أن لا تتكلم فيما لا

یعنیک، و تقتصر علی المهم، ففیه النجاة. قال أنس- رضی اللّه عنه: استشهد غلام منا یوم أحد فوجد علی بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه و قالت: هنیئا لک الجنة یا بنیّ، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «و ما یدریک لعله کان یتکلم فیما لا یعنیه، و یمنع ما لا یضره». و حدّ ما لا یعنی هو الذی لو ترک لم یفت به ثواب، و لم تنتجز به ضرورة. و من اقتصر من الکلام علی هذا قلّ کلامه، فلیحاسب العبد نفسه عند ذکره ما لا یعنیه؛ إنه لو ذکر اللّه تعالی بدلا عن تلک الکلمة، لکان ذلک کنزا من کنوز السعادة، فکیف یسمح الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۸ العقل بترک کنز مکنوز، و أخذ مدرة «۱»؟ هذا لو لم یکن فیه إثم، فإن کان إثم، فقد استبدل بترک کل کنز و أخذ شعلة من النار. و من جملة ما لا یعنی حکایة الأسفار و أحوال أطعمة البلاد و عاداتهم، و أحوال الناس، و أحوال الصناعات و التجارات؛ و هو من جملة ما تری الناس یخوضون فیه.

فصل تفصیل هذه الآفات

اشاره

[فصل تفصیل هذه الآفات] لعلک ترید أن تعرف تفصیل بعض هذه الآفات؛ فاعلم أن الغالب علی الألسنة من جملة العشرین آفة خمسة: الکذب، و الغیبة، و المماراة، و المدح، و المزاح.

[الآفة] الأولی الکذب

اشاره

[الآفة] الأولی الکذب: و قد قال صلی اللّه علیه و سلم: «لا یزال العبد یکذب و یتحرّی الکذب حتی یکتب عند اللّه کذابا». و قال صلی اللّه علیه و سلم: «ویل للذی یحدّث فیکذب لیضحک منه الناس، ویل له ویل له». و قیل: یا رسول اللّه، أ یزنی المؤمن؟ أ یسرق المؤمن؟ قال علیه السلام: «قد یکون ذلک»، فقیل له أ یکذب؟ فقال: «لا، إنما یفتری الکذب الذین لا یؤمنون بآیات اللّه». و قال علیه السلام: «ألا أنبئکم بأکبر الکبائر: الإشراک باللّه، و عقوق الوالدین»، و کان متکئا فقعد، و قال علیه السلام: «ألا و قول الزّور»، و قال علیه السلام: «کل خصلة یطبع اللّه علیها المؤمن إلا الخیانة و الکذب».

فصل الکذب حرام فی کل شیء، إلا لضرورة

فصل الکذب حرام فی کل شیء، إلا لضرورة اعلم أن الکذب حرام فی کل شیء، إلا لضرورة، حتی قالت امرأة لولدها الصغیر تعال حتی أعطیک، فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «و ماذا کنت تعطینه لو جاء؟» قالت: تمرة. قال: «أما لو لم تفعلی کتبت علیک کذبة». فلیحذر الإنسان الکذب حتی فی التخیّل و حدیث النفس، فإن ذلک یثبت فی النفس صورة معوجّة حتی تکذب الرؤیا فلا تنکشف فی النوم أسرار الملکوت، و التجربة تشهد بذلک. نعم إنما یرخص فی الکذب إذا کان الصدق یفضی إلی محذور آخر أشد من الکذب، فیباح کما تباح المیتة إذا أدی ترکها إلی محذور أشد من أکلها، و هو فوات الرّوح. قالت أم کلثوم- رضی اللّه عنها: «ما الاربعین فی اصول الدین، ص: ۶۹ رخّص رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی شیء من الکذب إلا فی ثلاث: الرجل یقول القول یرید الإصلاح، و الرجل یقول القول فی الحرب، و الرجل یحدث امرأته». و هذا لأن أسرار الحرب لو وقف علیها العدوّ اجترأ، و أسرار الزوج لو وقفت علیها المرأة نشأ منها فساد أعظم من فساد الکذب، و کذلک المتخاصمان تدوم بینهما المعصیة و العداوة، فإذا أمکن

الإصلاح بكذب، فذلك أولى. فهذا ما ورد فيه الخبر. و ما فى معناه: كذب الإنسان ليستر مال غيره عن ظالم، أو إنكاره لسر غيره، بل إنكاره لمعصية نفسه عن غيره، فإن المجاهرة بالفسق و إظهاره حرام، و إنكاره جناية نفسه على غيره لتطيّب قلبه، و كذلك إنكاره مع زوجته أن تكون ضرّتها أحبّ إليه، و كل ذلك يرجع إلى دفع المضرّات. و لا يباح لجلب زيادة مال و جاه، و فيه يكون كذب أكثر الناس. ثم إذا اضطر إلى الكذب فليعدل إلى المعاريض «۱» ما أمكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب. كان إبراهيم بن أدهم إذا طلب فى الدار قال لخادمته: قولى له اطلبه فى المسجد. و كان الشعبى يخطّ دائرة، و يقول لخادمته: «ضعى الإصبع فيها، و قولى: ليس هاهنا». و كان بعضهم يعتذر عن الأمير و يقول: منذ فارقتك ما رفعت جنبى من الأرض إلا ما شاء اللّه تعالى. و كان بعضهم ينكر ما قال فيقول: إن اللّه ليعلم ما قلت من ذلك من شىء، فيوهم النفى بحرف «ما» و هو يريد غير ذلك «۲». و تباح المعاريض لغرض خفيف، لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تدخل الجنة عجوز، و نحملك على ولد البعير، و فى عينى زوجك بياض» لأن هذه الكلمات أوهمت خلاف ما أراد، فيباح مثل ذلك مع النساء و الصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح. و كذلك من يمتنع عن أكل الطعام فلا ينبغى أن يكذب و يقول: لا أشتهى إذا كان يشتهى، بل يعدل إلى المعاريض؛ قال النبى عليه السلام لامرأة قالت ذلك: «لا تجمعى كذبا و جوعا».

الآفة الثانية الغيبة

اشاره

الآفة الثانية الغيبة: قال اللّه تعالى: أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات: ۱۲]. و قال عليه السلام: «الغيبة أشد من الزنا»، و أوحى اللّه تعالى إلى موسى- عليه السلام-: «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، و من مات الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۰ مصرّا عليها فهو أول من يدخل النار». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقيل لى: هؤلاء الذين كانوا يغتابون الناس». و اعلم أن حدّ الغيبة- كما بيّنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، و إن كنت صادقا، سواء ذكرت نقصانا فى نفسه، أو عقله، أو ثوبه، أو فعله، أو قوله، أو داره، أو نسبه، أو دابته، أو شيئا مما يتعلق به، حتى قولك إنه واسع الكم، أو طويل الذّيل؛ حتى ذكر عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رجل فقيل: ما أعجزه، فقال عليه السلام: «اغتبتموه». و أشارت عائشة- رضى اللّه عنها- بيدها إلى امرأة أنها قصيرة، فقال عليه السلام: «اغتبتها». فبهذا يعلم أن الغيبة لا تقتصر على اللسان، بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم باليد أو بالرمز أو بالإشارة أو بالحركة أو بالمحاكاة أو التّعريض المفهم، كقولك: إن بعض أقربائنا و بعض أصدقائنا كذا كذا. و اعلم أن أخبث أنواع الغيبة غيبة القرّاء، يقولون مثلا: الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا؛ أو: نعوذ باللّه من قلة الحياء؛ و هم يفهمون المقصود بذلك، يقولون: ما أحسن أحوال فلان لولا أنه بلى بمثل ما ابتلى به أمثالنا، و هو قلة الصبر عن الدنيا، فنسأل اللّه تعالى أن يعافينا؛ و غرضهم بذلك الغيبة، فيجمعون بين الغيبة و الرياء، و إظهار التشبه بأهل الصّلاح فى الحذر من الغيبة. و هذه خبائث يغترّون بها و هم يظنون أنهم تركوا الغيبة. و كذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول: سبحان اللّه ما أعجب هذا، حتى ينتبه القوم إلى الإصغاء، فيستعمل ذكر اللّه فى تحقيق خبثه، و يقول: قلبى مشغول بفلان تاب اللّه علينا و عليه، و ليس غرضه الدعاء بل التعريف؛ و لو قصد الدعاء لأخفاه، و لو اغتمّ قلبه لأجله لكتم عيبه و معصيته. و كذلك المستمع، قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه فى الغيبة؛ و المستمع أحد المغتابين، كذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فكيف إذا حرّك نشاطه بالتعجب! و كذلك قد يقول: دع غيبة فلان؛ و هو بقلبه غير كاره لغيبته، إنما غرضه أن يعرف بالتورع؛ و ذلك لا يخرجه عن إثم الغيبة ما لم يكرهها بقلبه و يورطه فى إثم الرياء، بل يخرج من الإثم بأن يكرهه قلبه، و يكذب المغتاب و لا يصدّقه عليه، لأنه فاسق يستحق التكذيب. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۱ و

المسلم المذکور بالغیبهٔ یستحق إحسان الظنّ به؛ قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إن اللّه حرم من المسلم دمه و عرضه و ماله و أن یظنّ به ظنّ السوء». فالغیبهٔ بالقلب حرام، کما أنه باللسان حرام إلا أن یضطرّ إلی معرفته بحیث لا یمکنه التجاهل.

فصل یرخص فی الغیبهٔ فی ستهٔ مواضع

[فصل یرخص فی الغیبهٔ فی ستهٔ مواضع] إنما یرخص فی الغیبهٔ فی ستهٔ مواضع: الأول منها: المتظلم یذکر ظلم الظالم عند سلطان لیدفع ظلمه؛ فأما عند غیر سلطان و عند غیر من لا یقدر علی الدفع فلا. اغتیب الحجاج عند بعض السلف، فقال: إن اللّه لینتقم للحجاج ممن اغتابه، کما ینتقم من الحجاج لمن ظلمه. الثانی: الذی یستعان به علی تغییر المنکر یجوز أن یذکر له أیضا. الثالث: المستفتی إذا افتقر إلی ذکر السؤال کما قالت هند: إن أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی. و هذا کله شکایهٔ، و لکن إنما یحل إذا کانت فیها فائدهٔ. الرابع: تحذیر المسلم من شر الغیر إذا علم أنه لو لم یذکره لقبلت شهادته. کما یذکر المزکّی إذ یعامل و یناکح فیتضرر به فیذکر لمن یتوقع ضرره به فقط. الخامس: أن یکون معروفا باسم فیه عیب کالأعمش و الأعرج، فالعدول إلی اسم آخر أولی. السادس: أن یکون مجاهرا بذلک العیب لا یکرهه أن یذکر، کالمخنث و صاحب الماخور «۱». قال الحسن: ثلاثهٔ لا غیبهٔ لهم: صاحب الهواء، و الفاسق المعلن بالفسق، و الإمام الجائر. و هؤلاء یجمعهم أنهم مجاهرون لا یکرهون الذکر. و الصحیح أن ذکر الفاسق بمعصیهٔ یخفیها و یکره ذکرها لا یجوز من غیر عذر.

فصل علاج النفس فی کفّها عن الغیبهٔ

فصل علاج النفس فی کفّها عن الغیبهٔ أن یتفکر فی الوعید الوارد فیها فی قوله صلی اللّه علیه و سلم: «إن الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۲ الغیبهٔ أسرع فی حسنات العبد من النار فی الیبس». و ورد أن حسنات المغتاب تنقل إلی دیوان المظلوم بالغیبهٔ، فینظر فی قلهٔ حسناته و کثرهٔ غیبته، و أنه ینتهی إلی إفلاسه علی القرب، ثم یتفکر فی عیوب نفسه، فإن کان فیه عیب فیشتغل عن غیره، و إن کان قد ارتکب صغیرهٔ فیعلم أن ضرره من صغیرهٔ نفسه أکثر من ضرره من کبیرهٔ غیره، و إن لم یکن فیه عیب، فیعلم أن جهله بعیوب نفسه أعظم عیب. و متی یخلو الإنسان من عیب؟ ثم إن خلا منه فلیشکر اللّه تعالی بدلا من الغیبهٔ، فإن ثلب الناس و أکل لحم المیتهٔ، من أعظم العیوب، فلیحذر منه. ثم مهما سبق لسانه إلی الغیبهٔ، فینبغی أن یستغفر اللّه تعالی، و یذهب إلی المغتاب و یقول: ظلمتک فاعف عنی! فیستحله؛ فإن لم یصادفه فلیکثر من الثناء علیه، و من الدعاء له، و من الحسنات، حتی إذا نقل بعضها إلی دیوان المظلوم، بقی له ما یکفیه؛ فهی کفّارهٔ الغیبهٔ.

الآفهٔ الثالثهٔ المراء و المجادلهٔ

الآفهٔ الثالثهٔ المراء و المجادلهٔ: قال صلی اللّه علیه و سلم: «من ترک المراء و هو محقّ بنی له بیت فی أعلی الجنهٔ، و من ترکه و هو مبطل بنی له بیت فی ربض الجنهٔ» و هذا لأن الترک علی المحق أشد. و قال علیه السلام: «لا یستکمل العبد حقیقهٔ الإیمان حتی یدع المراء و هو محق». و حدّ المراء هو الاعتراض علی کلام الغیر بإظهار خلل فیه، إما فی اللفظ، و إما فی المعنی. و الباعث علیه تارهٔ الترفع بإظهار الفضل، و سببه خبث الرعونهٔ، و إما السّبعیهٔ «۱» التی فی الطبع المتشوفهٔ إلی تنقیص الغیر و قهره. فالمراء و المجادلهٔ تقویهٔ لهذین الخبیثین المهلکین، بل الواجب أن یصدّق ما سمعه من الحق، و یسکت عما سمعه من الخطأ، إلا إذا کان فی ذکره فائدهٔ دینیهٔ، و کان یسمع منه، فیذکره برفق لا بعنف.

الآفة الرابعة المزاح

الآفـة الرابعـة المزاح: و الإفراط فيه يكثر الضـحک، و يميت القلب، و يورث الضـغينة، و يسـقط المهابـة و الوقار؛ قال صـلى اللّه عليه و سلم: «إن الرجـل ليتكلم بالكلمـة يضـحک بها جلساءه فيهوى بها أبعـد من الثريا». و قال عليه السـلام: «لا تمار أخاک و لا تمازحه». و اعلم أن اليسـير منه فى بعض الأوقـات لا بأس به، لا سـيما مع النساء و الصبيان تطييبا لقلوبهم، نقل ذلک عن رسول الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۳ اللّه صلى اللّه عليه و سلم لكنه قال: «إنى لأمزح و لا أقول إلا حقّا»، و يعسر على غيره ضبط ذلک. و قد روى أنه سابق عائشة- رضى اللّه عنه- بالعدو. و قال عليه السلام لعجوز: «لا يدخل الجنة عجوز»، أى لا يبقى عجوز فى الجنة «۱». و قال لصبىّ: «يا أبا عمير ما فعل النّغير؟»، و النغير ولد العصفور كان يلعب به الصبى. و قال صلى اللّه عليه و سلم لصهيب و هو يأكل التمر: «أ تأكل التمر و أنت رمد؟»، و قال: إنما آكل بالشق الآخر، فتبسم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم. فهذا و أمثاله من المفاكهة لا بأس بها، بشرط أن لا يتخذها عادة.

الآفة الخامسة المدح

الآفة الخامسة المدح: كما جرت به عادة الناس عند المحتشمين «۲» من أبناء الدنيا، و كما جرت به عادة القصّاص و المذكرين، فإنهم يمـدحون من يحضـر مجالسـهم من الأغنيـاء. و فى المـدح ست آفات: أربع على المادح، و اثنتان على الممـدوح. و أما المادح، فالآفة الأولى فيه أنه قـد يفرّط فيه فيـذكره بما ليس فيه فيكون كذّابا. الثانية: أنه قد يظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقا مرائيا. الثالثة: أنه يقول ما لا يتحققه، فيكون مجازفا، كقوله إنه عـدل و إنه ورع و غير ذلک مما لا يتحقق فيه. مدح رجل بين يدى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم رجلا، فقال عليه السلام: «ويحک قطعت عنق صاحبک! إن كان لابد من كون أحدكم مادحا أخاه فليقل: أحسب فلانا و لاـ أزكّى على اللّه أحـدا، حسيبه اللّه إن كـان يرى أنه كـذلک». الرابعـة: أن يفرح الممـدوح به، و ربما كان ظالما فيعصـى بإدخال السـرور على قلبه؛ و قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «إن اللّه ليغضب إذا مـدح الفاسق». و قال الحسن: «من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب أن يعصـى اللّه». فالظالم الفاسق ينبغى أن يذم لتفتر رغبته فى الظلم و الفسق. و أما الممدوح، فإحدى الآفتين أن يحدث فيه كبرا أو إعجابا و هما مهلكان؛ و لذلک قال عليه السلام: «قطعت عنق صاحبک». الثانية: أن يفرح به فيفتر عن العمل و يرضى عن نفسه؛ قال صلى اللّه عليه و سـلم: «لو مشـى رجل إلى رجل بسـكين مرهف، كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه». و أما إذا سلم المدح من هذه الآفات فى المادح و الممـدوح، فلا بأس به، و ربما الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۷۴ يندب إليه؛ قال صـلى اللّه عليه و سلم: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح». و قال صـلى اللّه عليه و سلم: «لو لم أبعث لبعثت يا عمر». و قد أثنى على كثير من الصحابة إذ علم أن ذلک يزيد فى نشاطهم و لا يورثهم عجبا.

فصل حق على الممدوح أن يتأمل فى خطر الخاتمة

فصل حق على الممدوح أن يتأمل فى خطر الخاتمة ، و دقائق الرياء، و آفات الأعمال، و يتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة، لا سيما فى أفكاره و حـديث نفسه، ما لو عرفه المادح لكفّ عن المـدح. و ينبغى أن يظهر كراهة المدح و يكرهه بالقلب؛ و إليه الإشارة بقوله صـلى اللّه عليه و سلم: «أحثوا التراب فى وجوه المدّاحين». و قال بعضهم لمّا أثنى عليه: اللهم إن عبدک هذا تقرّب إلىّ بمقتک، و أنا أشهدک على مقته. و قال علىّ- رضى اللّه عنه- لمّا أثنى عليه: «اللهم اغفر لى ما لا يعلمون، و لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى خيرا مما يظنون».

الأصل الثالث فى الغضب

اشاره

الأصل الثالث فى الغضب: اعلم أن الغضب شعلهٔ نار اقتبست من نار اللّه الموقدهٔ التى تطّلع على الأفئدهٔ. و من غلب عليه فقد نزع إلى عرق الشيطان فإنه مخلوق من النار. و كسر شدّهٔ الغضب من المهمات فى الدين؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «ليس الشديد بالصّرعهٔ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و قال عليه السلام: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصّبر العسل». و قال عليه السلام: «ما غضب أحد قط إلا أشفى على جهنم». و قال رجل: يا رسول اللّه، أى شىء أشد؟ قال: «غضب اللّه». قال: فما ينقذنى من غضب اللّه؟ قال: «أن لا تغضب». و قال رجل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: مرنى بعمل و أقلّل! فقال عليه الصلاهٔ و السلام: «لا تغضب»، فأعاد عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مرارا و هو يقول: «لا- تغضب». فكيف لا- تعظم آفهٔ الغضب، و هو يحمل فى الظاهر على الضرب و الشتم و إطالهٔ اللسان، و فى الباطن، على الحقد و الحسد و إظهار السوء و الشماتهٔ و العزم على إفشاء السرّ و هتك الستر، و الفرح بمصيبهٔ المغضوب عليه و الغم بمسرته. و كل واحدهٔ من هذه الخبائث مهلك.

فصل عليک فى صفهٔ الغضب وظيفتان

فصل عليك فى صفهٔ الغضب وظيفتان: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۵ إحداهما: كسره بالرياضهٔ؛ و لست أعنى بكسره إماطته «۱»، فإنه لا يزول أصله و لا ينبغى أن يزول، بل إن زال وجب تحصيله، لأنه آلهٔ القتال مع الكفار، و المنع من المنكرات و كثير من الخيرات «۲». و هو ككلب الصائد، إنما رياضته فى تأديبه حتى ينقاد للعقل و الشرع فيهيج بإشارهٔ العقل و الشرع، و يسكن بإشارتهما و لا يخالفهما، كما ينقاد الكلب للصياد. و هذا ممكن بالمجاهدهٔ، و هو اعتياد الحلم و الاحتمال مع التعرض للمغضبات. الثانيهٔ: ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم. و يعين عليه علم و عمل؛ أما العلم، فهو أن يعلم أنه لا سبب لغضبه إلا أنه أنكر أن يجرى الشىء على مراد اللّه لا على مراده، و هذا غايهٔ الجهل. و الآخر أن يعلم أن غضب اللّه عليه أعظم من غضبه عليه، و أن فضل اللّه أكبر. و كم عصاه و خالف أمره! فلم يغضب عليه إن خالفه غيره؟ فليس أمره عليه ألزم على عبده و أهله و رفقته من أمر اللّه عليه. و أما العمل، فهو أن يقول: «أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم»، إذ يعلم أن ذلك من الشيطان؛ فإن لم يسكن، جلس إن كان قائما، و يضطجع إن كان قاعدا، و كذلك ورد الخبر باختلاف الحال أنه يؤثر فى التسكين، و إن لم يسكن فيتوضأ؛ قال عليه الصلاهٔ و السلام: «إن الشيطان خلق من النار، و إنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»، و قال عليه السلام: «ألا إن الغضب جمرهٔ فى قلب ابن آدم، ألا ترون إلى حمرهٔ عينيه، و انتفاخ أوداجه؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليضرب خدّه بالأرض». و هذه إشارهٔ إلى تمكين أعز الأعضاء من أذلّ المواضع، لينكسر الكبر، فإنه السبب الأعظم فى الغضب، ليعلم أنه عبد ذليل فلا يليق به الكبر. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إن الرجل ليدرك بالحلم درجهٔ القائم و الصائم، و إنه ليكتب جبارا و ما يملك إلا أهل بيته» و قال صلى اللّه عليه و سلم: من كظم غيظا و لو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ- اللّه تعالى قلبه يوم القيامهٔ أمنا و إيمانا»، و قال عليه السلام: «ما من جرعهٔ أحب إلى اللّه تعالى من جرعهٔ غيظ يكظمها عبد، و ما كظمها عبد إلا ملأ اللّه جوفه إيمانا». الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۶

الأصل الرابع فى الحسد

اشاره

الأصل الرابع فى الحسد: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، و قال عليه السلام:

«ثلاث لا ینجو منهن أحد: الظن، و الطیرة، و الحسد، و سأحدثکم بالمخرج من ذلک، إذا ظننت فلا تحقّق، و إذا تطیّرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ». و قال علیه السلام: «دبّ إلیکم داء الأمم قبلکم: الحسد و البغضاء، و البغضة هی الحالقة «۱»». و قال زکریا علیه السلام: قال اللّه تعالی: «الحاسد عدو لنعمی، مسخط لقضائی، غیر راض بقسمتی التی قسمت بین عبادی». و اعلم أن الحسد حرام، و هو أن تحب زوال النعمة من غیرک، أو تحب نزول مصیبة به، و لا تحرّم المنافسة، و هی أن تغبط و تشتهی لنفسک مثله، و لا تحب زوالها منه. و یجوز أن تحب زوال النعمة ممن یستعین بها علی الظلم و المعصیة، لأنک لا نرید زوال النعمة، و إنما ترید زوال الظلم؛ و علامته أنه لو ترک الظلم و المعصیة لم تحب زوال نعمته. و سبب الحسد إما الکبر، و إما العداوة، و إما خبث النفس، إذ یبخل بنعمة اللّه علی عباده من غیر غرض فیه له.

فصل الحسد من الأمراض العظیمة للقلب

[فصل الحسد من الأمراض العظیمة للقلب] اعلم أن الحسد من الأمراض العظیمة للقلب، و مرض القلب لا یداوی إلا بمعجون العلم و العمل: فأما العلاج العلمی: فهو أن یعلم أن حسده یضره و لا یضر محسوده بل ینفعه؛ أمّا أنه یضره، فهو أنه یبطل حسناته، و یعرضه لسخط اللّه تعالی، إذ یسخط قضاء اللّه و یشح بنعمته التی وسعها من خزائنه علی عباده، و هذا ضرر فی دینه. و أما ضرره فی دنیاه، فهو أنه لا یزال فی غم دائم و کمد لازم: و ذلک مراد عدوه منه، فإن أهم أغراض عدوه و أکمل النعمة علیه، حزن حاسده، فقد کان یرید المحنة لعدوه فحصلت له. و الحسود لا یخلو قط من الغم و المحنة؛ إذ لا یزال أعداؤه أو واحد منهم فی نعمة. و أمّا أنّه ینفع عدوه و لا یضره؛ لأن النعمة لا تزول بحسده، و أنه یضاعف حسناته؛ إذ تنتقل حسنات الحاسد الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۷ إلیه. لا سیما إذا طوّل اللسان فیه، فإنه مظلوم من الحاسد، فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنیا منه، فأضاف إلیه نعمة الآخرة و حصل لنفسه مع عذاب الدنیا عذاب الآخرة، فهو کمن رمی عدوه بحجر فلم یصب عدوه، و عاد إلی عینه فأعماها، و زادت علیه شماتة عدوه إبلیس، فإنه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء، و لو رضی به لکان فیه ثواب، لا سیما إذا حسد علی العلم و الورع، فإن محب العلم یعظم ثوابه. و أما العلاج العملی: فهو أن یعرف حکم الحسد و ما یتقاضاه من قول و فعل، فیخالفه و یعمل بنقیضه، فیثنی علی المحسود، و یظهر الفرج بنعمته، و یتواضع له؛ و بذلک یعود المحسود صدیقا له، و یزایله الحسد، و یتخلص من إثمه و ألمه، قال اللّه تعالی: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَةٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ [فصلت: ۳۴].

فصل لعلّ نفسک لا تطاوعک علی التسویة بین عدوک و صدیقک

فصل لعلّ نفسک لا تطاوعک علی التسویة بین عدوک و صدیقک ، بل تکره مساءة الصدیق دون العدوّ، و تحب نعمة الصدیق دون العدوّ. و لست مکلفا بما لا تطیق، فإن لم تقدر علی ذلک فتتخلص من الإثم بأمرین: أحدهما، أن لا تظهر الحسد بلسانک و جوارحک و أعمالک الاختیاریة، بل تخالف موجبها. و الثانی، أن تکره من نفسک حبّها زوال نعمة اللّه تعالی عن عبد من عباده. فإذا اقترنت الکراهة عن باعث الدین بحب زوال النعمة التی اقتضاه الطبع، اندفع عنک الإثم. و لیس علیک تغییر الطبع، فإن ذلک لا تقدر علیه فی أکثر الأحوال. و علامة الکراهیة أن تکون بحیث لو قدرت علی إزالة نعمته لم تقدم علی الإزالة مع حبک لها، و لو قدرت علی معونته فی دوام نعمته أو فی زیادتها فعلت مع کراهیتک لذلک. فإذا کنت کذلک، فلا إثم علیک فیما یتقاضاه طبعک، فإن الطبع إنما یصیر مقهورا فی حق المستهتر باللّه، الذی انقطع نظره عن الدنیا و عن الخلق؛ بل علم أنّ المنعم علیه إن کان فی النار فما تنفع هذه النعمة، و إن کان فی الجنة فأی نسبة لهذه النعمة إلی الجنة؛ بل یری کلّ الخلق عباد اللّه تعالی فیحبهم لأنهم عباد لمحبوبه. و یحب أن یظهر أثر نعمة محبوبه علی عباده، و هذه حالة نادرة لا تدخل تحت التکلیف. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۸

الأصل الخامس فی البخل و حب المال

اشاره

الأصل الخامس فی البخل و حب المال: و اعلم أن البخل من المهلکات العظیمة؛ قال اللّه تعالی: وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ۹، التغابن: ۱۶]. و قال اللّه تعالی: وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ۱۸۰] الآیة. و قال اللّه تعالی: الَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَ یَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ [النساء: ۳۷، الحدید: ۲۴] الآیة. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «إیاکم و البخل، فإنه أهلک من کان قبلکم». و قال صلی اللّه علیه و سلم: «السخاء شجرة تنبت فی الجنة فلا یلج الجنة إلا سخیّ، و البخل شجرة تنبت فی النار فلا یلج النار إلا بخیل». و قال علیه السلام «ثلاث مهلکات: شحّ مطاع، و هوی متّبع، و إعجاب المرء بنفسه». و قال علیه السلام: «شرّ ما فی الرّجل شحّ هالع و جبن خالع «۱»». و قال علیه السلام: «إن اللّه یمقت البخیل فی حیاته، و یحب السخی عند موته». و قال علیه السلام: «السخی الفاجر أحب إلی اللّه من العابد البخیل». و قال علیه السلام: «لا یجتمع اثنان فی مؤمن: البخل و سوء الخلق».

فصل أصل البخل حب المال

[فصل أصل البخل حب المال] اعلم أن أصل البخل حب المال، و هو مذموم. و من لا مال له لا یظهر بخله بالإمساک، و لکن یظهر بحب المال، و ربّ رجل سخی لکنه یحب المال، فیسخی به لیذکر بالسخاء؛ و ذلک أیضا مذموم، لأن حب المال یلهی عن ذکر اللّه عز و جل، و یصرف وجه القلب إلی الدنیا، و یحکم علاقته فیها، حتی یثقل علیه الموت الذی فیه لقاء اللّه تعالی؛ قال اللّه عز و جل: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ [المنافقون: ۹] و قال اللّه تعالی: إِنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَةٌ [التغابن: ۱۵] و قال تعالی: أَلْهاکُمُ التَّکاثُرُ [التکاثر: ۱]. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «لا تتخذوا الضیعة «۲» فتحبوا الدنیا». و قیل للنبی علیه الصلاة و السلام: أیّ أمتک أشرّ؟ فقال علیه السلام: «الأغنیاء». و قال علیه السلام: «من أخذ من الدنیا فوق ما یکفیه، أخذ حتفه و هو لا یشعر». و قال رجل: یا رسول اللّه، إنی لا أحب الموت، قال علیه السلام: «هل الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۹ لک مال؟» قال: نعم، قال علیه السلام: «قدّم مالک، فإن قلب الرجل مع ماله، فإن قدمه أحب أن یلحقه، و إن أخره أحب أن یتخلف». و قال علیه الصلاة و السلام: «إذا مات العبد قالت الملائکة: ما قدّم؟ و قال الناس: ما خلّف؟»، و قال علیه الصلاة و السلام: «تعس «۱» عبد الدرهم، تعس عبد الدینار، تعس و انتکس، و إذا شیک فلا انتقش» «۲».

فصل أن المال لیس مذموما من کل وجه

[فصل أن المال لیس مذموما من کل وجه] اعلم أن المال لیس مذموما من کل وجه، و قد قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، و قال علیه الصلاة و السلام: «الدنیا مزرعة الآخرة». و کیف یکون مذموما مطلقا و العبد مسافر إلی اللّه تعالی، و الدنیا منزل من منازل سفره، و بدنه مرکبه، و لا یمکنه السفر إلی اللّه إلا به، و لا یبقی البدن إلا بمطعم و ملبس، و لا وصول إلیهما إلا بالمال؟ لکن من فهم فائدة المال و علم أنه آلة علف الدابة لسلوک الطریق، لم یعرّج علیه، و لم یأخذ منه إلا قدر الزاد، فإن اقتصر علی ذلک سعد به کما قال النبی علیه السلام لعائشة- رضی اللّه عنها-: «إذا أردت اللحاق بی فاقنعی من الدنیا بزاد الراکب، و لا تجددی و لا تخلعی قمیصا حتی ترقعیه»، و قال علیه الصلاة و السلام: «اللهم اجعل قوت آل محمد کفافا، و إن زاد علی قدر الکفایة هلک». کما قال علیه الصلاة و السلام: «من أخذ من الدنیا فوق ما یکفیه، أخذ حتفه و هلک و هو لا یشعر». و کذلک المسافر، إذا أخذ ما یزید علی زاد الطریق مات تحت ثقله، و لم یبلغ مقصد سفره. فالزیادة علی قدر الکفایة مهلکة من ثلاثة أوجه: أحدها: أن یدعو إلی المعاصی، فإنه یمکن منها و من العصمة أن لا تقدر، و فتنة السرّاء «۳» أعظم من فتنة الضراء «۴»، و الصبر مع القدرة أشد.

الاربعين فی اصول الدين، ص: ۸۰ و الثانی: أن يدعو إلی التنعم بالمباحات، و هو أقل الدرجات، فينبت علی التنعم جسده، و لا يمكنه الصبر عنه. و ذلك لا يمكن استدامته إلا بالاستعانهٔ بالخلق و الالتجاء إلی الظلمهٔ، و ذلك يدعو إلی النفاق و الكذب و الرياء و العداوهٔ و البغضاء، و يتشعب منه جملهٔ المهلكات؛ و لذلك قال صلی اللّه عليه و سلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئهٔ». و الثالث: أن يلهی عن ذكر اللّه عز و جل الذی هو أساس السعادهٔ الأخرويهٔ، إذ يزدحم علی القلب خصومهٔ الملاحين، و محاسبهٔ الشركاء و التفكر فی تدبير الحذر منهم، و تدبير استنماء المال و كيفيهٔ تحصيله أولا، و حفظه ثانيا، و إخراجه ثالثا؛ و كل ذلك مما يسوّد القلب، و يزيل صفاءه و يلهی عن الذكر، كما قال اللّه تعالی: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ إلی آخر السورهٔ.

فصل فی معرفهٔ مقدار الكفايهٔ

[فصل فی معرفهٔ مقدار الكفايهٔ] لعلك تشتهی أن تعرف مقدار الكفايهٔ و تقول: ما من غنی إلا و يدّعی أن ما فی يده دون مقدار الكفايهٔ. فاعلم أن الضرورهٔ إنما تدعو إلی المطعم و الملبس فقط، فإن تركت التجمل فی الملبس، فيكفيك فی السنهٔ ديناران لشتائك و صيفك، فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحرّ و البرد؛ و إن تركت التنعم فی مطعمك و الشبع من الطعام فی جميع أحوالك، فيكفيك فی كل يوم مدّ، فيكون فی السنهٔ خمسمائهٔ رطل، و يكفيك لإدامك- إن لم توسّع فيه و اقتصرت علی اليسير منه فی بعض الأوقات- ثلاثهٔ دنانير علی التقريب فی السنهٔ، عند رخاء الأسعار. فإذا يبلغ كفايتك خمسهٔ دنانير و خمسمائهٔ رطل، و هو القدر الذی نقدره إذا فرضنا نفقهٔ العزب. فإن كنت معيلاـ فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك؛ فإذا كنت كسوبا و كسبت فی اليوم ما يكفيك ليومك، فانصرف و اشتغل بعبادتك، فإن طلبت الزيادهٔ صرت من أهل الدنيا. و إن لم تكن كسوبا و كنت مشغولا بالعلم و العبادهٔ، و اقتنيت ضيعهٔ يدخل منها هذا القدر دائما، فأرجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا، لا سيما فی هذه الأعصار «۱»، و قد تغيرت القلوب، و استولی عليها الشحّ، و انصرفت الهمم عن تفقد ذوی الحاجات. فاقتناء هذا القدر أولی من السؤال؛ و هذا بشرط أن يكون بودّك أن تتخلص من التعرض إلی الجوع و البرد، لتطرح الضيعهٔ و تتركها، الاربعين فی اصول الدين، ص: ۸۱ و لاـ تكون كارها للموت، و لا محبا للضيعهٔ. و لتكن الضيعهٔ- و هی مدخل طعامك- كالخلاء الذی هو موضع فراغك، فإنما تريده للضرورهٔ، و بودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهی فی قوله صلی اللّه عليه و سلم: «لا تتخذوا الضيعهٔ فتحبوا الدنيا»؛ فإنك إذا قصدت الفراغهٔ للاستعانهٔ بها علی الدين، كنت متزودا مسافرا لا معرجا علی الضيعهٔ. و ربما لا يحتمل بعض الأشخاص القناعهٔ بالقدر الذی ذكرته إلا بشدهٔ و مشقهٔ. و لا حرج فی الدين فی ازدياد الضعف علی هذا القدر؛ إذ لا يصير من أبناء الدنيا و لا يخرج من حزب أبناء الآخرهٔ و المسافرين إلی اللّه تعالی ما دام يقصد بذلك دفع الألم الشاغل عن الذكر و العبادهٔ دون التلذذ و التنعم فی الدنيا. ثم ما فضل من الطعام صرفه إلی البائس و الأرامل، و لا يبقی بعد هذه الرخصهٔ داعيهٔ إلی الزيادهٔ إلا للتنعم أو للتصدق أو للاستظهار، لو أصاب المال آفهٔ. أمّا التنعّم فإعراض عن اللّه تعالی، و اشتغال بالدنيا، و أما التصدق، فترك المال أفضل منه؛ قال عيسی عليه السلام: «يا طالب الدنيا لتبرّ فتركك لها أبرّ و أبرّ». و أما الاستظهار، لخوف آفهٔ، فذلك لا مرد له، و هو سوء الظن لا آخر له، بل ينبغی أن تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير اللّه عز و جل، و هو أن تتصور أن تصيب المال آفهٔ من حيث لاـ يتوقع فيتصور أن ينفتح للرزق أيضا باب لا يحتسب، وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [الطلاق: ۲، ۳]. و إن فرض علی الندور خلافه، فلا ينبغی أن يعتقد العبد أن سلامته- طول عمره- عن البلاء محتوم، بل البلاء هو الذی يصقل القلب و يزكيه، و يخلصه من الخبائث كلها؛ و لهذا كان موكلا بالأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل. فاتكل علی فضل اللّه، و اعلم أنك لا يصيبك إلا ما فيه خيرك و خيرتك «۱»، فإن اللّه مدبّر الملك و الملكوت أعلم بمصالحك.

فصل فی ان الذی ذكرت تقريب يمكن الزيادهٔ عليه و النقصان منه

[فصل فی ان الذی ذکرت تقریب یمکن الزیادة علیه و النقصان منه] هذا الذی ذکرته تقریب یمکن الزیادة علیه و النقصان منه بالاجتهاد فی بعض الأشخاص و فی بعض الأحوال. و لکن اعتقد قطعا أن المال کالدواء النافع منه قدر مخصوص، و الإفراط فیه قاتل، و القرب من الإفراط ممرض إن لم یقتل. فعلیک بالتقلیل الاربعین فی اصول الدین، ص: ۸۲ و الحذر من الإفراط و الرفاهیة، فذلک خطر عظیم. و لیس فی التقلیل إلا مشقة قلیلة فی أیام قلائل؛ و ذو الحزم لا یثقل علیه أن یجوع نفسه لولیمة الفردوس، لعلمه أن اللذة علی قدر الجوع.

فصل فی معرفة حدّ البخل

[فصل فی معرفة حدّ البخل] لعلک ترغب فی معرفة حدّ البخل، إذ الشخص الواحد قد تشک فی أنه بخیل أم لا، و یختلف الناس فیه. فاعلم أن حدّ البخل منع ما یوجبه الشرع أو المروءة. و لا تظن أن من سلّم إلی زوجته و قریبه ما فرضه القاضی، و ضایق وراء ذلک فی لقمة، فلیس ببخیل، و أن من رد الخبز و اللحم إلی الخباز و القصاب لنقصان قدر منه یسیر لیس ببخیل، و إن کان له ذلک فی الشرع، فإن معنی الشرع فی هذه الأمور قطع خصومة البخلاء بتقدیر مقدار یطیقه البخیل؛ و لذلک قال اللّه تعالی: إِنْ یَسْـَٔلْکُمُوها فَیُحْفِکُمْ تَبْخَلُوا [محمد: ۳۷]. بل لابدّ من مراعاة المروءة و دفع قبح الأحدوثة، و ذلک یختلف باختلاف الأشخاص و قدر المال. و من له مال و أمکنه أن یقطع هجو شاعر و ذمه عن نفسه بقدر یسیر فلم یفعله، فهو بخیل، و إن لم یکن ذلک واجبا علیه، إذ قال صلی اللّه علیه و سلم: «ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقة». و التحقیق فیه أن المال خلق لفائدة لأجلها یمسک، و فی بذله أیضا فائدة. فمهما ظهر له أن فائدة البذل أعظم من فائدة الإمساک، ثم شق علیه البذل فهو بخیل محب للمال. و المال لا ینبغی أن یحبّ لذاته بل لفائدته، فیصرف إلی أقوی فائدة. و حفظ المروءة أفضل و أقوی من التنعم بالأکل الکثیر مثلا. و قد یحمله البخل و حبّ المال علی أن یجهل أقوی الفائدتین و أولاهما و ذلک غایة البخل. فإن علم و عسر علیه البذل فهو بخیل أیضا، و إن بذل تکلّفا؛ بل إنما یبرأ من البخل بأن لا یثقل علیه بذل المال فیما ینبغی أن یبذل فیه عقلا و شرعا. و أما درجة السخاء، فلا تنال إلا ببذل ما یزید علی واجب الشرع و المروءة جمیعا.

فصل فی معرفة علاج البخل

[فصل فی معرفة علاج البخل] لعلک ترید أن تفهم علاج البخل. فاعلم أن دواءه معجون مرکّب من العلم و العمل. أما العلم فهو أن تعلم ما فی البخل من الهلاک فی دار الآخرة، و المذمة فی الدنیا، و تعلم أن المال لا یتبعه- إن بقی- إلی قبره؛ و إنما المال للّه تعالی، مکّنه منه الاربعین فی اصول الدین، ص: ۸۳ لصرفه إلی أهمّ أموره. و تعلم أن إمساک المال، إن کان للتنعم فی الشهوات، فحسن الأحدوثة و ثواب الآخرة أعظم و ألذّ منه. فقضاء الشهوة سجیة البهائم، و هذه سجیة العقلاء؛ و إن کان یمسکه لیترکه لولده فکأنه یترک ولده بخیر و یقدم علی ربه بشرّ، و هذا عین الجهل، و کیف و ولده إن کان صالحا فاللّه تعالی یکفیه، و إن کان فاسقا فیستعین به «۱» علی المعصیة، و یکون هو سبب تمکنه منها، فیتضرر هو و یتنعّم غیره!. و أما العمل، فهو أن یحمل نفسه علی البذل تکلّفا، و لا یزال یفعل ذلک حتی یصیر له عادة. و من نوافذ حیله فیه أن یخدعه بحسن الاسم و توقع المکافأة حتی یرغب فی البذل، ثم بعد ذلک یتدرج أیضا إلی قمع هذه الصفات.

الأصل السادس الرعونة و حب الجاه

فصل حقیقة الجاه هی ملک القلوب لتتسخر لذی الجاه علی حسب مراده

[فصل حقيقة الجاه هى ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده] حقيقة الجاه هى ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده، و تطلق اللسان بالثناء عليه، و تسعى فى حاجته. و كما أن معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها إلى الأغراض، كذلك معنى الجاه ملك القلوب، لكن الجاه أحب، لأن التوصل به إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، و لأنه محفوظ من أن يسرق و يغصب أو تعرض له الآفة، و لأنه يسرى و ينمو من غير تكلف؛ فإن من ملك قلبه باعتقاد التعظيم، فلا يزال يثنى و يقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه. و فيه سرّ آخر، و هو أن الجاه معناه العلوّ و الكبرياء و العز، و هى من الصفات الإلهية، و الصفات الإلهية محبوبة للإنسان بالطبع؛ بل هى ألذّ الأشياء عنده؛ و ذلك لسرّ خفى فى مناسبة الرّوح للأمور الإلهية، و عنه العبارة بقوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]. فهو أمر ربانى شغفه من حيث الطبع للاستبداد و الانفراد بالوجود. و هو حقيقة الإلهية؛ إذ ليس مع اللّه موجود، بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة، فلها رتبة التبعية لا رتبة المعيّة. فليس فى الوجود مع اللّه غيره. و كان الإنسان يشتهى ذلك، بل فى كل نفس أن يقول أنا ربّكم الأعلى، لكن أظهره فرعون و أخفاه غيره. و لكن إن فاته الانفراد بالموجود، فيشتهى أن لا يفوته الاستعلاء و الاستيلاء على الموجودات كلها، ليتصرف فيها على حسب مراده و هو الإلهية. لكن تعذر على الإنسان ذلك فى السموات و الكواكب و البحار و الجبال، فاشتهى الاستيلاء على جميعها بالعلم، لأن العلم نوع استيلاء أيضا، كما أن من عجز عن وضع الأشياء العجيبة، فيشتهى أن يعرف كيفية الوضع. و كذلك يشتهى أن يعرف عجائب البحر و ما تحت الجبال، و يتصور أن يتسخر له الأعيان التى على وجه الأرض من الحيوان و المعادن و النبات. فيحبّ أن يتملكها و يقوّلها و يتصور أن يتسخر له الإنسان، فيحب أن يتسخره بواسطة قلبه. و يملك قلبه بإلقاء التعظيم فيه. و يحصل التعظيم بأن يعتقد فيه كمال الخصال، فإن الإجلال يتبع اعتقاد الكمال، فلهذا يحب الإنسان أن يتسع جاهه و ينتشر صيته حتى إلى البلاد التى يعلم قطعا أنه لا يطؤها و لا يرى أهلها، لأن كل ذلك يناسب صفات الربوبية. و كلما صار أعقل، كانت هذه الصفة عليه أغلب، و شهواته البهيمية فيه أضعف. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۵

فصل لم كان طلب الرفعة مذموما

[فصل لم كان طلب الرفعة مذموما] لعلك تقول: فإذا كان كذلك، فلم كان طلب الرفعة مذموما و هو من نتائج العقل و خواص الروح المناسبة للأمور الربانية؟. فاعلم أن الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم، إذ مطلوب الكل هو القرب من اللّه تعالى، و ذلك هو الرفعة و الكمال إذ هو عزّ لا ذل فيه، و غنى لا فقر معه، و بقاء لا فناء بعده، و لذة لا كدورة لها؛ و طلب ذلك محمود؛ و إنما المذموم طلب الكمال الوهمى دون الحقيقى، و الكمال الحقيقى يرجع إلى العلم و الحرية و القدرة؛ و هو أن لا يكون مقيدا بغيره. و لا يتصور للعبد حقيقة القدرة، فإن قدرته إنما تكون بالمال و الجاه، و ذلك كمال وهمىّ، فإنه أمر عارض لا بقاء له، و لا خير فيما لا بقاء له، بل قيل: أشدّ الغمّ عندى فى سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا كيف، و هذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت و بآفاتها قبله، لا تصفو من الكدورات! فمن توهمها كمالا فقد زل، بل الكمال فى الباقيات الصالحات التى تنال بها القرب من اللّه سبحانه، و لا تزول بالموت، بل تتضاعف تضاعفا غير محدود. و ذلك هو المعرفة الحقيقية بذات اللّه تعالى، و صفاته و أفعاله، و هو العلم بكل الموجودات؛ إذ ليس فى الوجود إلا اللّه تعالى و أفعاله. لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث إنها أفعال اللّه تعالى، كالذى ينظر فى التشريح لغرض الطب، أو ينظر فى هيئة العالم لمعرفة الاستدلال بأحكام النجوم، فهذا لا قدر له. و من الكمال الحقيقى الحرية، و هو انقطاع علاقتك عن جميع علائق الدنيا، بل عن كل ما يفارقك بالموت، و الاقتصار فى الالتفات إلى لازمك الذى لابد لك منه، و هو اللّه تعالى. كما أوحى اللّه إلى داود: «يا داود! أنا بدّك «۱» اللازم فالزم بدّك». فالعلم و الحرية من الباقيات الصالحات، و هما كمالان حقيقيّان؛ و المال و البنون زينة الحياة الدنيا، و هما كمالان وهميان. و المنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة، فأعرضوا عن طلب الكمال الحقيقى، و اشتغلوا بطلب الكمال الوهمىّ، و هم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة إذ يشاهدون الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۶ أنهم خسروا الدنيا و الآخرة: و أما الآخرة، فلأنهم يطلبونها و لم يحصّلوا أسبابها من المعرفة و الحرية؛ و أما

الدنيا، فلأنها و دعتهم و انقلبت إلى أعدائهم و هم ورثتهم. و لا تظنن أن الإيمان و العلم يفارقانك بالموت، فالموت لا يهدم محل العلم أصلا، و ليس الموت عدما حتى تظن أنك إذا عدمت عدمت صفاتك؛ بل معنى الموت قطع علاقة الروح من البدن إلى أن تعاد إليه؛ و إذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم و الجهل، و فهم هذا طويل، و تحته أسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها.

فصل فى ان طريق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب

[فصل فى ان طريق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب] إذا عرفت حقيقة الجاه و ماهيته، و أنه كمال وهمىّ، فقد عرفت أن طريق العلاج فى قمع حبه من القلب. إذا علمت أن أهل الأرض لو سجدوا لك مثلا، لما بقى- إلا مدة قريبة- لا الساجد و لا المسجود له. كيف! و يشح الدهر عليك بأن يسلم لك الملك فى محلّتك فضلا عن قريتك أو بلدتك. فكيف ترضى أن تترك ملك الأبد و الجاه الطويل العريض عند اللّه تعالى و عند ملائكته، بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقى لا ينفعونك و لا يضرونك و لا يملكون لك موتا و لا حياة و لا نشورا و لا رزقا و لا أجلا؟ نعم ملك القلوب كملكك الأعيان «۱»، و أنت محتاج منه إلى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم و العدوان، و عما يشوش عليك سلامتك و فراغك التى تستعين بها على دينك. فطلبك لهذا القدر مباح، بشرط القناعة بقدر الضرورة كما فى المال، و بشرط أن لا تكتسبه بالمراءاة بالعبادات فذلك حرام كما سيأتى؛ و أن لا تكتسبه بالتلبيس «۲» بأن تظهر من نفسك ما أنت خال منه، فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس، و بين من يملك الأموال. فإذا حصّلت الجاه بطريقة و اقتصرت على قدر التحرز من الآفات فترجى لك السلامة، إلا أنك فى خطر عظيم أكثر من خطر المال، لأن قليل الجاه يدعو إلى كثيره، فإنه ألذّ من المال، و لذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا إلا لخامل مجهول لا يعرف، كما فهمت ذلك من الأخبار.

الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۷

فصل من البواعث على طلب الجاه حب المدح

[فصل من البواعث على طلب الجاه حب المدح] من البواعث على طلب الجاه حب المدح، فإن الإنسان يتلذذ به من ثلاثة أوجه: أحدها، انه يشعر صاحبه بكمال نفسه، و الشعور بالكمال لذيذ؛ لأن الكمال من الصفات الإلهية. و الثانى، أنه يشعر بملك قلب المادح و قيام الجاه عنده و كونه مسخرا له. الثالث، أنه يشعر صاحبه بأن المادح يصغى إلى مدحه فينتشر بسببه جاهه. فكذلك إذا صدر المدح من بصير بصفات الكمال واسع الجاه و القدرة فى نفسه، و كان على ملأ من الناس، تضاعفت لذة المدح. و تزول اللذّة الأولى بأن يصدر عن غير أهل البصيرة، فإنه لا يشعر بالكمال، و تزول الثانية بأن يصدر عن خسيس لا قدرة له، لأن ملك قلبه لا يعتدّ به. و تزول الثالثة بأن يمدح فى الخلوة لا فى الملأ، إلا من حيث يتوقع أنه أيضا ربما يمدح فى الملأ. و أما الذم، فإنه مكروه لنقيض هذه الأسباب. و أكثر الخلق أهلكهم حب المدح و كراهية الذم، و يحملهم ذلك على المراءاة و فنون المعصية. و علاج ذلك أن يتفكر فى اللذة الأولى، فإن مدح بكثرة المال و الجاه فيعلم أنه كمال وهمىّ، و هو سبب فوات كمال حقيقى، فهو جدير بأن يحزن لأجله، لا أن يفرح به. و إن مدح بكمال العلم و الورع، فينبغى أن يكون فرحه بوجود تلك الصفات و يشكر اللّه تعالى عليها لا يشكر غيره، هذا إن كان متصفا به، و أما إن كان غير متصف به، ففرحه به حماقة كفرح من يثنى عليه غيره و يقول: ما أطيب العطر الذى فى أحشائك أو أمعائك، و هو يعلم ما فيها من الأقذار و الأنتان. و هذا حال من يفرح من المدح بالورع و الزهد و العلم و هو يعلم من باطن نفسه أنه خال عنه. و أما اللذة الثانية و الثالثة، و هو لذة الجاه عند المادح و غيره، فعلاجه ما ذكرناه فى حب الجاه.

الأصل السابع حب الدنيا

اشاره

الأصل السابع حب الـدنيا: و اعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة. و ليس الدنيا عبارة عن المال و الجاه فقط، بل هما حظّان من حظوظ الدنيا، و شـعبتان من شعبها؛ و شعب الدنيا كثيرة. و دنياك عبارة عن حالتك قبل الموت، و آخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت. و كل ما لك فيه حظ قبل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۸ الموت فهو من دنياك؛ إلا العلم و المعرفـة و الحرية. و ما يبقى معك بعد الموت فإنها أيضا لذيـذة عنـد أهل البصائر، و لكنها ليست من الـدنيا و إن كانت فى الدنيا. و لهذه الحظوظ الدنيوية تعاون و تعلق بما فيه الحظ، و تعلق بأعمالك المتعلقـة بإصـلاحها، فهى ترجع إلى أعيان موجودة، و إلى حظك فيها، و إلى شـغلك فى إصـلاحها. أما الأعيان، فهى الأرض و ما عليها؛ قال اللّه تعالى: إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها [الكهف: ۷] الآية، و مطلوب الآدمى من الأرض. أما عينهـا فللمسكن و المحرث. و أمـا نباتهـا فللتـداوى و الاقتيـات. و أمـا معادنهـا فللنقود و الأوانى و الآلات. و أما حيواناتها فللمركب و المأكل. و أما الآدميون منها فللمنكح و الاستحسان. و قد جمع اللّه سبحانه ذلك فى قوله: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ [آل عمران: ۱۴] الآية. و أما حظك منها، فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال اللّه تعالى: وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى [النازعات: ۴۰] و قال تعالى تفصـيلا له: أَنَّمَا الْحَياةُ الـدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ [الحديـد: ۲۰] الآية. و ذلك ينـدرج فيه جميع المهلكـات الباطنـة من الغـلّ و الكبر و الحسـد و الرياء و النفاق و التفاخر و التكاثر و حب الـدنيا و حب الثناء، و هى الدنيا الباطنة. و أما الأعيان، فهى الدنيا الظاهرة، و أما شغلك فى إصلاحها، فهى جملة الحرف و الصناعات التى الخلق مشغولون بها، و قـد نسوا فيها أنفسـهم و مبـدأهم و معادهم، لاسـتغراقهم بأشـغالهم بها، و إنما شاغلهم العلاقتان: علاقـة القلب بحب حظوظها، و علاقة البدن بشـغل إصلاحها. فهذه هى حقيقة الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة. و إنما خلقت للتزود منها إلى الآخرة؛ و لكن كثرة أشغالها و فنون شـهواتها أنست الحمقى سـفرهم و مقصـدهم، فقصـروا عليها همتهم، فكانوا كالحاج فى البدايـة، يشـتغل بتعهـد الناقـة و علفها و تسمينها، فيتخلف عن الرفقة حتى يفوته الحج، و تهلكه سباع البادية.

فصل فى ان هذه الدنيا المذمومة هى بعينها مزرعة الآخرة

[فصل فى ان هـذه الـدنيا المذمومة هى بعينها مزرعة الآخرة] هذه الدنيا المذمومة المهلكة، هى بعينها مزرعة الآخرة فى حق من عرفها، إذ الاـربعين فى اصول الـدين، ص: ۸۹ يعرف أنهـا منزل مـن منـازل السـائرين إلى اللّه عز و جـل، و هى كربـاط «۱» بنى على قـارعة الطريق، أعـد فيهـا العلف و الزاد و أسـباب السـفر. فمن تزود منها لآخرته و اقتصـر منها على قـدر الضـرورة التى ذكرناها فى المطعم و الملبس و المنكح و سائر الضـرورات، فقد حرث و بذر، و سـيحصد فى الآخرة ما زرع. و من عرج عليها و اشتغل بلذاتها هلك. و مثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سـفينة فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملّاح بالخروج لقضاء الحاجة، و خوّفهم المقام و استعجال السفينة فتفرقوا فيهـا، فبـادر بعضـهم و قضـى حـاجته و رجع إلى السـفينة فوجـد مكانـا خاليا واسـعا، و وقف بعضـهم فنظر فى أزهار الجزيرة و أنوارها و ظرائف أحجارها و عجائب غياضها و نغمات طيورها، فرجع إلى السفينة فلم يجد إلا مكانا ضيقا حرجا، و أكبّ بعضهم على تلك الأصداف و الأحجار و أعجبه حسـنها فلم تسـمح نفسه إلا بأن يستصـحب شيئا منها، فلم يجد فى السفينة إلا مكانا ضيقا. و زادته الحجارة ثقلا و ضـيقا، فلم يقـدر على رميها و لم يجد لها مكانا، فحملها على عنقه و هو ينوء بأعبائها. و تولج بعضـهم الغياض و نسـى المركب و اشتغل بالتفرج فى تلك الأزهار و التناول من تلك الثمار و هو فى تفرجه غير خال من خوف السباع و الحذر من السقطات و النكبات، فلما رجع إلى السـفينة لم يصادفها فبقى على الساحل، فافترسـته السـباع و مزقته الهوامّ. فهذه صورة أهل الدنيا بالإضافة إلى الدنيا و الآخرة، فتأملها و استخرج وجه الموازنة فيها إن كنت ذا بصيرة.

فصل فى ان من عرف نفسه، و عرف ربه عرف وجه عداوة الدنيا للآخرة

[فصل فی ان من عرف نفسه، و عرف ربه عرف وجه عـداوة الـدنیا للآخرة] من عرف نفسه، و عرف ربه، و عرف زینـة الـدنیا و عرف الآخرة، شاهد بنور البصیرة وجه عداوة الدنیا للآخرة، إذ ینکشف له قطعا أن لا سعادة فی الآخرة إلا لمن قدم علی اللّه سبحانه عارفا به محبّا له؛ فإن المحبـة لا تناله إلا بدوام الذّکر، و إن المعرفة لا تنال إلا بدوام الطلب و الفکر، و لا یتفرغ لهما إلا من أعرض عن أشـغال الدنیا. و لا تسـتولی المعرفة و الحب علی القلب ما لم یفرغ من حب غیر اللّه تعالی؛ ففراغ القلب عن غیر اللّه ضـرورة اشتغاله بحب اللّه تعالی و معرفته. و لن یتصور ذلک إلا لمعرض عن الـدنیا، قانع منها بقدر الزاد و الضـرورة. فإن کنت من أهل البصـیرة فقد صـرت من أهل الـذوق و المشاهدة؛ و إن لم تکن کذلک، فکن من أهل التقلید و الإیمان، و انظر إلی الاربعین فی اصول الدین، ص: ۹۰ تحذیر اللّه سبحانه إیاک، و الکتاب و السنة، و قد قال عز و جل: مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِیها [هود: ۱۵] الآیة. و قـال تعـالی: ذلِکَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَیاةَ الـدُّنْیا عَلَی الْآخِرَةِ [النحل: ۱۰۷] الآیـة. و قـال عز اسـمه: فَأَمَّا مَنْ طَغی وَ آثَرَ الْحَیـاةَ الـدُّنْیا [النازعات: ۳۷، ۳۸] الآیة. و لعل ثلث القرآن فی ذم الدنیا و ذم أهلها، و قد قال صـلی اللّه علیه و سلم: «الدنیا ملعونة ملعون ما فیها، إلا ما کان للّه تعالی منها». و قال صـلی اللّه علیه و سـلم: «یا عجبا کلّ العجب للمصدق بدار الآخرة، و هو یسـعی لدار الغرور». و قال علیه السـلام: «الدنیا حلوة خضرة، و إن اللّه مستخلفکم فیها فناظر کیف تعملون». و قال علیه السلام: «إن اللّه عز و جل لم یخلق خلقا أبغض إلیه من الدنیا، و إنه لم ینظر إلیها منذ خلقها». و قال علیه السلام: «من أصبح و الدنیا أکبر همّه فلیس من اللّه فی شیء، و ألزم قلبه أربع خصال: همّا لا ینقطع عنه أبدا، و شـغلا لا یتفرغ عنه أبدا، و فقرا لا یبلغ غناه أبدا، و أملا لا یبلغ منتهاه أبدا». و قال أبو هریرة: قال صلی اللّه علیه و سـلم: «یا أبا هریرة ألا أریک الـدنیا جمیعها؟ قلت: نعم. فأخـذ بیـدی إلی مزبلـة فیها رؤوس أناس و عـذرات «۱» و خرق و عظام، فقال علیه السـلام: یا أبا هریرة هـذه الرءوس کانت تحرص کحرصـکم و تأمل آمالکم، ثم هی الیوم عظام بلا جلد، ثم ستصـیر رمـادا. و هـذه العـذرات ألوان أطعمتهم اکتسـبوها من حیث اکتسـبوها، ثم قـذفوفها من بطونهم، فأصـبحت و الناس یتحامونها. و هـذه الخرق البالیـة کانت ریاشـهم و لباسـهم فأصـبحت و الریاح تصـفّقها. و هذه العظام عظام دوابهم التی کانوا ینتجعون «۲» علیها أطراف البلاد، فمن کان باکیا علی الـدنیا فلیبک». و قال صـلی اللّه علیه و سـلم: «لیجیئنّ أقوام یوم القیامـة و أعمالهم کجبال تهامة، فیؤمر بهم إلی النـار». قالوا: یا رسول اللّه: مصـلین؟ قال: «نعم، کانوا یصـلون و یصومون و یأخـذون هنـة «۳» من اللیـل، فإذا عرض لهم شـیء من الـدنیا وثبوا علیه». الاربعین فی اصول الدین، ص: ۹۱ و قال عیسـی علیه السلام: «لا یستقیم حب الدنیا و الآخرة فی قلب مؤمن، کما لا یسـتقیم الماء و النار فی إناء واحد». و قال نبینا صـلی اللّه علیه و سـلم: «احذروا الدنیا، فإنها أسـحر من هاروت و ماروت». و قال عیسی علیه السـلام: «یا معشـر الحواریین ارضوا بدنیّ الدنیا مع سلامة الدین، کما رضی أهل الدّنیا بدنیّ الدین مع سلامة الدنیا». و قال عیسی علیه السـلام للحواریین: «لأکل خبز الشعیر بالملح الجریش «۱» و لبس المسوح و النوم علی المزابل کثیر مع عافیـة الـدنیا و الآخرة». و روی أن عیسـی- علیه السـلام- کوشف بالدنیا فرآها فی صورة عجوز شوهاء علیها من کل زینة، فقال لها: کم نکحت؟ فقالت: إنی لا أحصیهم، فقال یطلقونک أو ماتوا عنک؟ فقالت: بل قتلت کلهم. فقال عیسی- علیه السلام-: عجبا لأزواجک الباقین کیف لا یعتبرون بأزواجک الماضین.

فصل فی أن من ظن أنه یلابس الدنیا ببدنه و یخلو عنها بقلبه فهو مغرور

[فصـل فی أن من ظن أنه یلابس الـدنیا ببـدنه و یخلو عنها بقلبه فهو مغرور] اعلم أن من ظن أنه یلابس الـدنیا ببـدنه و یخلو عنها بقلبه فهو مغرور. و قال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «مثل صاحب الدنیا کمثل الماشـی فی الماء، هل یسـتطیع الذی یمشی فی الماء ألا یبتلّ قـدماه؟». و کتب علیّ- رضوان اللّه علیه- إلی سـلمان الفارسـی- رضـی اللّه عنه-: «مثـل الـدنیا مثل الحیـة، یلین مسـها و یقتل سـمها، فأعرض عما یعجبک منها لقلـة ما یصـحبک منها، وضع عنک همومها، لما أیقنت من فراقها، و کن أسـرّ ما تکون بها أحـذر ما تکون منها، فإن صاحبها کلما اطمأنّ منها إلی سرور أشخصه «۲» عنه مکروه». و قال عیسـی- علیه السلام-: «مثل الدنیا مثل شارب ماء البحر،

کلما ازداد شربا ازداد عطشا حتی یقتله» و اعلم أن من اطمأن إلی الدنیا و هو یتیقن أنه راحل عنها هو فی غایهٔ الحماقهٔ، بل مثل الدنیا مثل دار هیأها صاحبها، و زینها لضیافهٔ الواردین و الصادرین، فدخل واحد داره فقدم إلیه طبقا من ذهب علیه بخور و ریحان لیشمها و یترکه لمن یلحقه لا ـ لیتملکه، فجهل رسمه فظن أنه وهب ذلک له، فلما تعلق به قلبه استرجع منه، فضجر الاربعین فی اصول الدین، ص: ۹۲ و توجع، و من کان عالما برسمه انتفع به و شکره و رده بطیبهٔ قلبه و انشراح صدره، فکذلک سنّهٔ اللّه فی الدنیا، فإنها دار ضیافته علی المجتازین لا علی المقیمین لیتزودوا منها ما ینتفعون به کما ینتفع بالعاریهٔ «۱»، ثم یترکونها لمن یلحق بعدهم بطیبهٔ نفس من غیر تعلق القلب بها لا کمن یتعلّق القلب بها.

الأصل الثامن فی الکبر

فصل فی حقیقهٔ الکبر أن یری نفسه فوق غیره فی صفات الکمال

[فصل فی حقیقهٔ الکبر أن یری نفسه فوق غیره فی صفات الکمال] حقیقهٔ الکبر أن یری نفسه فوق غیره فی صفات الکمال، فیحصل فیه نفخهٔ و هزهٔ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۹۳ من هذه الرذیلهٔ و العقیدهٔ، و لذلک قال صلی اللّه علیه و سلم: «أعوذ بک من نفخهٔ الکبر»، و لذلک استأذن بعضهم عمر- رضی اللّه عنه- لیعظ الناس بعد الصبح، فقال: لأخشی أن تنتفخ حتی تبلغ الثریا، ثم هذه النفخهٔ یصدر منها أفعال علی الظاهر، کالترفع فی المجالس، و التقدم فی الطریق، و النظر بعین التحقیر و الغضب إذا لم یبدأ السلام و قصّر فی حوائجه و تعظیمه، و یحمله علی أن یأنف إذا وعظ، و یعنّف إذا وعظ و علّم، و یجحد الحق إذا ناظر، و ینظر إلی العامهٔ کأنه ینظر إلی الحمیر. و إنما عظّم الکبر حتی لا یدخل الجنهٔ من کان فی قلبه مثقال ذرهٔ منه، لأن تحته ثلاثهٔ أنواع من الخبائث العظیمهٔ: أولها: أنه منازعهٔ اللّه تعالی فی خصوص صفته، إذ الکبریاء رداؤه، کما قال اللّه؛ فإن العظمهٔ لا تلیق إلا به. و من أین تلیق العظمهٔ بالعبد الذلیل الذی لا یملک من أمر نفسه شیئا، فضلا عن أمر غیره. الثانیهٔ: أن یحمله علی جحد الحق و ازدراء الخلق. قال صلی اللّه علیه و سلم فی بیان الکبر: «الکبر من سفه الحقّ، و غمص «۱» الناس، و الأنفهٔ من الحق، تغلق باب السعادهٔ، و کذا استحقار الخلق». و قال بعضهم: إن اللّه سبحانه خبأ ثلاثا فی ثلاث: خبأ رضاه فی طاعته، فلا تحقرن شیئا منها لعل رضاء اللّه فیه، و خبأ سخطه فی معصیته، فلا تحقرن شیئا منها صغیرهٔ، فلعل سخط اللّه تعالی فیها، و خبأ ولایته فی عباده، فلا تحقرن أحدا منهم فلعله ولیّ اللّه تعالی. الثالثهٔ: أنه یحول بینه و بین جمیع الأخلاق المحمودهٔ، لأن المتکبر لا یقدر أن یحب للناس ما یحب لنفسه، و لا یقدر علی التواضع، و علی ترک الأنفهٔ و الحسد و الغضب، و لا ـ یقدر علی کظم الغیظ، و علی اللطف فی النصح، و علی ترک الریاء. و بالجملهٔ فلا ـ یبقی خلق مذموم إلا ـ و یضطر المتکبر إلی ارتکابه، و لا خلق محمود إلا و یضطر إلی ترکه.

فصل فی ان العلاج الجملی لقمع رذیلهٔ الکبر أن یعرف الإنسان نفسه

[فصل فی ان العلاج الجملی لقمع رذیلهٔ الکبر أن یعرف الإنسان نفسه] العلاج الجملی لقمع رذیلهٔ الکبر أن یعرف الإنسان نفسه، و أن أوله نطفهٔ مذرهٔ «۲» الاربعین فی اصول الدین، ص: ۹۴ و آخره جیفهٔ قذرهٔ، و هو فیما بین ذلک یحمل العذرهٔ، و یفهم قوله تعالی: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ، مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ، ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ [عبس: ۱۷- ۲۱]، فلیعلم أنه خلق من کتم «۱» العدم، و أنه لم یک شیئا مذکورا؛ فلا شیء أقل من العدم. ثم خلقه من تراب، ثم من نطفهٔ، ثم من علقهٔ، ثم من مضغهٔ، لیس له سمع و لا ـ بصر و لا ـ حیاهٔ و لا قوهٔ. و خلق له ذلک کله و هو بعد غایهٔ النقصان تستولی علیه الأمراض و العلل، و یتضاد فیه الطبائع، فیهدم بعضها بعضا، فیمرض کرها و یجوع کرها، و یعطش کرها، و یرید أن یعلم الشیء فیجهله، و یرید أن ینسی الشیء فیذکره، و یکره الشیء فینفعه، و یشتهی الشیء فیضره، لا یأمن فی لحظهٔ من أن یختلس روحه أو عقله أو صحته أو عضو من أعضائه، ثم آخره

الموت و التعرض للعقاب و الحساب. فإن كان من أهل النار فالخنزير خير منه، فمن أين يليق به الكبر و هو عبـد مملوك ذليل لا يقدر على شـىء. قال الحسن البصـرى- رحمة اللّه عليه- لبعض من يتبختر فى مشـيته: «ما هذه المشية لمن فى بطنه خراء»، فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين فى كل يوم، و هو حامل لها على الدوام؟

فصل فى علاج الكبر على التفصيل

الأصل التاسع العجب

فصل فى ان حقيقة العجب استعظام النفس و خصالها

[فصل فى ان حقيقة العجب اسـتعظام النفس و خصالها] حقيقة العجب استعظام النفس و خصالها التى هى من النعم، و الركون إليها مع نسـيان إضافتها إلى المنعم و الأمن من زوالها. فإن أضاف إليه أن رأى لنفسه عند اللّه حقا و مكانا، سـمى ذلك إدلالا؛ و فى الخبر أن صلاـة المـدلّ لا ترتفع فوق رأسه، و علامـة إدلاله أن يتعجب من رد دعائه، و يتعجب من اسـتقامة حال من يؤذيه. و العجب هو سـبب الكبر، و لكن الكبر يسـتدعى متكبرا عليه، و العجب مقصور على الاـنفراد. أما من رأى نعمـة اللّه على نفسه بعمل أو علم أو غيره و هو خائف على زواله، و فرح بنعمة اللّه تعالى عليه من حيث إنها من اللّه، فليس بمعجب، بل العجب أن يأمن و ينسى الإضافة إلى المنعم.

فصل العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض

[فصـل العجب جهـل محض، فعلاـجه العلم المحض] العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض، فإنه إن أعجب بقوة و جمال أو أمر ممـا ليس يتعلق باختياره، فهو جهل أيضا، إذ ليس ذلك إليه، فينبغى أن يعجب بمن أعطاه ذلك من غير اسـتحقاق، و ينبغى أن يتفكر فى زوال ذلك المخوف على القرب بأدنى مرض و ضـعف، و إن أعجب بعلمه و عمله و ما يـدخل تحت اختياره فينبغى أن يتفكر فى تلك الأعمال بماذا تيسـرت له، و أنها لا تتيسـر إلا بعضو و قـدرة و إرادة و معرفة، و أن جميع ذلك من خلق اللّه عز و جل. و إذا خلق اللّه العضو و القـدرة و سلّط الـدواعى و صـرّف الصوارف، كـان حصول الفعـل ضـروريّا، و ليس للمضـطر أن يتعجب بما يحصل منه اضطرارا، و هو مضطر إلى اختياره، فإنه لا يفعل إن شاء، و لكن إن يشأ اللّه، شاء أو لـم يشأ، مهما خلقت فيه المشيئة، قال اللّه سبحانه و تعـالى: وَ مـا تَشـاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ [الإنسان: ۳۰، التكوير: ۲۹] فمفتاح العمل انجزام المشـيئة و انصـراف الـدواعى الصارفة مع كمال القـدرة و الأعضاء، و كل ذلك بيد اللّه تعالى. أ رأيت لو كان بيد ملكك مفتاح خزانة فأعطاك إياه فأخذت منها أموالا. أتعجب بجوده إذا أعطاك المفتاح بغير استحقاق، أو بكمالك فى أخذه و أى كمال فى الأخذ بعد التمكّن؟

فصل من العجائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله

[فصـل من العجـائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله] و من العجائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله، حتى يتعجب إن أفقره اللّه تعالى و أغنى بعض الجهال و يقول: كيف وسّع النعمـة على الجاهل و حرمنى؟ فيقال له: كيف رزقك العلم و العقل و حرمهما الجاهل؟ فهـذه عطيـة منه، أ فتجعلها سـببا لاسـتحقاق عطيـة الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۹۹ أخرى؟ بـل لـو جمـع لـك بين العقـل و الغنى و حرم الجاهـل منهمـا جميعـا كـان ذلـك أولى بـالتعجب، و مـا تعجب العاقـل منه إلا كتعجب من أعطاه الملك فرسا و أعطى غيره غلاما، و يقول: كيف يعطى الغلاـم لفلاـن و لا فرس له، و يحرمنى و أنا صاحب الفرس؟ و إنما صار صاحب الفرس بعطائه، فيجعل عطاءه سـببا لاستحقاق عطاء آخر، و هو عين الجهل، بل العاقل يكون أبدا تعجبه من فضل اللّه تعالى وجوده من حيث أعطاه العلم و العقل، و وفقه للعبادة من غير تقدم اسـتحقاق منه، و حرم غيره ذلك و سلط عليه دواعى الفساد، و اضطره إليه بصرف دواعى الخير عنه، و ذلك بغير

جریمهٔ سابقهٔ منه. و إذا شاهد ذلک تحقیقا غلب علیه الخوف، إذ قد یقول: قد أنعم اللّه علیّ فی الدنیا من غیر وسیلهٔ، و خصّنی به دون غیری، و من یفعل مثل هذا بغیر سبب، فیوشک أن یعذب و یسلب النعم أیضا بغیر جنایهٔ و سبب؛ فماذا أصنع إن کان ما أفاضه علیّ من النعم مکرا أو استدراجا بما فتحه؟ کما قال اللّه تعالی: فَتَحْنا عَلَیْهِمْ أَبْوابَ کُلِّ شَیْءٍ حَتَّی إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً [الأنعام: ۴۴] و کما قال تعالی: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَیْثُ لا یَعْلَمُونَ [الأعراف: ۱۸۲].

الأصل العاشر فی الریاء

فصل

فصل حقیقهٔ الریاء طلب المنزلهٔ فی قلوب الناس بالعبادات و أعمال الخیر. و ما یراءی به ستهٔ أصناف: الأول: الریاء من جهۀ البدن: و هو إظهار النحول و الصغار لیظنّ به السهر و الصیام، و إظهار الحزن لیظن به أنه شدید الاهتمام بأمر الدین، و إظهار شعث الشعر لیظن به أنه لشدهٔ استغراقه بالدین لیس یتفرّغ لنفسه، و إظهار ذبول «۱» الشفتین لیستدل به علی صومه، و خفض الصوت لیستدل به علی ضعفه من شدهٔ المجاهدهٔ. الثانی: الریاء بالهیئهٔ: کحلق الشارب و إطراق الرأس فی المشی، و الهدوء فی الحرکهٔ، و إبقاء أثر السجود علی الوجه، و تغمیض العینین لیظن به أنه فی الوجد و المکاشفهٔ أو غائص فی الفکر. الثالث: الریاء فی الثیاب: کلبس الصوف و الثوب الخشن و تقصیره إلی قریب من الساق، و تقصیر الکمین و ترک الثوب مخرّقا و وسخا، لیظنّ أنه مستغرق الوقت عن الفراغ له، و لبس المرقّعهٔ و السجادهٔ، لیظنّ أنه من الصوفیهٔ مع إفلاسه عن حقائق التصوف، و لبس الدّراعهٔ و الطیلسان «۲»، و توسیع الأکمام لیظن أنه عالم، و التقنّع فوق الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۰۱ العمامهٔ بإزار، و لبس الجوارب لیظنّ أنه متقشف لشدهٔ ورعه من غبار الطریق. ثم منهم من یطلب المنزلهٔ فی قلوب أهل الصلاح، فیلازم الثوب الخلق، و لو لبس ثوبا جدیدا لکان عنده کالذبح، إذ یخاف أن یقول الناس قد بدا له من الزهد. و منهم من یطلب المنزلهٔ من السلاطین و التجار، و لو لبس خلقان الثیاب لازدروه، و لو لبس فاخر الثیاب لم یعتقدوا زهده، فیطلب المرقعهٔ المصبوغهٔ و الفوطهٔ الرقیقهٔ، و الأصواف الرفیعهٔ، فتکون ثیابهم فی القیمهٔ و النفاسهٔ کثیاب الأغنیاء، و فی اللون و الهیئهٔ کثیاب الصلحاء، و لو کلّفوا أن یلبسوا الخلق لکان عندهم کالذبح خیفهٔ عن السقوط من أعین الأغنیاء، و لو کلّفوا لبس الخزّ و القصبیّ و الدیبقی و ما یباح لبسه، قیمته دون قیمهٔ ثیابهم، لاشتد علیهم خوفا عن سقوط منزلتهم عن القلوب الصلحاء، إذ یقولون: بدا له من الزهد. الرابع: الریاء بالقول: کریاء أهل الوعظ و التذکیر، و تحسین الألفاظ و تسجیعها، و النطق بالحکمهٔ، و الأخبار، و کلام السلف، مع ترقیق الصوت و إظهار الحزن، مع الخلوّ عن حقیقهٔ الصدق و الإخلاص فی الباطن، بل لیظنّ به ذلک، و کادّعاء حفظ الحدیث و لقاء الشیوخ و المبادرهٔ إلی الحدیث أنه صحیح أو سقیم، لیظن به غزارهٔ العلم. و کتحریک الشفتین بالذّکر، و الأمر بالمعروف بمشهد الناس مع خلوّ القلب عن التفجع بالمعصیهٔ. و کإظهار الغضب عن المنکرات و الأسف عن المعاصی مع خلوّ القلب عن التألم به. الخامس: الریاء بالعمل: کتطویل القیام و تحسین الرکوع و السجود، و إطراق الرأس، و قلهٔ الالتفات، و التصدّق، و الصوم، و الحج، و الإخبات «۱» فی المشی مع إرخاء الجفون، مع أن اللّه تعالی عالم أن باطنه لو کان خالیا لما فعل شیئا من ذلک، بل تساهل فی الصلاهٔ و تسرّع فی المشی، و قد یفعل ذلک فی المشی «۲»، فإذا شعر باطلاع غیره علیه عاد إلی السکینهٔ کی یظن به الخشوع. السادس: الریاء بکثرهٔ التلامذهٔ و الأصحاب و کثرهٔ ذکر الشیوخ: لیظن أنه لقی شیوخا کثیرهٔ، و کمن یحب أن یزوره العلماء و السلاطین لیقال إنه ممن یتبرّک به. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۰۲ فهذه مجامع ما یراءی به فی الدین؛ و کل ذلک حرام، بل هو من الکبائر. و أما طلب المنزلهٔ فی قلوب الناس بأفعال لیست من العبادات و أعمال الدین فلیست بحرام، ما لم یکن فیه تلبیس کما ذکرناه فی طلب الجاه. فأهل الدنیا قد یطلبون الجاه بکثرهٔ المال، و الغلمان، و حسن الثیاب الفاخرهٔ، و حفظ الأشعار، و علم الطب، و الحساب، و النحو، و اللغهٔ، و غیر ذلک من الأعمال و الأحوال. و لم یحرم ذلک ما لم ینته إلی الإیذاء بالتکبر و إلی أخلاق أخری

مذمومة، و إنما استقصينا أقسام الرياء لأنه أغلب الأخلاق الذّميمة على النفوس، فمن لا يعرف الشرّ و مواقعه، لا يمكنه أن يتّقيه.

فصل الرياء على درجات خبيثة

[فصل الرياء على درجات خبيثة] الرياء على درجات خبيثة: إحداها: أن لا يكون بالأمور الدينية و العبادات، كالذى يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه فى الخلوة، و كالذى ينفق فى الضيافات و على الأغنياء أموالا، ليعتقد أنه سخى، لا ليعتقد أنه ورع صالح، فذلك ليس بحرام؛ فإنّ تملك القلوب كتملك الأموال. نعم، القليل منه صالح نافع، و الكثير منه يلهى عن ذكر اللّه، كالكثير من المال. و مهما انصرفت الهمة إلى سعة الجاه، فيجرّ ذلك إلى الغفلة و المعاصى، فيكون محذورا بذلك لا لنفسه، و أما إظهار الشمائل التى ذكرناها ليعتقد الناس فيه الدين و الورع فحرام لشيئين: أحدهما، أنه تلبيس إذا أراد أن يعتقد الناس أنه مخلص مطيع للّه محبّ، و هو بهذه النية فاسق ممقوت عند اللّه. و لو سلّم الرجل دراهم إلى جماعة يخيل إليهم أنه يجود عليهم بها، و إنما هى ديون لازمة، عصى لتلبيسه، و إن لم يطلب به أن يعتقد صلاحه لأن ملك القلوب بالتلبيس حرام. الثانى: أنه إذا قصد بعبادة اللّه خلق اللّه فهو مستهزىء، و من وقف بين يدى ملك فى معرض الخدمة و ليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك أو جارية من جواريه. فانظر ماذا يستحقه من النّكال لاستهزائه بالملك، فكأنه إذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد أن عباد اللّه أقدر على نفعه و ضره من اللّه تعالى، إذ عظمة العباد فى قلبه دعته إلى أن يتجمل عندهم بعبادة اللّه، و لهذا سمى الرياء الشرك الأصغر، ثم يزداد الإثم بزيادة فساد القصد و النية. و من المرائين من لا يطلب إلا مجرد الجاه. و منهم من يطلب أن يودع الودائع الاربعين فى اصول الدين، ص: ١٠٣ و توقف عنده الأوقاف و مال الأيتام ليختزل منها، و ذلك أخبث لا محالة. و منهم من يرائى ليقصد إليه النساء و الصبيان، ليتمكن من الفجور، أو ليكثر عنده المال ليصرفه إلى الخمر و الملاهى، و هذا هو الأعظم، إذ جعل عبادة اللّه تعالى وسيلة إلى مخالفته، و العياذ باللّه.

فصل يعظم بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء

[فصل يعظم بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء] كما يعظم الرياء و يتغلظ إثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه، فيعظم أيضا بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء. أما ما به المراءاة فهى على ثلاث درجات: أغلظها أن يرائى بأصل الإيمان، كالمنافق يظهر أنه مسلم و ليس بمسلم بقلبه، و كالملحد و معتقد الإباحة يظهر أنه مستديم الإيمان و قد انسلّ منه باطنه. الثانية: الرياء بأصل العبادات، كمن يصلى و يخرج الزكاة بين يدى الناس، و اللّه يعلم من باطنه أنه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك. الثالثة: و هى أدناها، أن لا يرائى بالفرائض و يرائى بالنوافل، كالذى يكثر النافلة، و يحسن هيئة الفريضة، و يخرج الزكاة من أجود ماله، أو يتهجد أو يصوم يوم عرفة و عاشوراء، و اللّه يعلم من باطنه أنه لو خلا- بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك؛ و هذا أيضا حرام، و إن كان لا- ينتهى شدة العقوبة فيه إلى حدّ الرياء بالأصول. و أما تغليظه بدرجات القصد فهو أنه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلّى مثلا على غير طهارة لأجل الناس، أو يصوم و لو خلا بنفسه لأفطر، و قد يضاف إليه قصد العبادة أيضا، و له ثلاث أحوال: إحداها: أن تكون نية العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه، و لكن زاده رؤية غيره و مشاهدته نشاطا، و خف عليه العمل بسببه، فأرجو أن لا يحبط ذلك القدر عمله بل تصح عبادته و يثاب عليها، و يعاقب على قصد الرياء أو ينقص من ثوابه. الثانية: أن يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة؛ فهذا لا تصح عبادته، و القصد الضعيف لا ينفى عنه شدة المقت. الثالثة: أن يتساوى القصدان بحيث لا يستقلّ كلّ واحد بالحمل لو انفرد، أو لا ينبعث للفعل بأحدهما بل بمجموعهما. فهذا قد أصلح شيئا و أفسد مثله، فالغالب أنه لا يسلّم رأسا برأس، و يحتمل أن يقال إذا تساوى القصدان، فأحدهما كفّارة للآخر؛ و قوله تعالى: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» يدل على أنه لا يقبله و لا يثيبه عليه. أما إنه يعاقبه عليه ففيه نظر، فالأغلب عندى- و العلم عند اللّه- أنه لا يخلو عن إثم و عقاب. الاربعين فى اصول الدين، ص:

۱۰۴

فصل

فصل اعلم أن بعض الرياء جلىّ، و بعضه أخفى من دبيب النمل. أما الجلىّ، فما يبعث على العمل، حتى لولاه لم يرغب فى العمل، و أخفى منه أن لا ـ يستقل بالحمل عليه، و لكن يخفف العمل و يزيد فى نشاطه، كالذى يتهجد كل ليلة و إذا كان عنده ضيف زاد نشاطه؛ و أخفى منه أن لا يزيد نشاطه، و لكن لو اطّلع غيره على تهجده قبل فراغه أو بعده فرح به و وجد فى نفسه هزّة، و ذلك يدل على أن الرياء كان مستكنّا فى باطن القلب استكنان النار تحت الرماد حتى ترشّح منه السرور عند الاطلاع، و قد كان غافلا عنه قبله، و أخفى منه أن لا يسر بالاطلاع، لكن يتوقع أن يبدأ بالسلام و يوقر، و يتعجب ممن يسىء إليه و لا يسامحه فى المعاملة، و لا يحترمه، و ذلك يدل على أنه يمنّ على الناس بعمله، فكأنه يتوقع احترامهم و توقيرهم بعبادته مع إخفائه عنهم. و أمثال هذه الخفايا لا يخلو عنها إلا ـ الصدّيقون، و جميع ذلك إثم، و يخاف منه إحباط العمل. نعم، لا بأس أن يفرح باطلاع غيره عليه إذا كان فرحه باللّه تعالى من حيث أظهر منه الجميل، و ستر منه القبيح، مع أنه قصد سترهما جميعا، فيفرح بلطف صنع اللّه تعالى؛ و كذلك يفرح لأنه يبشره بأنه حيث أحسن صنعه به فى الدنيا، فكذلك يصنع به فى الآخرة. أو يفرح ليقتدى به من يراه أو يطيع اللّه بحمده له عليه. و علامة هذا أن يفرح أيضا، إذا اطلع على غيره ممن يرتجى قدوته. و من أجل خفاء أبواب الرياء و شدة استيلائه على الباطن احترز أولو الحزم فأخفوا عبادتهم، و جاهدوا أنفسهم. و قد قال علىّ – رضى اللّه عنه –: إن اللّه عز و جل يقول للقراء يوم القيامة، «أ لم يكن يرخّص عليكم فى السعر، أو لم تكونوا تبدؤون بالسلام، أ لم تكن تقضى لكم الحوائج؟ لا أجر لكم فقد استوفيتم أجوركم». فاجتهد إن أردت الخلاص أن يكون الناس عندك كالبهايم و الصبيان. فلا تفرق فى عبادتك بين وجودهم و عدمهم، و علمهم بها أو غفلتهم عنها، و تقنع بعلم اللّه تعالى وحده، و تطلب الأجر منه، فإنه لا يقبل إلا الخالص كى لا تحرم من فائدته فى أحوج أوقاتك إليه.

فصل ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ

[فصل ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ] لعلك تقول ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ كما وصفته، و إن قدرت على الرياء الجلى، فهل تنعقد عبادتى مع ذلك؟ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۰۵ فاعلم أن وارد الرياء لا يخلو إما أن يرد مع أول العمل، أو فى دوامه، أو بعد الفراغ منه. أما ما يقارن الابتداء فيبطله و يمنع انعقاده إن صار باعثا مؤثرا فى الحمل على العمل، بل أول العقد يجب أن يكون خالصا، و إنما يبطل بالرياء الباعث على أصل العمل. و أما إذا لم يحمل إلا على المبادرة فى أول الوقت مثلا، فأظن – و العلم عند اللّه تعالى – أن أصل الصلاة يصح، و إنما تفوته فضيلة المبادرة، و يعصى بقصد المراءاة به، و لكن يقصد الفرض عنه. و أما ما يرد فى دوام الصلاة – إن أبطل باعث الصلاة – فتبطل الصلاة؛ مثاله: أن يحضر فى أثناء الصلاة أوطاره. أو يتذكر نسيان شىء، و لو خلا لقطع الصلاة، لكنه أتمّ حياء من الناس، فهذا لا يسقط الفرض عنه، لأن النية قد انقطعت و انقطع باعث العبادة؛ و أما إذا لم تنقطع نيته، لكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم فغلب على قلبه الفرح بإطلاعهم، و انغمر باعث العبادة، فغالب الظن أنه إن انقضى ركن و لم يعاوده الباعث الأصلى فسدت صلاته؛ لأنّا نستصحب نية البداية بشرط أن لا يطرأ ما لو قارن ابتداءها لمنع. و إن لم ينغمر باعث العبادة، و لكن حصل مجرد سرور و لم يؤثر فى العمل، بل فى تحسين الصلاة فقط، فغالب الظن أن الصلاة لا تفسد و يتأدّى الفرض. و أما ما يطرأ بعد الصلاة من ذكر و سرور و مراءاة فلا ينعطف على ما مضى و لكن يعصى به و يأثم، و يكون عقابه بقدر قصده و إظهاره. و مهما ظهرت له داعية ذكر العبادة إما بالتصريح و إما بالتعريض، فذلك يدل على أن الرياء كان خفيّا فى باطنه.

فصل فى دفع الأسباب الباعثة عليه و هى ثلاث: حب المدح، و خوف الذم، و الطمع

فصل علاج الريا

[فصل علاج الريا] لعلك تقول إنى قرّرت هـذا كله فى نفسـى، و نفر عن الرياء قلبى، و لكن ربما هجم علىّ وارد الرياء بغتـة فى بعض العبـادات عنـد اطّلاـع الخلق، فما العلاج منه عنـد هجومه؟ فاعلم أن أصل هـذا العلاج، أن تخفى عبادتك كما تخفى فواحشك، ففيه السـلامة. روى أن بعض أصـحاب أبى حفص الحداد ذمّ الدنيا و أهلها فقال له: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه، لا تجالسنا بعد هذا. و إخفاء العبادة، إنما يشق فى البداية، فإذا صار عادة ألف الطبع لذة المناجاة فى الخلوة. و مهما هجم وارد الرياء فعلاجه أن تجدّد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت اللّه عز و جل، مع عجز الناس عن منفعتك و مضـرّتك، حتى تنبعث منه كراهية لداعيـة الرياء. ثم الشـهوة تـدعو إلى إجابـة الرياء بتحسـين العمل و الفرح به، و الكراهيـة تـدعو إلى رده و الإعراض عنه، و تكون اليد للأقوى. فإن قويت الكراهية حتى منعتك من الركون إليه، و استصحبت الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۰۷ حالتك التى كنت عليها، فلم تزد و لم تنقص و لم تتكلف إظهـار الفعـل و إيثـاره، فقـد انـدفع عنك الإثم و لم تكلف أكثر من ذلك. و أما دفع الخواطر و دفع الطبع عن الميل إلى أقوال الناس، فلا يدخل تحت التكليف، و إنما منتهى التكليف الكراهية و الإباء عن إجابة الداعية.

فصل يجوز إظهار الطاعات لأجل اقتداء الناس و ترغيبهم إذا صحت النية

[فصـل يجوز إظهـار الطاعات لأجل اقتـداء الناس و ترغيبهم إذا صـحت النيـة] يجوز إظهار الطاعات لأجل اقتـداء الناس و ترغيبهم إذا صحت النية، و لم يكن معه شهوة خفية، و علامته أن يقدّر أن الناس لو اقتدوا بأحد أقرانه و كفى مؤونة الترغيب، و أخبر بأن أجره فى الإسـرار كـأجره فى الإظهـار فلاـ يرغب فى الإظهـار؛ فإن كان ميله إلى أن يكون هو المقتـدى به أكثر، ففيه داعيـة الرياء، لأنه إن كان يطلب سـعادة الناس و خلاصهم، فقد حصل ذلك بغيره و لم يفته إلا إظهار نفسه. و كذلك يجوز كتمان المعاصى و الذنوب، و لكن بشـرط أن يكون غرضه أن لاـ يعتقـد فيه الورع، بل لا يعتقـد فيه الفسق، و لا بأس بفرحه باسـتتار معاصـيه، و حزنه بانكشافها، إما فرحا بستر اللّه عليه، و إما فرحا بموافقـة أمر اللّه تعالى، فإنه تعالى يحب كتمان المعاصـى، و ينهى عن المجاهرة بها. و إما لأنه يكره أن يذم فيتألم به، إذ التألم بـذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع، و إنما الحرام الفرح بمـدح الناس إياه بالعبادة؛ فإن ذلك كأجر يأخـذه على العبـادة. و إمـا لأـنه يستحى من ظهورهـا، و الحياء غير الرياء، و لكن قـد يمتزج به. و أما ترك الطاعـة خوفا من الرياء فلا وجه له. قال الفضـيل: الريـاء ترك العمـل خوفا من الرياء، أما العمل لأجل الناس فهو شـرك، بل ينبغى أن يعمل و يخلص، إلا إذا كان العمل فيما يتعلق بـالخلق كالقضـاء و الإمامـة و الوعظ. فإذا علم من نفسه أنه بعـد الخوض فيه لا يملك نفسه، بل يميل إلى دواعى الهوى، فيجب عليه الإعراض و الهرب، كذلك فعل جماعة من السـلف. و أما الصـلاة و الصدقة فلا يتركهما إلا إذا لم تحضره أصلانية العبادة. بل لو تجرّد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه «۱». أما من اعتاد فعله فحضر جماعة فيخاف على نفسه من الرياء، فلا الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۰۸ ينبغى أن يتركه بل ينبغى أن يستمر على عبادته و يجتهد فى دفع باعث الرياء.

خاتمة فى مجامع الأخلاق و مواقع الغرور فيها

خاتمـة فى مجـامع الأخلاـق و مواقع الغرور فيها: اعلم ان الأخلاق المذمومـة كثيرة، و لكن ترجع أصولها إلى ما ذكرناه. و لا يكفيك تزكيـة النفس عن بعضـها حتى تتزكى عن جميعها. و لو تركـت واحـدا منها غالبا عليك، فـذلك يـدعوك إلى البقيـة، لأن بعض هذه يرتبط بالبعض، و يتقاضـى بعض الأخلاق الذميمـة بعضا، و لا ينجو إلا من أتى اللّه بقلب سـليم، و السـلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الأـمراض، بـل إنمـا تنـال بالصـحة المطلقـة، كمـا أنّ الحسن لا يحصل بحسن بعض الأعضاء ما لم يحسن جميع الأطراف، و النجاة فى حسن الخلق. قال النبى صـلى اللّه عليه و سلم: «أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن»، و قد قال النبى عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق». و قيل له: ما الدين؟ قال عليه السلام: «الخلق الحسن»، و قال عليه السلام: «حسن الخلق خلق اللّه تعالى». و قال عليه السلام: «أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا». و قد كثرت الأقاويل فى حقيقته و بيان حدّه؛ و الأكثرون تعرضوا لبعض ثمراته، و لم يحيطوا بجميع تفصيله؛ و الذى يطلعك على حقيقته، أن تعلم أن الخلق و الخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، و بالخلق الصورة الباطنة، و ذلك لأن الإنسان مركّب من جسد يدرك بالبصر، و من روح و نفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر، و لكل واحد منهما هيئة، إما قبيحة و إما حسنة. و النفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا، و لذلك أضافه اللّه عز و جل إلى نفسه، و أضاف البدن إلى الطين، فقال: إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [ص: ۷۱، ۷۲]، و وصف الروح بأنه أمر ربانى فقال: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء: ۸۵]، و أعنى بالرّوح و النفس هاهنا معنى واحدا و هو الجوهر العارف المدرك من الإنسان بإلهام اللّه تعالى، كما قال: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها [الشمس: ۷– ۱۰]، و كما أن للحسن الظاهر أركانا كالعين و الأنف و الفم و الخد– و لا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها– فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بدّ من حسن جميعها حتى يحسن الخلق، و هى أربعة معان: قوة العلم، و قوة الغضب، و قوة الشهوة، و قوة العدل، بين هذه القوى الأربع؛ فإذا استوت هذه الأركان الأربعة، و اعتدلت، و تناسقت، حصل حسن الخلق. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۹ أما قوّة العلم، فاعتدالها و حسنها أن تصير بحيث يدرك بها الفرق بين الصدق و الكذب فى الأقوال، و بين الحق و الباطل فى الاعتقادات، و بين الجميل و القبيح فى الأعمال. فإذا انحصلت هذه القوة كذلك، حصلت منها ثمرة الحكمة، و هى رأس الفضائل؛ قال اللّه عز و جل: وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً، وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [البقرة: ۲۶۹]. و أما قوة الغضب فاعتدالها أن يحصل انقباضها و انبساطها على موجب إشارة الحكمة و الشرع، و كذلك قوة الشهوة. و أما قوة العدل فهى فى ضبط قوة الغضب. و قوة الشهوة تحت إشارة الدين و العقل، فالعقل منزلته منزلة الناصح، و قوة العدل هى القدرة، و منزلتها منزلة المنفذ الممضى لإشارة العقل، و الغضب و الشهوة، و هما اللذان تنفّذ بهما الإشارة، و هما كالكلب و الفرس للصياد. فإن حسن بعض هذه دون بعض، كان كما لو حسن بعض أعضاء الوجه، فلا يطلق اسم الحسن له إلا إذا حسن الجميع و اعتدل، فإذا حسنت و اعتدلت انشعب منه جميع الأخلاق. و أما قوة الغضب، فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة، و اللّه تعالى يحب الشجاعة، و إن مالت إلى طرف الزيادة سميت تهوّرا، و إن مالت إلى النقصان تسمّى جبنا. و يتشعب من اعتدالها: خلق الكرم، و النجدة، و الشهامة، و الحلم، و الثبات، و كظم الغيظ، و الوقار، و التّؤدة. و أما إفراطها فيحصل منه: خلق التهوّر، و الصّلف، و البذخ، و الاستشاطة، و الكبر، و العجب. و أما تفريطها فيحصل منه: الجبن، و المهانة، و الذلة، و الخساسة، و عدم الغيرة، و ضعف الحمية على الأهل، و صغر النفس. و أما الشهوة، فيعبر عن اعتدالها بالعفة، و عن إفراطها بالشّره، و عن تفريطها و ضعفها بالخمود، فيصدر من العفة: السخاء، و الحياء، و الصبر، و السماحة، و القناعة، و الورع، و المساعدة، و الظرف، و قلة الطمع. و يصدر عن إفراطها: الحرص، و الشره، و الوقاحة، و التبذير، و التقتير، و الرياء، و الهتكة، و المجانة، و الملق، و الحسد، و الشماتة، و التذلل للأغنياء، و استحقار الفقراء، و غير ذلك. و أما قوة العقل، فيصدر من اعتدالها: حسن التدبير، و جودة الذهن، و ثقابة الرأى، و إصابة الظن، و التفطن لدقائق الأعمال و خفايا آفات النفس. و أما إفراطها فيحصل منه: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۰ الجربزة «۱»، و الدهاء، و المكر، و الخداع. و يحصل من تفريطها و ضعفها: البله، و الحمق، و الغمارة «۲»، و البلادة، و الانخداع. فهذه هى روابط الأخلاق؛ و إنما معنى حسن الخلق فى الجميع وسط بين الإفراط و التفريط، فخير الأمور أوسطها. و كلا طرفى قصد الأمور ذميم، و لذلك قال عز و جل: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ [الإسراء: ۲۹]، و قال تعالى: وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً [الفرقان: ۶۷]، و قال تعالى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: ۲۹]. و مهما مال واحد من هذه الجملة إلى الإفراط و التفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق.

فصل طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها المجاهدة و الرياضة

[فصل طریق إصلاح هذه الأخلاق کلها المجاهدهٔ و الریاضهٔ] طریق إصلاح هذه الأخلاق کلها المجاهدهٔ و الریاضهٔ. و معنی المجاهدهٔ أن یکلّف الصفهٔ المفرطهٔ الغالبهٔ خلاف مقتضاها فتعمل بنقیض موجبها، فإن غلب البخل فلا تزال تتکلف البذل بالمجهود، و تداوم علیه مرهٔ بعد أخری، حتی یسهل علیک البذل فی محله؛ فإن غلب التبذیر فلا تزال تتکلف الإمساک حتی یصیر عادهٔ فیسهل علیک الإمساک فی محله. و کذلک فی خلق الکبر و سائر الأخلاق، و قد ذکرناه فی کتاب ریاضهٔ النفوس علی التفصیل. و ینبغی أن تعلم أن من یبذل تکلّفا فلیس بسخیّ، و أن من یتواضع تکلفا فهو ثقیل علی نفسه، و هو عاطل عن خلق التواضع، بل الخلق عبارهٔ عن هیئهٔ للنفس یصدر عنها الفعل بسهولهٔ من غیر رویّهٔ و تکلف. لکن التکلف هو طریق تحصیل الخلق، فإنه لا یزال یتکلف أوّلا حتی یصیر طبعا و عادهٔ. فیفهم من هذا أن البخیل قد یبذل و أن السخیّ قد یمسک. فلا تنظر إلی الفعل بل إلی الهیئهٔ الراسخهٔ التی تصدر منها الأفعال بیسر من غیر تکلف. و اعلم أن تفاوت الناس فی الحسن الباطن، کتفاوتهم فی الحسن الظاهر، و لن یسلم الحسن المطلق إلا علی الندور، و إنما سلم ذلک لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حتی أثنی اللّه سبحانه علیه فقال: وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ [القلم: ۴]. و لیست النجاهٔ موقوفهٔ علی الکمال البالغ لکن علی أن یکون المیل إلی الحسن أکثر، فإن القبیح الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۱۱ المطلق فی الظاهر ممقوت، و الحسن المطلق معشوق، و ما بینهما درجات، فالقریب من الحسن المطلق أسعد فی الدنیا من القریب إلی القبح المطلق. و کذلک تتفاوت سعادهٔ الآخرهٔ بحسب تفاوت حسن الصورهٔ الباطنهٔ.

فصل

فصل اعلم أنک قد تظن بنفسک حسن الخلق و أنت عاطل عنه، فإیاک أن تغتر، و ینبغی ان تحکّم فیه غیرک فتسأل عنه صدیقا بصیرا لا یداهنک. و بالجملهٔ إذا نسبک غیرک إلی سوء الخلق أوشک أن تکون کذلک؛ لأن أکثر الأخلاق یتعلق بالغیر فینبغی أن تظهر لهم. و من مواقع الغرور فیه مثلا- أن تغضب فتظن أنک تغضب اللّه تعالی، و تظهر العبادهٔ و تظن أنک تظهر للاقتداء، أو تکف عن الأکل أو طلب الدنیا أو تکظم الغیظ. و إنما یهون علیک ذلک أن تعرف به فیکون الریاء الباعث علی الجمیع. و کذلک یکثر مواقع الغرور فیه علی ما ذکرناه فی کتاب الغرور؛ فإن هذا الکتاب لا یحتمل استقصاءه.

فصل

فصل ینبغی أن تتفقد هذه الأخلاق فی قلبک، و تبدأ بالأهم فالأهم، فتقبل علی أغلب هذه الصفات فتکسرها علی التدریج. و أظن أن الأغلب علیک حبّ الدنیا، و سائر المعاصی و الأخلاق المذمومهٔ تتبعها. و لا یمکنک الخلاص من حب الدنیا إلا بأن تطلب خلوهٔ خالیهٔ، و تتفکر فی سبب إقبالک علی الدنیا و إعراضک عن الآخرهٔ، فلا تجد له سببا إلا محض الجهل و الغفلهٔ، فإن أقصی عمرک فی الدنیا مائهٔ سنهٔ. فهب أن مملکهٔ وجه الأرض تسلم لک من المشرق إلی المغرب فی مایهٔ سنهٔ، أ لیس یفوتک بها المملکهٔ فی مدهٔ لا آخر لها و هی مملکهٔ الآخرهٔ؟ فإن کان لا یدخل فی خیالک طول الأبد، فقدّر الدنیا کلّها مملوءهٔ ذرهٔ، فقدّر طائرا یأخذ فی کلّ ألف ألف سنهٔ حبهٔ واحدهٔ فتفنی الذرهٔ و لم ینقص من الأبد شیء، لأن الباقی أیضا لا نهایهٔ له کما کان قبل ذلک. و أنت تری نفسک ترضی بتعب الأسفار إمّا فی تجارهٔ أو طلب رئاسهٔ، و هذا التعب الناجذ «۱» لأجل شیء موهوم ربما یدرکک الموت قبله، و ربما لا یصفو لک إن ظفرت به؛ و إنما ترضی الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۱۲ بذلک لأنک تستحقر التعب سنهٔ مثلا بالإضافهٔ إلی بقیهٔ العمر، و جملهٔ عمرک بالإضافهٔ إلی الأبد أقلّ من سنهٔ بالإضافهٔ إلی عمرک، بل لا إضافهٔ بینهما، فتفکر فیه لینکشف لک جهلک علی القرب. و لعلک تقول إنما أفعل ذلک علی توقع العفو، فإن اللّه تعالی کریم رحیم. فأقول: و لم لا تترک الحراثهٔ و التجارهٔ و طلب المال علی توقع العثور علی کنز فی خراب، فإن اللّه کریم لا ینقص من ملکه شیء لو عرّفک فی منامک کنزا من الکنوز حتی تأخذه؟ فإن قلت: ذلک نادر و إن کان داخلا فی قدرهٔ اللّه تعالی. فاعلم أن توقع العفو مع خراب الأعمال و الأخلاق کتوقع کنز فی خراب بل

أبعد منه و أندر؛ و قد نبهك اللّه تعالى عليه و قال: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى [النجم: ۳۹]، و قال اللّه تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ [ص: ۲۸] الآيـة. و رغبك عن طلب المال فقال اللّه تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [هود: ۶]. فما بالك تكذّب بكرمه فى الـدنيا و لا تتكل عليه، ثم تخدع نفسك بالكرم فى الآخرة و أنت تعلم أن رب الدنيا و الآخرة واحد؟

فصل

فصل لعلك تقول: عواقب أمور الـدنيا قـد انكشـفت لى بالعيان و اطمأن قلبى إليها، و أما أمر الآخرة فلم أشاهده و لست أجد تصديقه الحقيقى فى قلبى؛ فلـذلك فترت رغبتى فى ترك الـدنيا نقـدا بمـا هو موعود نسـيئة و لست أثق به. فـأقول: لو كنت من أرباب البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صـريحا كما انكشف أمر الـدنيا؛ و إذا لم تكن من أهله فتفكر فى أقاويل أرباب البصائر، فإن الناس فى أمر الآخرة أربعـة أصـناف: صـنف أثبتوا الجنـة و النار كما ورد به القرآن، و قـد سـمعت أنواع نعيمها و أنكال جحيمها. و صـنف لم يثبتوا اللّـذات و الآلام الحسـية بل أثبتوهما على سبيل التخيل، كما فى المنام، حتى يكون كل واحـد فى جنة أو نار يراها وحده، و زعموا أن تـأثير ذلـك فيه كتأثير الحقيقـة، لأن تألم النائم كتألم اليقظان، و إنما يخلص عنه بالتنبه، و ذلك فى الآخرة دائم لا انقطاع له. الاربعين فى اصـول الـدين، ص: ۱۱۳ و صـنف ثـالث أثبتـوا آلامـا عقليـة و لـذات عقليـة، و زعمـوا أن ذلـك أعظم من الحسـية، و مثلوا ذلك باستشـعار لـذة الملـك و استشـعار زوالهـا؛ فإن زوال الملك يؤرث «۱» آلامـا كـثيرة بدنيـة على مـا يظفر به عـدوه و يأخـذ مملكته و يستسـخره، مع أن ظفر العـدوّ لا يؤلم البـدن. و هؤلاء هم أصـناف النظّار، أعنى الأصـناف الثلاثة، و هم الأنبياء و الأولياء و الحكماء، و كلّهم اتفقوا على إثبات سـعادة مؤبدة و شـقاوة مؤبدة. فإن السعادة لا تنال إلا بترك الدنيا و الإقبال على اللّه عزّ و جلّ، و لو مرضت و لم تكن من أهل البصـيرة فى طب و رأيت أفاضل الأطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف فى اتباعهم. و صنف رابع ليسوا من النظّار فى الأمور الإلهيـة، بـل من الأطبـاء و المنجمين اقتصـر نظرهم على الطبـائع الأربع و مزاجها، و رأوا قوام الروح موقوفا عليها، و لم يتفطنوا لحقيقـة الرّوح الإلهىّ الحقيقى الذى هو العارف باللّه تعالى، بل لم يدركوا إلا الروح الجسـمانى الذى هو بخار أنضـجته حرارة القلب، ينتشـر فى العروق الضوارب إلى جميع البـدن، فيقوم به الحس و الحركـة، و هى الروح التى توجـد للبهـائم أيضـا. فأمـا الروح الخـاص الإنسانى المنسوب إلى اللّه سبحانه، حيث قال: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲]، فلم يتفطنوا لها، فظنوا أن الموت عدم، و أنه يرجع إلى فسـاد المزاج. و أنت فى حق هؤلاء بين أمرين: إمـا أن تجوّز غلطهم، أو تعلم قطعـا صـحة قولهم؛ فـإن جوّزت خطـأهم لزمك الإعراض عن الـدنيا بمجرد الاحتمال، فإنك لو كنت صادق الجوع و ظفرت بطعام و هممت بأكله، فأخبرك صبى أن فيه سـمّا و أن حيـة و لغت فيه، قاسيت الجوع و تركت الأكـل، لأنـك تقول: إن كان كاذبا فليس تفوتنى إلّا لـذة الأكل، و إن كان صادقا ففيه الهلاـك؛ و بمثـل هـذا الاحتمـال لاـ يمكن الهجوم عليه. فليت شـعرى مع احتمال الخلود فى النار كيف يستجرئ العاقل الهجوم عليه، فكيف لاـ يكون كـاليقين التـام فى الحـذر منه، حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكـة عقله فقال: الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۱۴ زعم المنجم و الطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت إليكما إن صحّ قولكما فلست بخاسر إن «۱» صحّ قولى فالخسار عليكما فإن قلت: إنى أعلم ضـرورة صـدق هؤلاـء، فـإن الموت عـدم و أنه لاـ عقـاب و لاـ ثواب، فـإن الأنبيـاء و الأوليـاء مغرورون أو ملبّسون، و إنما الـذى انكشـفت له حقيقـة الحق هو هذا الطبيب الجاهل، و زعمت أنى أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد حتى لا يخالجنى فيه ريب، فيـدل هـذا على فساد المزاج و ركاكة العقل و البعد عن قبول العلاج. و لكن مع هذا يقال لك: إن كنت تطلب الراحة فى الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا مجاهدة الشـهوات و كسـرها؛ فإن الراحة فى الحرية، و الخلاص فى كسر الشهوات لا فى اتباعها، فإنها إذا سلطت على النفس فهى آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذلّ و مشقة، و ما المستريح فى الدنيا إلا تاركها و الزاهد فيها، و أما طالبها فلا يزال منها فى عناء. فالمعطل أيضا- إن عقل قليلا- ترك الدنيا لكثرة عنائها و سـرعة فنائها و خسة شـركائها. فإن لم تكن فى

أمر الآخرة على تخمين، و لا من مشاهدة آفات الدنيا على يقين، فما أنت إلا من الحمقى المغرورين، و لتعلمنّ نبأه بعد حين، و لذلك قال اللّه تعالى: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: ٣]. الاربعين فى اصول الدين، ص: ١١٥

القسم الرابع فى الأخلاق المحمودة و هى أيضا عشرة أصول

الأصل الأول التوبة

فصل فى حقيقة التوبة

[فصل فى حقيقة التوبة] حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد إلى طريق القرب، و لكن لها ركن و مبدأ و كمال: أما مبدؤها فهو الإيمان، و معناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتّضح فيه أن الذنوب سموم مهلكة، فيشتعل منه نار الخوف و الندم، و ينبعث من هذه النار صدق الرغبة فى التلافى و الحذر. أما فى الحال فبترك الذنوب، و أما فى الاستقبال فبالعزم على الترك، و أما فى الماضى فبالتلافى على حسب الإمكان؛ و بذلك يحصل الكمال. الاربعين فى اصول الدين، ص: ١١۶

فصل فى وجوب التوبة على كل احد

[فصل فى وجوب التوبة على كل احد] إذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك أنها واجبة على كل أحد، و فى كل حال؛ و لذلك قال اللّه تعالى: وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً [النور: ٣١]، فخاطب الجميع مطلقا. أما وجوبها فلأن معناها معرفة كون الذنوب مهلكة، و الانبعاث لتركها، و هو جزء من الإيمان، أعنى هذه المعرفة، فكيف لا تجب؟ و أما وجوبها على كل واحد فهو أن الإنسان مركب من صفات بهيمية و سبعيّة و شيطانية و ربوبية، حتى يصدر من البهيمية الشهوة و الشره و الفجور، و من السّبعية الغضب و الحسد و العداوة و البغضاء، و من الشيطانية المكر و الحيلة و الخداع، و من الربوبية الكبر و العز و حب المدح و الاستيلاء. و أصول هذه الأخلاق هذه الأربع، و قد عجنت فى طينة الإنسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها، و إنما ينجو من ظلماتها بنور الإيمان المستفاد من العقل و الشرع. فأول ما يخلق فى الآدمى البهيمية فيغلب عليه الشّره و الشهوة فى الصبا، ثم يخلق فيه السّبعية فيغلب عليه المعاداة و المنافسة، ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر و الخداع، إذ تدعوه السبعية و البهيمية إلى أن يستعمل كياسته فى حيل قضاء الشهوة و تنفيذ الغضب. ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية، و هو الكبر و الاستيلاء و طلب العلو. ثم بعد ذلك يخلق العقل الذى يظهر فيه نور الإيمان و هو من حزب اللّه و جنود الملائكة. و تلك الصفات من جنود الشيطان. و جنود العقل يكمل عند الأربعين، و يبدو أصله عند البلوغ. و أما سائر جنود الشيطان يكون قد سبق إلى القلب قبل البلوغ، و استولى عليه و ألفته النفس، و استرسلت فى الشهوات متابعة لها، إلى أن يرد نور العقل فيقوم القتال و التطارد بينهما فى معركة القلب. فإن ضعف جند العقل و نور الإيمان لم يقو على إزعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخرا كما سبق إلى النزول أولا، و قد سلم للشيطان مملكة القلب. و هذا القتال ضرورى فى فطرة الآدمى، إذ لا يتّسع له خلقة الولد لما لا يتسع له خلقة الأب؛ و إنما حكى لك حال آدم صلوات اللّه عليه لتتنبّه به أن ذلك كان مكتوبا عليه، و هو مكتوب على جميع أولاده فى القضاء الأزلى الذى لا يقبل التبديل؛ فإذا لا يستغنى أحد عن التوبة.

فصل

فصل و أما وجوبها فى كل حال، فلأن الإنسان لا يخلو فى جميع أحواله عن ذنب فى جوارحه أو فى قلبه، و لا يخلو عن خلق من الأخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه، الاربعين فى اصول الدين، ص: ١١٧ فإنه مبعد عن اللّه، و الاشتغال بإماطته توبة، لأنه رجوع عن طريق البعد إلى طريق القرب. فإن خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن اللّه، و ذلك أيضا طريق البعد. و يلزمه

الرجوع عنه بالـذکر، و لـذلک قـال اللّه تعـالی: وَ اذْکُرْ رَبَّکَ إِذا نَسِیتَ [الکهف: ۲۴]، و إن کـان حاضـرا علی الـدوام؛ و أنّی یتصور ذلک؟ فلا یخلو عن ملازمهٔ مقام نازل عن المقامات الرفیعهٔ وراءه، و علیه أن یترقی منه إلی ما فوقه؛ و مهما ترقی منه استغفر عن مقامه الـذی خلّفه، لأنه تقصـیر بالإضافـهٔ إلی ما أدرکه؛ و ذلک لا نهایهٔ له، فذلک قال علیه السـلام: «و إنه لیغان «۱» علی قلبی حتی أستغفر اللّه تعـالی فی الیوم و اللیلـهٔ سـبعین مرهٔ». و کـل ذلـک کـان توبـهٔ منه؛ إلا أن توبـهٔ العوام عن الـذنوب الظاهرهٔ، و توبـهٔ الصالحین عن الأخلاق الذمیمـهٔ الباطنـهٔ، و توبـهٔ المتقین عن مواقع الریبهٔ، و توبهٔ المحبین عن الغفلهٔ المنسـیهٔ للذکر، و توبهٔ العارفین عن الوقوف علی مقام یتصور أن یکون وراءه مقام: و المقامات فی القرب من اللّه لا نهایهٔ لها، فتوبهٔ العارف لا نهایهٔ لها أیضا.

فصل فی ان علاج التوبهٔ حل عقدهٔ الاصرار

[فصل فی ان علاج التوبهٔ حل عقـدهٔ الاصـرار] التوبـهٔ إذا اجتمعت شـرائطها، فهی مقبولـهٔ لا محالهٔ. و لا یخفی علیک ذلک إن فهمت معنی القبول؛ فمعنی القبول: أن یحصـل فی قلبـک استعداد القبول لتجلی أنوار المعرفهٔ فی القلب، و إنمـا قلبـک کالمرآهٔ یحجبه عن التجلی کدورات الشـهوهٔ و الرغبهٔ فیها، و یرتفع من کل ذنب ظلمهٔ إلیه، و من کل حسـنهٔ نور إلیه، فالحسـنات تصقل النفس، و لذلک قال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «أتبع السـیئهٔ الحسـنهٔ تمحها». و نسـبهٔ التوبهٔ إلی القلب نسبهٔ الصابون إلی الثوب، و لا بد أن یزول منه الوسخ إذا اسـتعمل فیه علی وجهه. و من تاب فإنما یشک فی قبول التوبهٔ لأنه لیس یستیقن تمام شروطها، کما أن من شرب المسهل لا یستیقن حصول الإسـهال به لأنـه لاـ یـدری وجود تمام الشـرائط فی أدویتها، و لو تصور أن یعلم ذلک، لتصوّر أن یعلم القبول فی حق الشخص المعین. و لکن هذا الشک فی الأعیان لا یشکّکنا فی أنّ التوبهٔ فی نفسها بطریق القبول لا محالهٔ.

فصل

فصل علاج التوبهٔ حل عقدهٔ الإصرار، فإنه لا مانع منها سوی الإصرار، و لا حامل علیه الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۱۸ سوی الغفلهٔ و الشـهوهٔ؛ و ذلک مرض فی القلب، و علاجه کعلاج أمراض البـدن. لکن هذا المرض أکثر من مرض الأبدان لثلاثهٔ أسـباب: أحدها: أنه من مرض لاـ یعرف صاحبه أنه مریض، و هو کبرص علی وجه من لا مرآهٔ له، فإنه لا یعالجه لأنه لا یعرفه، و لو أخبره غیره ربما لم یصـدقه. الثـانی: أن عاقبـهٔ هـذا المرض لم یشاهـدها الإنسـان و لم یجرّبها، فلـذلک تراه یتکل علی عفو اللّه و یجتهـد فی علاج مرض البـدن غایـهٔ الجهـد. الثالث: و هو الـداء العضال فقـد الأطباء؛ فإن الطبیب هو العالم العامل. و قد مرض العلماء فی هذه الأعصار مرضـا عسر علیهم علاج أنفسهم، لأن الداء المهلک هو حب الدنیا، و قد غلب ذلک علی العلماء، و اضطرّوا إلی الکف عن تحذیر الخلق من الدنیا کیلا تنکشف فضـیحتهم، فافتضحوا لمّا اصطلحوا علی الإقبال علی الدنیا و التجاذب لها و التکالب علیها. فبهذا السبب عم الداء و انقطع الـدواء، و اشـتغل الأطبـاء بفنون الإغواء، فلیتهم إذا لم یصـلحوا لم یفسـدوا، و لیتهم سـکتوا و ما نطقوا، بل صار کل واحـد کأنه صخرهٔ فی فم الوادی، لا هی تشـرب و لا تترک الماء لیشـر به غیرها. و جملـهٔ القول فی علاجه أن تنظر فی سـبب الإصـرار و هو یرجع إلی خمسـهٔ أبواب: أولهـا: أن العقاب الموعود لیس بنقـد، و الطبع یسـتهین بما لا یوجـد محققا فی الحال. و علاجه أن تتفکر لتعلم أن کلّ ما هو آت قریب، و أن البعید ما لیس بآت، و أن الموت أقرب إلی کل أحد من شراک نعله؛ فما یدریه لعله فی آخر أیامه، أو فی آخر سـنهٔ من عمره، ثم یتفکر أنه کیف یتعب فی الأسـفار فیرکب الأخطار خوفا من الفقر فی الاستقبال. الثانی: أن اللّذات و الشهوات أخذت بمخنقه فی الحال، فلیس یقدر علی قلعها، و علاجه أن یتفکر أنه لو ذکر له طبیب نصرانیّ بأن شرب الماء البارد یضره و یسوقه إلی الموت، و هو ألذّ الأشـیاء عنده، کیف یترکه! فلیعلم أن اللّه تعالی و رسوله صـلی اللّه علیه و سـلم أصدق من الطبیب النصـرانی، و الخلود فی النـار أشـد من الموت بـالمرض، و لیقرر علی نفسه أنه إذا کـان یشق علیه ترک اللـذات أیامـا قلائـل، فکیف لاـ یشق علیه ملابسـهٔ النار و الحرمان عن الفردوس و نعیمه أبـد الدهر؟ الثالث: أنه یسوّف بالتوبهٔ یوما فیوما؛ و علاجه أن یتفکر و یعلم أن بناء خطر

الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۱۹ السعادة و الشقاوة علی ما لیس إلیه جهل، فمن أین یعلم أنه یبقی إلی أن یتوب؟ و إنّ أکثر صیاح أهل النار من التسویف، لأنهم سوّفوا حتی فاجأهم مرض ساقهم إلی الموت، کیف، و إنما یسوّف لأنه یعجز عن قمع الشهوات فی الحال! فإن کان ینتظر یوما یسهل فیه قمع الشهوات، فهذا یوم لم یخلق أصلا، بل مثاله مثال امرئ یرید أن یقلع شجرة عجز عنها لضعفه و قوة رسوخ الشجرة، فیؤخر إلی السنة القابلة و هو یعلم أن الشجرة تزداد کلّ یوم رسوخا، و قوته تزداد کل یوم قصورا و نقصانا، و ذلک غایة الجهل. الرابع: أن یعد نفسه بالکرم و العفو، و ذلک غایة الحمق أوردها الشیطان فی معرض الدّین؛ قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «الکیّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و الأحمق من أتبع نفسه هواها و تمنّی علی اللّه تعالی». الخامس: أن یکون- و العیاذ باللّه- شاکّا فی أمر الآخرة؛ و قد ذکرنا علاجه فی خاتمة الأخلاق الذمیمة.

فصل

فصل التوبة من الذنوب کلها مهمة واجبة، و عن الکبائر أهم؛ و الإصرار علی الصغیرة أیضا کبیرة؛ فلا صغیرة مع إصرار و لا کبیرة مع رجوع و استغفار، و تواتر الصغائر عظیم التأثیر فی تسوید القلب، و هو کتواتر قطرات الماء علی الحجر، فإنه یحدث فیه حفرة لا محالة، مع لین الماء و صلابة الحجر. و تعظم الصغیرة بأسباب: إحداها: أن یستصغرها العبد و یستهین بها، فلا یغتم بسببها؛ قال بعضهم: الذنب الذی لا یغفر قول العبد لیت کل شیء عملته مثل هذا. الثانی: السرور بها، و التبجح بسببها، و اعتقاد التمکن منها نعمة، حتی أن المذنب لیفتخر فیقول: ما رأیتنی کیف شتمته، و کیف مزقت عرضه، و کیف خدعته فی المعاملة؟ و ذلک عظیم التأثیر فی تسوید القلب. الثالث: أن یتهاون بستر اللّه علیه، و یظن أن ذلک لکرامة عند اللّه تعالی، و لا یدری أنه ممقوت؛ و قد أمهل لیزداد إثما فیکون فی الدرک الأسفل من النار. الرابع: أن یجاهر بالذنب و یظهره، أو یذکره بعد فعله؛ و فی الخبر: کل الناس معافی إلا المجاهرون. الخامس: أن یصدر الصغیرة عن عالم یقتدی به، فذلک عظیم، لأنه یبقی بعد موته، فطوبی لمن مات و ماتت معه ذنوبه؛ و من سنّ سنّة سیئة فعلیه وزرها و وزر من عمل بها إلی یوم القیامة. و روی أن بعض علماء بنی إسرائیل تاب عن ذنوبه و بدعته، الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۰ فأوحی اللّه إلی نبیّ زمانه أن ذنبک لو کان فیما بینی و بینک لغفرته لک، و لکن کیف بمن أضللت من عبادی فأدخلتهم النار. و علی الجملة، فلا باعث علی التوبة إلا الخوف الصادر عن البصیرة و المعرفة، فلنذکر فضیلة الخوف.

الأصل الثانی فی الخوف

فصل فی حقیقة الخوف

[فصل فی حقیقة الخوف] اعلم أن حقیقة الخوف هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مکروه فی الاستقبال. و قد یکون ذلک الخوف من جریان ذنوب، و قد یکون الخوف من اللّه تعالی بمعرفة صفاته التی توجب الخوف لا محالة، و هذا أکمل و أتم، لأن من عرف اللّه خافه بالضرورة، و لذلک قال اللّه تعالی: إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ۲۸]. و قد أوحی اللّه تعالی إلی داود علیه السلام: «خفنی کما تخاف السّبع الضّاری»؛ و لذلک قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «أنا أخوفکم للّه تعالی». و اعلم أن الواقع فی مخالب السبع إنما لا یخافه إذا لم یعرف السّبع، فإنّ من علم أن من صفة السبع أنه یهلکه و لا یبالی، فإن ترکه لم یکن لرقته علیه و شفقته، فإنه أحقر عنده من أن یشفق علیه، فلابد من أن یخاف، و للّه المثل الأعلی و هو العزیز الحکیم، و لکن من عرف أنه لو أهلک الأولین و الآخرین لم یبال و لم ینقص شیء من ملکه قُلْ فَمَنْ یَمْلِکُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ یُهْلِکَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً [المائدة: ۱۷]. و کم أهلک من عباده فی الدنیا، و عرّضهم لأنواع العذاب و لم تأخذه رقة و لا شفقة، فإن ذلک محال علیه، فلابد و أن الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۱ یخاف. فمعرفة الجلال و العزة و الاستغناء، یورث الهیبة بالضرورة، و هذا أکمل أنواع

الخوف و أفضلها.

فصل فی علاج الخوف و تحصیله

[فصل فی علاج الخوف و تحصیله] علاج الخوف و تحصیله علی رتبتین: إحداهما، معرفة اللّه تعالی، فإنها توجب الخوف بالضرورة؛ فإن الواقع فی مخالب السبع لا یحتاج إلی علاج لیخاف إن کان یعرف السبع. و من عرف جلال اللّه تعالی و استغناءه و أنه خلق الجنة و خلق لها أهلا، و خلق النار و خلق لها أهلا، و أنه تمت کلمته بالسعادة و الشقاوة فی حق کل أحد صدقا و عدلا، و أن ذلک لا یتصور تغییره و لا یصرفه عن تنفیذ قضائه الأزلیّ صارف، و هو لا یدری ما الذی سبق به القضاء فی حقه، و لا یدری ما الذی یختم له به، و احتمل عنده أن یکون مقضیّا له بشقاوة الأبد، فهذا لا یتصور أن لا یخاف. و أما من عجز عن حقیقة المعرفة فعلاجه النظر إلی الخائفین، و مشاهدة أحوالهم أو سماع ذلک؛ فإن أخوف خلق اللّه الأنبیاء، و الأولیاء، و العلماء، و أهل البصیرة، و أعظم الخلق أمنا الغافلون الأغبیاء، الذین لا یمتد نظرهم لا إلی السابقة، و لا إلی الخاتمة، و لا إلی معرفة جلال اللّه تعالی. و هذا، کما أن الصبی لا یخاف الحیة ما لم ینظر إلی أبیه یخافها و یهرب منها و ترتعد فرائصه إذا رآها، فینظر إلیه فیقلده، و یستشعر خوفه، و إن لم یعرف بالحقیقة صفة الحیة؛ و قد قال صلی اللّه علیه و سلم: «ما جاءنی جبرائیل علیه السلام قط إلا و هو یرتعد فرائصه فرقا «۱» من النار»، و قیل لما ظهر علی إبلیس ما ظهر، طفق جبرائیل و میکائیل یبکیان، فأوحی اللّه سبحانه إلیهما: ما لکما تبکیان؟ قالا: یا رب ما نأمن مکرک، فقال اللّه تعالی: هکذا کونا لا تأمنا مکری! فَلا یَأْمَنُ مَکْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ [الأعراف: ۹۹]. و قیل لما خلق اللّه تعالی النار، طارت أفئدة الملائکة عن أماکنها، فلما خلق بنی آدم عادت. و کان أزیز «۲» قلب إبراهیم- علیه السلام- یسمع فی الصلاة من مسیرة میل. و بقی داود- علیه السلام- أربعین یوما ساجدا لا یرفع رأسه حتی نبت الرعی «۳» من الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۲ دموعه. و قال أبو بکر الصدیق- رضی اللّه عنه- لطائر: «لیتنی مثلک یا طائر و لم أخلق». و قال أبو ذر- رضی اللّه عنه-: «وددت لو أنی شجرة تعضد» «۱». و قالت عائشة- رضی اللّه عنه: «وددت لو أنی نسیا منسیّا». و قد حکینا أحوال الخائفین فی کتاب الخوف فلیتأمل القاصر عن ذروة المعرفة، أحوال الأنبیاء و الأولیاء و العارفین، لیعلم أنه أحقّ بالخوف منهم، و إذا تأمل ذلک بالحقیقة غلبه خوفه.

فصل

فصل الخوف سوط یسوق العبد إلی السعادة. و لا ینبغی أن یفرط بحیث یورث القنوط، فذلک مذموم؛ بل إذا غلب ینبغی أن یمزج الرجاء به. نعم، ینبغی أن یغلب الخوف الرجاء ما دام العبد مقارفا للذنوب، فأما المطیع المتجرد للّه تعالی، فینبغی أن یعتدل خوفه و رجاؤه، مثل عمر- رضی اللّه عنه- حیث قال: «لو نودی لیدخلن الجنة جمیع الخلق إلا رجل واحد لخفت أن أکون أنا ذلک الرجل، و لو نودی لیدخلن النار جمیع الخلق إلا رجل واحد لرجوت أن أکون أنا ذلک الرجل». و أما اذا قرب الموت فالرجاء و حسن الظن بربه أولی به، قال صلی اللّه علیه و سلم: «لا یموتن أحدکم إلا و هو یحسن الظن بربّه». و الرجاء یخالف التمنّی، فإن من لا یتعاهد الأرض و لا یبث البذر، ثم ینتظر الزرع، فهو متمنّ مغرور فلیس براج، إنما الرّاجی من تعهد الأرض و سقاها، و بث البذر و حصل کل سبب یتعلّق باختیاره، ثم بقی یرجو أن یدفع اللّه الصواعق و القواطع، و أن یمکّنه من الحصاد بعد الإنبات، و لذلک قال عز و جل: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أُولئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ [البقرة: ۲۱۸]. و بالجملة فثمرة الرجاء الترغیب فی الطلب، و ثمرة الخوف الترغیب فی الهرب. و من رجا شیئا طلبه، و من خاف شیئا هرب منه. و أقلّ درجات الخوف ما یحمل علی ترک الذنوب، و علی الإعراض عن الدنیا، و ما لا یحمل علی ذلک فهو حدیث نفس، و خواطر لا وزن لها، تشبه رقة النساء، و لا ثمرة لها؛ بل الخوف إذا تم أثمر الزهد فی الدنیا، فلنذکر الزهد و معناه: الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۳

الأصل الثالث فی الزهد

اشاره

الأصل الثالث فی الزهد: قال اللّه تعالی: وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى [طه: ۱۳۱]، و قال: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها، وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ [الشوری: ۲۰]. و قال اللّه تعالی فی حق قارون: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً [القصص: ۷۹، ۸۰]. فبيّن أن الزهد من ثمرات العلم. و قال صلی اللّه عليه و سلم: «من أصبح و همّه الدّنيا شتّت اللّه عليه أمره، و فرّق عليه ضيعته، و جعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. و من أصبح و همّه الآخرة، جمع اللّه له همه، و حفظ عليه ضيعته، و جعل غناه فی قلبه، و أتته الدنيا و هی راغمة». و لما سئل صلی اللّه عليه و سلم عن قوله تعالی: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ، وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [الأنعام: ۱۲۵]، و عن معنی الشرح، قال عليه السلام: «إن النور إذا دخل القلب انشرح الصدر و انفسح، قيل: و هل لذلك من علامة؟ قال: نعم التجافی عن دار الغرور و الإنابة إلی دار الخلود و الاستعداد للموت قبل نزوله». و قال عليه السلام: «استحيوا من اللّه حق الحياء». و قيل إنا نستحی، قال عليه السلام: «تبنون ما لا تسكنون، و تجمعون ما لا تأكلون». و قال عليه السلام: «من زهد فی الدنيا أدخل اللّه الحكمة قلبه، و أنطق بها لسانه، و عرّفه داء الدنيا و دواءها، و أخرجه منها سالما إلی دار السلام». و قال عليه السلام: «لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتی يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، و حتی يكون قلة الشیء أحب إليه من كثرته». و قال عليه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خيرا، زهّده فی الدنيا، و رغّبه فی الآخرة، و بصّره بعيوب نفسه» و قال عليه السلام: «ازهد فی الدنيا يحبك اللّه تعالی، و ازهد فيما فی أيدی الناس يحبك الناس». و قال عليه السلام: «من أراد أن يؤتيه اللّه علما بغير تعلم و هدی بغير هداية فليزهد فی الدنيا».

فصل فی ان للزهد فی الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة

[فصل فی ان للزهد فی الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة] للزهد فی الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة؛ أما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا الاربعين فی اصول الدين، ص: ۱۲۴ و انزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها، و أصلها العلم و النور الذی يشرق فی القلب حتی ينشرح به الصدر، و يتضح به أنّ الآخرة خير و أبقی، و أن نسبة الدنيا إلی الآخرة أقلّ من نسبة خزفة إلی جوهرة، و ثمرتها القناعة من الدنيا بقدر الضرورة، و هو قدر زاد الراكب، فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الانزواء، و يظهر علی الجوارح بالكفّ إلا عن قدر الضرورة فی زاد الطريق. و الضروریّ من زاد الطريق مسكن و ملبس و مطعم و أثاث. أما المطعم، فله طول و عرض: أما طوله، فبالإضافة إلی الزمان، و أقصر درجاته الاقتصار علی دفع الجوع فی الحال، فإذا دفعه غدوة لم يدخر شيئا لعشائه، و أوسطه أن يدّخر لشهر إلی أربعين يوما فقط؛ و أدناه أن يدّخر لسنة؛ فإن جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد، إلا أن لا يكون له كسب و لا يأخذ من الأيدی، كداود الطائی، فإنه ملك عشرين دينارا، فأمسكها و قنع بها عشرين سنة؛ فذلك لا يبطل مقام الزهد و درجته فی الآخرة إلا عند من يشرط التوكل فی الزّهد. و أما عرضه فأقله نصف رطل، و أوسطه رطل، و أعلاه مدّ؛ و الزيادة عليه تبطل رتبة الزهد. و أما الجنس، فأقله ما يقوت و لو النخالة، و أوسطه خبز الشعير، و أعلاه خبز البرّ غير منخول، فإن نخل فهو تنعم لا زهد. فأما الإدام فأقله الخل و البقل و الملح، و أوسطه الأدهان، و أعلاه اللّحم؛ و ذلك فی الأسبوع مرة أو مرتين، فإذا دام لم يكن صاحبه زاهدا. قالت عائشة- رضی اللّه عنها-: «كان يأتی أربعون ليلة و ما يوقد فی بيت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم مصباح و لا نار»، و قيل: ما شبع رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر. و أما الملبس فأقله ما يستر العورة و يدفع الحرّ و البرد، و أعلاه قميص و

سراویل و منـدیل من الجنس الخشن، و یکون بحیث لو غسل ثوبه لم یجـد غیره؛ فإن کان صاحب القمیصـین لم یکن زاهـدا. قال أبو ذر: أخرجت عائشـة- رضـی اللّه عنها- کساء ملبـدا و إزارا غلیظا، فقالت: «قبض رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم فی هذین». و صـلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی خمیصة «۱» لها علم، فلما سلم قال: «شغلنی النظر إلی هذه، اذهبوا بها إلی أبی جهم ..» الحدیث. و کان شـراک نعله قد أخلق فأبدل بسـیر جدید، فلما سـلم عن صلاته الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۵ قال: «أعیدوا الشراک الخلق، فإنی نظرت إلیه فی الصـلاة». و کان علیه السـلام قد احتذی نعلین جدیدین، فأعجبه حسـنهما فخرّ ساجدا، فقال علیه السـلام: «أعجبنی حسـنهما فتواضـعت لربی خشـیة أن یمقتنی»، ثم خرج بهما فدفعهما إلی أول مسکین رآه. و قد عدّ علی قمیص عمر- رضی اللّه عنه- اثنتـا عشـرة رقعـة بعضـها من أدم. و اشتری علی- رضوان اللّه علیه- فی خلافته ثوبـا بثلاثـة دراهم، و قطع کمیه من الرّسـغین، و قـال: الحمد للّه الذی هذا من ریاشه. و قال بعضـهم: قوّمت ثوب سفیان و نعله بدرهم و دانقین. و قال علی- رضوان اللّه علیه-: إن اللّه عز و جل أخـذ علی أئمة الهدی أن یکونوا فی مثل أدنی أحوال الناس، لیقتدی بهم الغنی و لا یزری بالفقیر فقره. و أما المسکن، فأدناه أن تقنع بزاویـة فی مسـجد أو رباط، کأهل الصّـفّة، و أعلاه أن یطلب لنفسه موضـعا خاصّا و هی حجرة إما بشـراء أو إجارة، بشـرط أن لا یزیـد سـعته علی قـدر الحاجة. و لا یرفع بناؤه، و لا یهتم بتجصـیصه، و فی الأثر: أن من یرفع بناءه فوق سـتة أذرع ناداه مناد إلی أین یا أفسق الفاسـقین؟ و مات رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و لم یضع لبنة علی لبنة، و لا قصبة علی قصبة. و قال عبد اللّه بن عمر- رضی اللّه عنهما-: مرّ بنا رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم و نحن نعالج خصّا «۱» فقال: إن الأمر أعجل من ذلک. و اتخذ نوح- علیه السلام- بیتا من خص، فقیل له: لو شـئت لاتخـذته من الطین، فقال: هـذا کثیر لمن یموت. و قال صـلی اللّه علیه و سـلم: «من بنی فوق ما یکفیه کلّف أن یحمله یوم القیامة»، و قال علیه السلام: «کل بناء وبال علی صاحبه یوم القیامة إلا ما أکنّ «۲» من حرّ و برد». و أما أثاث البیت ففیه أیضـا درجـات، و أدناهـا حال عیسـی ابن مریم- علیه السـلام- إذ لم یکن معه إلا مشط و کوز، فرأی إنسانا یمشط بأصابعه فرمی المشـط، و رأی آخر یشـرب بیـده، فرمی الکوز. و أوسـطه، أن یسـتعمل الجنس الخشن واحـدا فی کـلّ غرض، و یجتهـد أن یسـتعمل واحـدا فی أغراض. و قـال عمر- رضـی اللّه عنه- لعمیر بن سـعید- و هو أمیر حمص-: مـا معـک من الـدنیا؟ فقال: معی عصای أتوکأ علیهـا، و أقتـل بهـا حیـة إن لقیتها، و معی جرابی أحمل فیها طعامی، و معی قصـعتی آکل الاربعین فی اصول الـدین، ص: ۱۲۶ فیها و أغسل رأسـی و ثوبی، و معی مطهرتی أحمل فیها شـرابی و وضوئی، فما کان بعد هذا من الدنیا فهو تبع لما معی. فقال: صدقت. و قال الحسن: أدرکت سـبعین من الأخیار ما لأحـدهم إلا ثوبه، و ما وضع أحدهم بینه و بین الأرض ثوبا. و کان فراش رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم الذی ینام علیه و سادة من أدم حشوها لیف، و عباءة خشـنة. فهذه سـیرة الزهّاد فی الدنیا، فمن حرم هذه الرتبة فلا أقل من أن یتحسّر علی فواتها، و یجتهد أن یکون قربه منهم أکثر من قربه من المتنعّمین فی الدنیا.

فصل فی ان الزهد علی درجات

[فصل فی ان الزهـد علی درجات] الزهـد علی درجات: إحـداها: أن یزهـد و نفسه مائلـة إلی الـدنیا و لکن یجاهـدها؛ و هذا متزهد، و لیس بزاهـد؛ و لکن بدایـة الزهـد التزهـد. الثانیـة: أن تفر نفسه عن الـدنیا و لاـ تمیـل إلیها، لعلمه أن الجمع بینها و بین نعیم الآخرة غیر ممکن، فتسمح نفسه بترکها، کما تسمح نفس من یبذل درهما لیشتری جوهرة، و إن کان الدرهم محبوبا عنده؛ و هذا زهد. الثالثة: أن لا تمیل نفسه إلی الـدنیا و لا تنفر عنها، بل یکون وجودها و عدمها عنده بمثابة واحدة، و یکون المال عنده کالماء، و خزانة اللّه تعالی کالبحر، فلا یلتفت قلبه إلیه رغبـة و نفورا، و هـذا هو الأکمل؛ لأن الـذی یبغض شـیئا فهو مشـغول به، کالذی یحبه؛ و لذلک ذمّ الدنیا عنـد رابعة العدویة، فقالت: «لولا قدرها فی قلوبکم ما ذممتموها». و حمل إلی عائشة- رضـی اللّه عنها- مایة ألف درهم فلم تنفر عنها، و لکن فرقتها فی یومها، فقالت خادمتها: لو اشتریت بـدرهم لحما تفطرین علیه، فقالت: لو ذکرتنی لفعلت. فهذا هو الغنی، و هو أکمل من الزّهد؛ و لکنه مظنّة غرور الحمقی، إذ کل مغرور یستشـعر فی نفسه أن لا علاقة لقلبه مع الدنیا؛ و علامة ذلک، أن لا یدرک الفرق

بین أن یسرق جمیع ماله أو یسرق مال غیره، فما دام یدرک التفرقة فهو مشغول به.

فصل

فصل کمال الزهد، هو الزهد فی الزهد، بأن لا یعتدّ به و لا یراه منصبا؛ فإن من ترک الدنیا و ظن أنه ترک شیئا فقد عظّم الدنیا، إذ الدنیا عند ذوی البصائر لا ـ شیء، و صاحبها کمن منعه عن دار الملک کلب علی بابه، فألقی إلیه لقمة خبز و شغله بها و دخل دار الملک و جلس علی سریر الملک؛ فإن الشیطان کلب علی باب اللّه تعالی، و الدنیا کلها أقل من لقمة بالإضافة إلی الملک، إذ اللقمة لها نسبة إلی الملک إذ یفنی بأمثالها، و الآخرة لا یتصور أن تفنی بأمثالها الدنیا لأنها لا نهایة لها. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۷

فصل

فصل الزهد باعتبار الباعث علیه علی ثلاث درجات: إحداها: أن یکون باعثه الخوف من النار و هذا زهد الخائفین. الثانیة: و هی أعلی منه أن یکون باعثه الرغبة فی نعیم الآخرة، و هذا زهد الراجین. و العبادة علی الرجاء أفضل منها علی الخوف، لأن الرجاء یقتضی المحبة. الثالثة: و هی أعلاها، أن یکون الباعث علیه الترفع عن الالتفات إلی ما سوی الحق، تنزیها للنفس عنه، و استحقارا لما سوی اللّه؛ و هذا زهد العارفین، و هو الزهد المحقق، و ما قبله معاملة، إذ ینزل صاحبها عن شیء عاجلا لیعتاض عنه أضعافه آجلا

فصل

فصل الزهد باعتبار ما فیه من الزهد علی درجات، و کماله الزهد فی کلّ ما سوی اللّه تعالی فی الدنیا و الآخرة، و دونه الزهد فی الدنیا خاصة دون الآخرة. ثم یدخل فیه کل ما فیه حظ و تمتع فی الدنیا، من مال و جاه و تنعم. و دون ذلک أن یزهد فی المال دون الجاه، أو فی بعض الأشیاء دون البعض، و ذلک ضعیف، لأن الجاه ألذّ و أشهی من المال، فالزهد فیه أهمّ.

فصل

فصل الزهد أن تنزوی عن الدنیا طوعا مع القدرة علیها، أما إن انزوت الدنیا عنک و أنت راغب فیها، فذلک فقر و لیس بزهد. و لکن للفقر أیضا فضل علی الغنی، لأنه منع عن التمتع بالدنیا، و هذا هو أفضل ممن مکّن من الدنیا و التمتع بها حتی ألفها و اطمأن إلیها، و لم یتجاف قلبه عنها، فیعظم الألم و الحسرة عند الموت، و تکون الدنیا کأنها جنة الغنیّ، و تکون کأنها سجن الفقیر، إذ یشتهی الخلاص من آلامها. و الفقر من أسباب السعادة؛ قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «إن اللّه تعالی یحمی عبده عن الدنیا و هو یحبه، کما یحمی أحدکم مریضه عن الطعام و الشّراب»، و قال علیه السلام: «یدخل فقراء أمتی الجنة قبل أغنیائها بخمسمائة عام»، و قال علیه السلام: «خیر هذه الأمة فقراؤها»، و قال علیه السلام: «إذا رأیت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصّالحین، و إذا رأیت الغنی مقبلا فقل ذنب عجّلت عقوبته»، و قال موسی- علیه السلام-: یا رب من أحباؤک من خلقک حتی أحبهم لأجلک؟ فقال: کل فقیر. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۸ و اعلم أن الفقیر إن کان قانعا بما أعطی، غیر شدید الحرص علی الطلب، فدرجته قریب من درجة الزاهد. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «طوبی لمن هدی للإسلام و کان عیشه کفافا و قنع به». و قال صلی اللّه علیه و سلم: «الفقراء الصبراء هم جلساء اللّه تبارک و تعالی». و قال علیه السلام: «أحب العباد إلی اللّه تعالی الفقیر القانع». و أوحی اللّه تعالی إلی إسماعیل- صلوات اللّه علیه و سلامه- اطلبنی عند المنکسرة قلوبهم، قال: و من هم؟ قال: الفقراء الصادقون. و علی الجملة، إنما یعظم ثواب الفقیر عند القناعة و الصبر، و الرضی و الصبر علی الفقر مبدأ الزهد، و لا تتم هذه المقامات إلا بالصبر فلنذکره:

الأصل الرابع فی الصبر

اشاره

الأصل الرابع فی الصبر: قال اللّه تعالی: وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال: ۴۶]، و جمع للصابرین بین أمور لم یجمعها لغیرهم، فقال عزّ من قائل: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ، وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة: ۱۵۷]. و قال تعالی: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: ۹۶]. و قال تعالی: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا [السجدة: ۲۴]. و قال تعالی: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ [الزمر: ۱۰]. و ذکر اللّه سبحانه فی القرآن الصبر فی نیف و سبعین موضعا. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «الصبر نصف الإیمان»، و قال علیه السلام: «من أقلّ ما أوتیتم، الیقین و عزیمة الصبر، و من أعطی حظّه منهما لم یبال بما فاته من قیام اللیل و صیام النهار». و قال علیه السلام: «الصبر کنز من کنوز الجنّة». و سئل النبی- علیه السلام- مرة عن الإیمان فقال: «هو الصبر». و قال عیسی- علیه السلام-: إنکم لا تدرکون ما تحبون إلا بصبرکم علی ما تکرهون.

فصل فی حقیقة الصبر

[فصل فی حقیقة الصبر] حقیقة الصبر ثبات باعث الدّین فی مقابلة باعث الهوی، و هو من خاصیة الآدمیّ الذی هو کالمرکّب من شعب ملکیة و بهیمیة، لأن البهیمة لم یسلّط علیها إلا دواعی الشهوة، و الملائکة لم یسلّط علیهم الشهوة بل جرّدوا للشوق إلی مطالعة جمال الحضرة الربوبیة، و الابتهاج بدرجة القرب منها، فهم یسبّحون اللیل و النهار لا یفترون؛ فلیس فیهم داعیة الشهوة. فلم یتصور الصبر لملک و لا بهیمة، بل الإنسان سلّط علیه جندان یتطاردان، أحدهما من حزب اللّه و ملائکته، و هو العقل و بواعثه، و الثانی من جنود الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۲۹ الشیطان و هی الشهوات و دواعیها بعد البلوغ یظهر بواعث الدین و العقل إذ یحمل علی النظر إلی العواقب، و تبتدیء بقتال جند الشیطان، فإن ثبت باعث الدین فی مقابلة باعث الهوی حتی غلبه، فقد حصل مقام الصبر، إذ لا یتصور الصبر، إلا عند تعارض الباعثین علی التناقض، و ذلک کالصبر علی شرب الدواء البشیع، إذ یدعو إلیه داعی العقل، و یمنع منه داعی الشهوة. و کل من غلبته شهوته لم یعزم علیه، و من غلب عقله شهوته صبر علی مرارته لینال الشفاء. و شطر الإیمان إنما یتم بالصبر؛ و لذلک قال النبی- علیه السلام-: «الصبر نصف الإیمان»، لأن الإیمان یطلق علی المعارف و الأعمال جمیعا، و سائر الأعمال فی طرفی الکف و الإقدام و التزکیة و التحلیة لا یتم إلا بالصبر؛ لأن جملة أعمال الإیمان علی خلاف باعث الشهوة، فلا یتم إلا بثبات باعث الدین فی مقابلته؛ و لذلک قال- علیه السلام-: «الصوم نصف الصبر»، لأن الصبر تارة فی مقابلة داعی الشهوة، و تارة فی مقابلة داعی الغضب؛ و الصوم هو کسر لداعیة الشهوة.

فصل فی درجات الصبر

[فصل فی درجات الصبر] الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه و قوته: الدرجة العلیا: أن تقمع داعیة الهوی بالکلیة، حتی لا یبقی لها قوة للمنازعة. و یتوصل إلیها بدوام الصبر و طول المجاهدة؛ و ذلک من الذین قیل لهم: إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا [فصلت: ۳۰، الأحقاف: ۱۳]، و إیاهم ینادی المنادی: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً [الفجر: ۲۷، ۲۸]. الدرجة السفلی: أن تقوی داعیة الهوی و تسقط منازعة باعث الدین، و یغلب الهوی و یسلم القلب لجند الشیطان؛ و ذلک من الذین قیل فیهم: وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: ۱۳]. و علامته شیئان: أحدهما، أن یقول: أنا أشتاق إلی التوبة و لکن تعذرت علیّ، فلست أطمع فیها؛ فهذا هو القانط و هو الهالک. الثانی: أن لا یبقی فیه شوق إلی التوبة، و لکن یقول: اللّه کریم رحیم و هو مستغن عن توبتی فلا تضیق الجنة الواسعة و المغفرة الشاملة عنّی. و هذا المسکین قد صار عقله أسیر شهوته، و لا یستعمله

إلا فى استنباط حيل قضاء الشهوة، فصار عقله كالمسلم الأسير بين الكفّار، يستسخرونه فى رعاية الخنازير، و حفظ الخمور، و حملها على العنق و الظهر إلى بيوتهم. فانظر كيف يكون حال العبد إذا أخذ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۰ أعز أولاد الملك و سلمه إلى أخس أعدائه حتى استرقه و استسخره، ففى مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على اللّه تعالى. نعوذ باللّه منه. الدرجة الوسطى: أن لا يفتر على المحاربة، و لكن يكون الحرب بينهما سجالا، تارة له اليد، و تارة عليه اليد؛ و هذا من المجاهدين الذين خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً ... [التوبة: ۱۰۲] الآية. و علامة هذا أن يترك من الشهوات ما هو أضعف، و يعجز عما هو أغلب؛ و ربما يغلبها فى بعض الأوقات دون بعض، و هو فى جميع الأحوال متحسر على عجزه، و مستمر المعاودة إلى مجاهدته و قتاله، و ذلك هو الجهاد الأكبر. و مهما اتقى و صدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى. و بالجملة فقد قصر عن البهيمة إنسيّ لم يقاوم بقوة عقله شهوته و قد أيد بالعقل و حرم عنه البهيمة، و لذلك قال اللّه تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا» «۱».

فصل

فصل اعلم أن الحاجة إلى الصبر عامة فى جميع الأحوال، لأن جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين: فإنه إمّا أن يوافق هواه أو يخالفه. فإن وافق هواه كالصحّة و السّلامة و الثروة و الجاه و كثرة العشيرة، فما أحوجه إلى الصبر معها، فإنه إن لم يضبط نفسه طغى و استرسل فى التنعم و اتباع الهوى، و نسى المبتدى و المنتهى؛ و لذلك قالت الصحابة- رضوان اللّه عليهم أجمعين- بلينا بفتنة الضرّاء فصبرنا، و بلينا بفتنة السرّاء فلم نصبر؛ و لذلك قيل: يصبر على البلاء كلّ مؤمن، و لا يصبر على العافية إلا صدّيق. و معنى الصبر فيها، أن لا يركن إليها، و يعلم أن كل ذلك وديعة عنده، و يسترجع على القرب، و أن لا ينهمك فى الغفلة و التنعّم، و يؤدى حق شكر النعمة، و ذلك مما يطول شرحه. النوع الثانى: ما يخالف الهوى، و ذلك أربعة أقسام: القسم الأول الطاعات: و النفس تنفر عن بعضها بمجرّد الكسل كالصلاة، و عن بعضها بالبخل كالزكاة، و عن بعضها بهما جميعا كالحج و الجهاد، و الصبر على الطاعة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۱ من الشدائد. و يحتاج المطيع إلى الصبر فى ثلاث أحوال: أحدها: أول العبادة بتصحيح الإخلاص، و الصبر عن شوائب الرياء و مكائد الشيطان، و مكائد النفس و غرورها. الثانية: حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق أدائه بفروضه و سننه، و يوقع على شرط الأدب مع حضور القلب و نفى الوسواس. الثالثة: بعد الفراغ، و هو أن يصبر عن ذكره و إفشائه للتظاهر به رياء و سمعة. و كل ذلك من الصبر الشديد على النفس. القسم الثانى المعاصى: و قد قال صلى اللّه عليه و سلم: «و المجاهد من جاهد هواه، و المهاجر من هجر السوء»، و الصبر عن المعاصى أشدّ، لا سيما عن معصية صارت عادة مألوفة، إذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان: جند الهوى، و جند العادة. فإن انضم إلى ذلك سهولة و خفة المئونة فيه، لم يصبر عنها إلا الصدّيق؛ و ذلك كمعاصى اللسان، فإنها هيّنة سهلة؛ و ذلك كالغيبة و الكذب و المراء و الثناء على النفس. و يحتاج فى دفع ذلك إلى أشد أنواع الصبر. القسم الثالث: ما لا يرتبط باختيار العبد، و لكن له اختيار فى دفعه و تداركه، كالأذى الذى يناله من غيره بيد أو لسان. فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يجب، و تارة يستحب. قال بعض الصحابة: ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى. قال اللّه عز و جل: وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا، وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ [إبراهيم: ۱۲]. و قال اللّه تعالى: وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ [الأحزاب: ۴۸]. و قال تعالى: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [الحجر: ۹۷]. القسم الرابع: ما لا يدخل أوله و آخره تحت الاختيار، كالمصائب بموت الأعزّة، و هلاك الأموال، و المرض، و ذهاب بعض الأعضاء، و سائر أنواع البلاء، و الصبر عليه من أعلى المقامات. قال ابن عباس- رضى اللّه عنه-: الصبر فى القرآن على ثلاث مقامات: صبر على أداء الفرائض و له ثلاثمائة درجة، و صبر على محارم اللّه تعالى و له ستمائة درجة، و صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى و له تسعمائة درجة. و قال صلى اللّه عليه و سلم: قال اللّه تعالى: «إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر و لم يشتك إلى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه، و دما خيرا من دمه، فإن أبرأته أبدلته و لا ذنب له، و إن توفيته فإلى رحمتى». و قال النبى- عليه السلام-: «قال اللّه تعالى: إذا وجهت إلى عبد من

عبیدی مصیبة فی بدنه أو الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۳۲ فی ماله أو ولده، ثم استقبل ذلک بصبر جمیل، استحییت منه یوم القیامة أن أنصب له میزانا، أو أنشر له دیوانا». و قال علیه السلام: «انتظار الفرج بالصبر عبادة». و قال علیه السلام: «من إجلال اللّه تعالی و معرفة حقه أن لا تشکو وجعک، و لا تذکر مصیبتک». فقد عرفت أنک لا تستغنی عن الصبر فی جمیع أوقاتک، و به یظهر أنه شطر الإیمان؛ و شطره الآخر فیما یتعلق بالأعمال و هو الشکر، فقد قال صلی اللّه علیه و سلم: «الإیمان نصفان: نصف صبر، و نصف شکر». و هذا باعتبار النظر إلی الأعمال و التعبیر بالإیمان عنها.

الأصل الخامس الشکر

اشاره

الأصل الخامس الشکر: و قد قال اللّه تعالی: وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ [سبأ: ۱۳] و قال: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ [إبراهیم: ۷]، و قال: وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ [البقرة: ۱۵۲]، و قال: وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ [آل عمران: ۱۴۴]، و قال: ما یَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ [النساء: ۱۴۷]. و قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «للطاعم الشاکر منزلة الصائم الصابر عند اللّه». و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یبکی فی تهجده، فقالت عائشة- رضی اللّه عنها- و ما یبکیک؟ و قد غفر اللّه لک ما تقدّم من ذنبک و ما تأخر. فقال- علیه السلام-: «أ فلا أکون عبدا شکورا؟»، و قال: «ینادی یوم القیامة لیقم الحامدون، فیقوم زمرة فینصب لهم لواء فیدخلون الجنّة»، فقیل و من الحامدون؟ قال: «الذین یشکرون اللّه علی کل حال». و قال: «الحمد رداء الرحمن».

فصل فی مقام الشکر

[فصل فی مقام الشکر] اعلم أن الشکر من المقامات العالیة، و هو أعلی من الصبر و الخوف و الزهد و جمیع المقامات التی سبق ذکرها، لأنها لیست مقصودة فی أنفسها، و إنما تراد لغیرها. فالصبر یراد منه قهر الهوی، و الخوف سوط یسوق الخائف إلی المقامات المقصودة المحمودة، و الزهد هرب من العلائق الشاغلة عن اللّه تعالی، و أما الشکر فمقصود فی نفسه و لذلک لا ینقطع فی الجنة، و لیس فیها توبة و لا- خوف و لا صبر و لا زهد. و الشکر دائم فی الجنة، و لذلک قال اللّه تعالی: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ [یونس: ۱۰]. و تعرف ذلک بأن تعرف حقیقة الشکر، و أنه ینتظم من علم و حال و عمل: أما العلم، فالعلم بالنعمة و المنعم، بأن النّعم کلها من اللّه تعالی، و هو المنفرد بجمیعها. و الوسائط کلّهم مسخرون مقهورون. و هذه المعرفة وراء التقدیس و التوحید، الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۳۳ فإنهما داخلان فیه؛ بل الرتبة الأولی فی معارف الإیمان التقدیس، ثم إذا عرفت ذاتا مقدسة و عرفت أنه لا مقدس إلا واحد، فهو التوحید. ثم إذا علمت أن کل ما فی العالم فهو موجود من ذلک الواحد، و الکل نعمة منه خاصة، فهو الحمد. و إلی هذا الترتیب الإشارة بقوله صلی اللّه علیه و سلم: «من قال سبحان اللّه، فله عشر حسنات، و من قال لا إله إلا اللّه، فله عشرون حسنة، و من قال الحمد للّه، فله ثلاثون حسنة». و هذا لأن التقدیس و التوحید داخلان فی الحمد و زیادة، و هذه الدرجات بإزاء هذه المعارف. و أما حرکة اللسان ففضلها بحسب صدورها عن المعرفة أو تجدیدها للاعتقاد فی القلب، فإن الفم آلة لإزالة الغفلة لینمحی أثرها. و اعلم أنک إذا اعتقدت أن لغیر اللّه دخلا فی النعمة الواصلة إلیک لم یصح حمدک، و لم تتم معرفتک و شکرک، و کنت کمن یخلع علیه الملک و هو یری أن لعنایة الوزیر دخلا فی خلعة الملک أو فی إیصاله إلیه. أو فی تیسیرها؛ و کل ذلک اشتراک فی النعمة، و یتوزع فرحک فی النعمة علیهما. نعم، لو رأیت الخلعة الواصلة إلیک بتوقیع الملک بقلمه، فذلک لا یقصر من شکرک، لأنک تعلم أن القلم مسخر له، لا دخل له فی النعمة بنفسه؛ و لذلک لا یلتفت قلبک إلی الفرح بالقلم و الشکر له؛ و لذلک قد لا یلتفت إلی الخازن و الوکیل إذ یعلم أنهما مضطران إلی العطاء بعد الأمر، مسخران لا مدخل لهما بأنفسهما فی النّعمة.

فكذلك من انفتحت بصيرته علم أن الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمر اللّه تعالى، كالقلم و الكاغد «۱» و الحبر فى التّوقيع؛ و أن قلوب الخلق خزائن اللّه تعالى، و مفاتيحها بيد اللّه عز و جل، فيفتحها بأن يسلط عليها دواعى جازمة حتى يعتقد أن خيرها فى البذل مثلا، و عند ذلك لا يستطيع ترك البذل، فيكون مضطرا إلى الاختيار لما سلط عليه من دواعى الاختيار، فإنه لا يعطيك أحد شيئا إلا لغرض نفسه ليستفيد به فى الآجل ثوابا، و فى العاجل ثناء و ذكرا، أو غير ذلك؛ و ما لم يعلم أن منفعته فى منفعتك، فلا يعطيك؛ فإذا ليس هو منعما عليك إذ يسعى لنفسه، إنما المنعم عليك من سخره و سلّط هذه الدواعى عليه، و قرر فى نفسه أن غرضه منوط بالأداء و الإنعام. فإن عرفت الأمور الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۴ كذلك، كنت موحّدا و تصوّر منك الشكر، بل هذه المعرفة هى عين الشكر. قال موسى- عليه السلام- فى مناجاته: إلهى خلقت آدم بيدك و فعلت و فعلت، فكيف شكرك؟ قال: علم أن ذلك منّى فكان معرفة ذلك شكرا. الركن الثانى: الحال المستثمرة من المعرفة، و هى الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع و الإجلال. و من يرسل إليه بعض الملوك فرسا فيتصور أن يفرح به من ثلاثة أوجه: إحداها من حيث أنه ينتفع بالفرس، أو من حيث يستدل به على عناية الملك بشأنه، و أنه سينعم عليه بما هو أعظم منه، أو من حيث أن الفرس يكون مركبا له حتى يسافر إلى حضرة الملك و يخدمه. و الأول ليس من الشكر فى شيء، فإنه فرح بالنعمة لا بالمنعم. و الثانى، داخل فى الشكر شيئا، لكنه ضعيف بالإضافة إلى الثالث، فكمال الشكر أن يكون الفرح بما يفتح اللّه تعالى من نعمه، لا بالنعمة من حيث هى نعمة، بل بها من حيث إنها وسيلة إليه، إذ بنعمته تتم الصالحات، و علامة هذا أن لا يفرح بكلّ نعمة تلهيه عن ذكر اللّه تعالى، بل يغتمّ بها و يفرح بما زوى «۱» اللّه تعالى عنه من شغل الدنيا و فضولها، و هذا أكمل الشكر. فمن لم يستطع فعليه بالثانى. و أما الأول، ففرح بالنّعمة لا بالمنعم، و ليس ذلك من الشكر فى شيء. الركن الثالث: العمل؛ و ذلك بأن يستعمل نعمه فى محابّه لا فى معاصيه، و هذا لا يقوم به إلا من يعرف حكمة اللّه تعالى فى جميع خلقه، و أنه لماذا خلق كل شيء؛ و شرح ذلك يطول. و قد ذكرنا منه طرفا فى الإحياء «۲»، و جملته أن يعلم مثلا أن عينه نعمة منه، فشكرها أن يستعملها فى مطالعة كتاب اللّه، و كتب العلم، و مطالعة السموات و الأرض، ليعتبر بهما و يعظم خالقها، و أن يستر كلّ عورة يراها من المسلمين، و يستعمل أذنه فى سماع الذكر، و ما ينفعه فى الآخرة، و يعرض عن الإصغاء إلى الهجر و الفضول، و يستعمل اللسان فى ذكر اللّه تعالى و الحمد له، فى إظهار الشكر منه دون الشكوى؛ و من سئل عن حاله فشكى فهو عاص، لأنه شكى ملك الملوك إلى عبد ذليل لا يقدر على شيء، فإن شكر فهو مطيع. و أما شكر القلب، فاستعماله فى الفكر و الذكر و المعرفة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۵ و إضمار الخير للخلق و حسن النية، و كذلك فى اليد و الرجل و سائر الأعضاء و الأموال، و غير ذلك مما لا ينحصر.

فصل

فصل اعلم أنه إنما يتمكن فى كمال الشكر، من شرح اللّه صدره للإسلام، فهو على نور من ربه، يرى فى كل شيء حكمته و سره و محبوب اللّه فيه. و من لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنّة و حدود الشرع، فتحتها أسرار الشكر. و ليعلم أنه لو نظر إلى غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين، و نعمة الشمس، و كل نعمة لا يتم النظر إليها إلا بها، فإن الإبصار إنما يتم بالعين و نور الشمس، و الشمس إنما تتم بالسماوات، فكأنه كفر أنعم اللّه تعالى فى السموات و الأرض. و قس على هذا كل معصية، فإنها إنما تتمكن بأسباب تستدعى وجود جميعها خلق السموات و الأرض. و لهذا غور عميق أشرنا إليه فى كتاب الشكر من كتاب الإحياء؛ و يكفيك هاهنا مثال واحد: و هو أن اللّه تعالى خلق الدراهم و الدنانير لتكون حاكمة فى الأحوال كلها، يقدّر بها القيم، و لولاها لتعذرت المعاملات، إذ لا يدرى كيف يشترى الثياب بالزّعفران، و الدواب بالأطعمة، فإنها لا مناسبة بينهما، و إنما يشتركان فى روح المالية. و معيار مقدار أرواحهما هو النّقدان، فمن كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الأحكام. و من اتخذ منهما آنية، كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين فى الحياكة و الفلاحة التى يقدر عليها كلّ أحد حتى يتعطل الحكم، و ذلك أشد من الحبس. و من أربى فيهما و جعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيّدهما و رديئهما كان كمن شغل الحاكم عن الحكم، فاتخذه سخرة لنفسه

لیحتطب له، و یکنس له، و یکتسب له القوت. و کل ذلک ظلم و تغییر لحکم اللّه عز و جل فی خلقه و عباده و معاداة للّه تعالی فی محابه. و من لا ینکشف له بنور البصیرة هذه الأسرار، عرف علی لسان الشرع صورته دون معناه، و قیل له: الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ إلی قوله تعالی: ... یَکْنِزُونَ [التوبة: ۳۴، ۳۵]. و قیل: «من شرب فی إناء من ذهب أو فضة، فکأنما یجرجر فی بطنه نار جهنم». و قیل: الَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبا لا یَقُومُونَ إِلَّا کَما یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطانُ مِنَ الْمَسِّ [البقرة: ۲۷۵] الآیة. فالصالحون یقفون علی الحدود و لا- یعرفون أسرارها، و العارفون إذا الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۳۶ اطّلعوا علی الأسرار بأنفسهم و شاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نورا علی نور، و العمیان الجاهلون یحرمون الوقوف علی الحدود، و العثور علی الأسرار جمیعا، فلا هم کعبید أتقیاء، و لا کأحرار کرام؛ و هم الذین قال فیهم: وَ لکِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّی ... «۱» الآیة. و قال تعالی: أَ فَمَنْ یَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ کَمَنْ هُوَ أَعْمی ... [الرعد: ۱۹] الآیة. و قال: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی، فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً، إلی قوله: فَنَسِیتَها وَ کَذلِکَ الْیَوْمَ تُنْسی [طه: ۱۲۴- ۱۲۶]. و آیات اللّه حکمته فی خلقه. و قد ألقیت إلی الخلق علی لسان الأنبیاء- صلوات اللّه علیهم- کما فصلت فی جملة الشریعة من أولها إلی آخرها. و ما من حد من حدود الشرع إلا و فیه سر، و خاصیة، و حکمة، یعرفها من یعرفها، و ینکرها من یجهلها. و شرح ذلک طویل، فلیطلب من کتاب الشکر. و لا یتصور تمام الشکر إلا ممن قام للّه تعالی وحده، مخلصا لا رغبة فیه لغیره؛ فلنذکر الإخلاص و الصّدق:

الأصل السادس الإخلاص و الصدق

ارکان الاخلاص

الرکن الأول النیة

اشاره

الرکن الأول النیة: و قد قال اللّه تعالی: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: ۵۲] و معنی النیة إرادة وجهه. و قال صلی اللّه علیه و سلم: «إنما الأعمال بالنیات ...» الحدیث. و قال: «إن الملائکة ترفع صحیفة عمل العبد فیقول اللّه تعالی: ألقوها، فإنه لم یرد بها وجهی، و اکتبوا له کذا و کذا، فیقول الملائکة: إنه لم یعمل منها شیئا، فیقول اللّه عز و جل: إنه نواه إنه نواه». و قال صلی اللّه علیه و سلم: «الناس أربعة: رجل أتاه اللّه علما و مالا، فهو یعمل بعلمه فی ماله، فیقول رجل: لو آتانی اللّه ما آتاه لعملت کما یعمل، فهما فی الأجر سواء، و رجل آتاه اللّه مالا، و لم یؤته علما فهو یخبط بجهله فی ماله، فیقول رجل: لو آتانی اللّه تعالی ما آتاه لعملت کما یعمل فهما فی الوزر الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۳۷ سواء»، و قال علیه السلام: «من غزی و لا ینوی إلا عقالا فله ما نوی». و یقال إن رجلا فی بنی إسرائیل مرّ بکثبان رمل فی أیام قحط، فقال فی نفسه: لو کان لی هذا الرمل طعاما لقسمته بین الناس، فأوحی اللّه تعالی إلی نبیهم: «قل له إن اللّه تعالی قد قبل صدقتک، و شکر حسن نیتک، و أعطاک ثواب ما لو کان طعاما فتصدّقت به». و قال علیه السلام: «إذا التقی المسلمان بسیفیهما، فالقاتل و المقتول فی النار». فقیل: ما بال المقتول؟ فقال: «أراد قتل صاحبه». و قال علیه السلام: «من تزوج امرأة علی صداق و هو لا ینوی أداءه فهو زان، و من أدان دینا و هو لا ینوی قضاءه فهو سارق».

فصل فی حقیقة النیة

[فصل فى حقيقـة النيـة] حقيقة النية هى الإرادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة. و بيانه أن جميع أعمالك لا تصح إلا بقدرة و إرادة و علم؛ و العلم يهيـج الإرادة، و الإرادة باعثـة للقـدرة، و القدرة خادمة الإرادة بتحريك الأعضاء، مثاله: أنه خلق فيك شـهوة الطّعام إلا أنها قـد تكون فيك راكـدة كأنها نائمة. و إذا وقع بصـرك على طعام حصـلت المعرفة بالطعام، فانتهضت الشـهوة للطعام، فامتدت إليه اليد، و إنما امتدت اليد بالقوة التى فيها، المطيعة لإشارة الشـهوة، و انتهضت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحسّ. و كما خلق فيك شـهوة إلى الأشياء الحاضرة، خلق فيك أيضا ميل إلى اللذّات الآجلة ينتهض ذلك الميل بإشارة المعرفة الحاصلة من العقل، و القـدرة أيضا تخدم هذا الميل بتحريك الأعضاء، فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة، و الذى يغزو قد يكون الباعث له ميلا إلى المـال فـذلك نيته، و قـد يكون البـاعث ميلا إلى ثواب الآخرة فـذلك نيته؛ فإذا النيـة عبارة عن الإرادة الباعثـة، و معنى إخلاصـها تصفية الباعث عن الشّوب.

فصل النية و العمل بهما تمام العبادة

[فصل النيـة و العمل بهما تمام العبادة] إذا حصل العمل بباعث النيـة، فالنيـة و العمل بهما تمام العبادة. فالنيـة أحـد جزئى العبادة، لكنها خير الجزءيـن، لأـن الأعمـال بـالجوارح ليست مرادة إلاـ لتأثيرهـا فى القلب، ليميـل إلى الخير، و ينفر عن الشر، فيتفرغ للفكر و الـذكر الموصـلين له إلى الأنس و المعرفة، اللذين هما سبب سعادته فى الآخرة. فليس المقصود من وضع الجبهة على الأرض، وضع الجبهة على الأرض، بل خضوع القلب؛ و لكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح. و ليس المقصود من الزكاة إزالـة الملك، بل إزالـة رذيلة البخل، و هـو قطع الاـربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۳۸ علاقـة القلب من المـال. و ليس المقصود من الضـحية لحومهـا و لاـ دماؤهـا، و لكن استشـعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر اللّه تعالى. و النية عبارة عن نفس ميل القلب إلى الخير، فهو متمكّن من حدقة المقصود، فهو خير من عمـل الجوارح الـذى إنما يراد منه سـراية أثره إلى محل المقصود و هو القلب؛ و لـذلك يورث جميع أعمال القلب دون الجوارح فيه أثرا ما. و عمل الجارحة دون حضور القلب هباء و لا أثر له. و مهما قصد فمعالجة المعدة بما يصل من الأدوية بالشّرب إليها أنفع لا محالـة مما يطلى به ظاهر المعـدة ليسرى إليها أثره. و كذلك إذا لم يسر أثر الطلاء إلى المعدة كان باطلا. و بهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى اللّه عليه و سلم: «نيّة المؤمن خير من عمله».

فصل فى فضل النية

[فصل فى فضل النية] فى فضل النية و أنها تحل حدقة المقصود فيؤثّر فيها، فاجتهد أن تسـتكثر من النية فى جميع أعمالك، حتى تنوى بعمل واحد نيات كثيرة؛ و لو صدقت رغبتك هديت لطريقه. و يكفيك مثال واحد، و هو أن الدخول فى المسـجد و القعود فيه عبادة. و يمكن أن تنوى فيه ثمانيـة أمور: أولهـا: أن تعتقـد أنه بيت اللّه عز و جـل، و أن داخله زائر اللّه تعـالى فتنوى ذلك؛ قال عليه السـلام: «من قعد فى المسجد فقد زار اللّه تعالى». و حقّ على المزور إكرام زائره، و ثانيها: نية المرابطة، لقول اللّه تعالى: وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا [آل عمران ۲۰۰]. و قيـل معنـاه انتظـار الصـلاة بعـد الصـلاة. و ثالثهـا: الاعتكـاف، و معنـاه كفّ السـمع و البصـر و الأعضـاء عن الحركات المعتـادة، فإنه نوع صوم؛ قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «رهبانيـة أمّتى القعود فى المساجـد». و رابعها: الخلوة، و رفع الشواغل للزوم السرّ للفكر فى الآخرة، و كيفيـة الاسـتعداد لها. و خامسـها: التجرّد للـذكر و سـماعه أو إسـماعه، لقوله صـلى اللّه عليه و سلم: «من غدا إلى المسـجد يذكر اللّه تعالى أو يذكر به، كان كالمجاهد فى سبيل اللّه تعالى:». و سادسها: أن يقصد إفادة علم و تنبيه من يسىء الصلاة و نهيا عن منكر و أمرا بمعروف، حتى يتيسر بسـببه خيرات و يكون شـريكا فيها. و سابعها: أن تترك الذنوب حياء من اللّه عز و جل بأن

يحسن نيته فی نفسه، و قوله و عمله، حتی يستحی منه من رآه أن يقارف «۱» ذنبا. و ثامنها: أن تستفيد أخا فی اللّه، فإن ذلک غنيمة و ذخيرة لدار الآخرة. الاربعين فی اصول الدين، ص: ۱۳۹ و المسجد يعشّش أهل الدين المحبين للّه و فی اللّه. و قس علی هذا سائر الأعمال، فباجتماع هذه النيات، تزکو الأعمال، و تلتحق بأعمال المقرّبين، کما أنه بنقيضها يلتحق بأعمال الشياطين، کمن يقصد من القعود فی المسجد التحدّث بالباطل، و التفکه بأعراض الناس، و مجالسة أخدان «۱» اللهو و اللّعب، و ملاحظة من يجتاز به من النّسوان و الصبيان، و مناظرة من ينازعه من الأقران علی سبيل المباهاة و المراءاة، باقتناص قلوب المستمعين لکلامه و ما يجری مجراه. و کذلک لا ينبغی أن يغفل فی المباحات عن حسن النية، ففی الخبر: أن العبد يسأل يوم القيامة عن کلّ شیء حتی عن کحل عينيه، و عن فتات الطين بإصبعيه، و عن لمسه ثوب أخيه. و مثال النية فی المباحات أن من يتطيب يوم الجمعة يمکنه أن يقصد التنعم بلذته و التفاخر بإظهار ثروته، أو التزويق للنساء و أخدان الفساد، و يتصور أن ينوی اتّباع السنّة و تعظيم بيت اللّه تعالی، و احترام يوم الجمعة، و دفع الأذی عن غيره بدفع الرائحة الکريهة، و إيصال الراحة إليهم بالرائحة الطيبة، و حسم باب الغيبة، إذا شموا منه رائحة کريهة. و إلی الفريقين الإشارة بقوله صلی اللّه عليه و سلم: «من تطيب فی اللّه جاء يوم القيامة و ريحه أطيب من ريح المسک، و من تطيب لغير اللّه جاء يوم القيامة و ريحه أنتن من الجيفة».

فصل فی أن النية لا تدخل تحت الاختيار

[فصل فی أن النية لا تدخل تحت الاختيار] اعلم أن النية لا تدخل تحت الاختيار، فلا ينبغی أن تغتر فتقول بلسانک و قلبک: نويت من القعود فی المسجد کذا و کذا؛ و تظن أنک قد نويت، إذ عرفت من قبل أن النية هی الباعث المتحرک الذی لولاه لم يتصور وجود العمل. و النية المتکلّفة کقول القائل: نويت أن أحب فلانا و أعشقه و أعظّمه؛ أو نويت أن أعطش أو أجوع أو أشبع. فإن لکل هذه دواعی و صوارف، و تحقّقها أسبابها، إذ لا يتصور حصولها دون أسبابها. و قول القائل: نويتها قبل تحققها، حديث نفس لا نيّة. فمن وطئ لغلبة شهوة الوقاع من أين ينفعه قوله نويت الوطء لحراثة الولد و تکثير عدد من به المباهاة، بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات من قلبک إلا إذا قوی إيمانک و تمّت معرفتک بحقارة الحظوظ العاجلة، و عظم ثواب الآخرة، حتی إذا غلب ذلک عليک انبعث منک الرغبة ضرورة فی کل ما هو وسيلة الاربعين فی اصول الدين، ص: ۱۴۰ إلی ثواب الآخرة، و إن لم ينبعث فلا نيّة لک. و لمثل هذا توقف السّلف فی جملة من الخيرات، حتی روی أن محمد بن سيرين لم يصلّ علی جنازة الحسن البصری، و قال ليس تحضرنی النيّة. و قيل لطاوس: ادع لنا! فقال: حتی أجد له نيّة. و قال بعضهم: أنا فی طلب نية لعيادة رجل منذ شهر، فما صحّت لی نية بعد. و من عرف حقيقة النية و علم أنها روح العمل، فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له، و يحقق ذلک أن المباح قد يصير أفضل من العبادة إذا حضرت فيه نية. فمن له نية فی الأکل و الشرب ليقوی علی العبادة، و ليس تنبعث له نية الصوم فی الحال، فالأکل أولی له. و من ملّ العبادة و علم أنه لو نام لعاد نشاطه، فالنوم أفضل له. بل لو علم مثلا أن الترفه بدعابة و حديث مزاح فی ساعة يرد نشاطه، فذلک أفضل له من الصلاة مع الملال. قال صلی اللّه عليه و سلم: «إن اللّه لا يملّ حتی تملوا». و قال أبو الدرداء: إنی لأستجمّ نفسی بشیء من اللّهو فيکون ذلک عونا لی علی الحق. و قال علی- رضی اللّه عنه-: «روّحوا النفوس، فإنها إذا أکرهت عييت». و هذه دقائق يستثقلها الظاهريون من الفقهاء، کما يستثقل الطبيب الضعيف من الأطباء معالجة المحرور باللّحم؛ و الحاذق منهم قد يأمر به ليعود قوة المريض حتی يحتمل الدواء النافع بعده.

الرکن الثانی فی إخلاص النية:

اشاره

الركن الثانى فى إخلاص النيـة: و قد قال اللّه تعالى: وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ [البينة: ۵]، و قال اللّه تعالى: أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ [الزمر: ۳]، و قال: إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ [النساء: ۱۴۶]. و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: قال اللّه تعالى: «الإخلاص سرّ من سرّى استودعته قلب من أحببت من عبادى». و قال- عليه السلام- لمعاذ: «أخلص العمل، يجزك القليل منه». و قال- عليه السلام: «ما من عبد يخلص العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

فصل فى حقيقة الإخلاص

[فصل فى حقيقة الإخلاص] حقيقة الإخلاص تجرد الباعث الواحد، و يضادّه الإشـراك، و هو أن يشترك الباعثان، و هو كل ما يتطور أن يمازجه غيره؛ فإن صفا من كل شوب منه يسمّى خالصا. و قد عرفت أن النية هى الباعث، فمن لا يعمل إلا للرياء فهو مخلص، و من لا يعمل إلا الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۴۱ للّه فهو مخلص، و لكن خصـص الاسم بأحـد الجانبين بالعادة، كالإلحاد، فإنه ميل، و لكن خصـص بالميـل إلى الباطـل. و زوال الإخلاـص بشوائب الريـاء قـد ذكرنـاه، و لكن قـد يزول أيضا بأغراض أخر؛ فإن الصائم قد يقصـد من العبادة أن ينتفع بالحميـة الصالحـة الحاصلة بالصوم، و قـد يقصـد المعتق أن يتخلّص بالعتق من مؤونة العبد و سوء خلقه، و الحاجّ يحـجّ ليصـحّ مزاجه بحركة السـفر، أو يهرب من مشـقة تعهد العيال، أو من إيذاء الأعداء، أو من التبرم «۱» بالمقام مع الأهل، و المتعلم يتعلم العلم ليسـهل عليه طلب المعـاش، أو يكـون محروسـا بعز العلم عن الظلم، أو يكتب مصـحفا ليجوّد خطّه، أو يحـج ماشـيا ليخفف مؤونـة الكراء، أو يتوضأ ليتنظف أو يتبرّد، أو يغتسل لتطيب رائحته، أو يعتكف ليخفف عليه كراء المسـكن، أو يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطّبخ و شـراء الطعام، أو يتصدق ليدفع عن نفسه إبرام السائل، أو يعود مريضا ليعاد إذا مرض. فهذه الأغراض قد يتجرد منها و قـد يشوب قصـد العبادة شوبا خفيّا، فإذا خطر شـىء من هـذه الأغراض فى الفعل، فقـد ذهب الإخلاص، و ذلك عسـير جـدا، و لذلك قال بعضـهم: فى إخلاص ساعة، نجاة الأبد، و لكن ذلك عزيز. و قال أبو سـليمان الدارانى: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا اللّه عز و جل. و كان معروف الكرخى يضرب نفسه و يقول: يا نفسى أخلصى تتخلّصى.

فصل

فصل اعلم أن امتزاج هذه الشّوائب على مراتب، فإنها قد تغلب و قد تكون مغمورة، و قد تكون مساوية لقصد العبادة، و لا تمحو أصل الثواب فى المباحات. و مهما بقى شوب من إرادة اللّه عز و جل، فله ثواب بقـدر ذلك الشوب، و الباقى لا ثواب عليه. فأما إذا كان فى العبـادة أمر بأن يخلصـها اللّه تعالى، فإن كان الشوب غالبا بطلت العبادة، و إن كان مساويا أو مغلوبا بطل الإخلاص. و لكن هل يتوقف انعقاد العبادة و حصول أصلها على انتفاء الشوائب كلها؟ فيه نظر أشرنا إليه فى الرياء. و يطلب استقصاؤه من كتاب الإحياء.

الركن الثالث الصدق

الركن الثالث الصـدق: و هو كمال الإخلاص؛ قال اللّه تعالى: رِجالٌ صَدَقُوا ما الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۲ عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... [الأحزاب: ۲۳] الآيـة. و قال النبى عليه السـلام: «إن الرجل ليصـدق و يتحرّى الصـدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا». و قال اللّه تعالى: وَ اذْكُرْ فِى الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا [مريم: ۴۱]. و يكفى بفضـيلة الصدق أن يدرك به فضـيلة الصّدّيقين. و اعلم أن للصدق

مراتب ستّا من بلغ فی جميعها رتبة الكمال استحق اسم الصّدق: أولها: الصدق فی القول فی جميع الأحوال، ما يتعلق بالماضی و المستقبل و الحال. و لهذا الصدق كمالان: أحدهما: الحذر عن المعاريض أيضا، فإنه و إن كان صدقا فی نفسه، فيفهم خلاف الحق. و المحذور من الكذب تفهيم خلاف الحقّ، إذ يكتسب القلب صورة معوجّة كاذبة بإزاء كذب اللسان، و إذا مال وجه القلب من الصحة إلی الاعوجاج لم يتجلّ الحق له علی الصحة حتی لا يصدق رؤياه أيضا. و المعاريض لا توقع فی هذا المحذور لأنه صدق فی نفسه، لكن توقع فی المحذور، الثانی: و هو تجهيل المعنی، فلا ينبغی أن يفعل ذلك إلا لغرض صحيح. و كمال الثانی، أن يرعی الصدق فی أقاويله مع اللّه تعالی، فإذا قال: «وجّهت وجهی»، و فی قلبه فی تلك الحالة شیء سوی اللّه عز و جل، فهو كاذب، و إذا قال: «إياك نعبد»، و هو مع ذلك عبد للدنيا أو لنفسه أو لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة فی القيامة؛ و لذلك قال عيسی- عليه السلام- يا عبيد الدنيا. و قال نبينا صلی اللّه عليه و سلم: «تعس عبد الدرهم و الدينار». الصدق الثانی: فی النية؛ و هو أن يتمحض فيه داعية الخير، فإن كان فيه شوب فقد فات الصدق للّه؛ يقال هذا صادق الحموضة، و صادق الحلاوة، إذا كان محضا، فيرجع هذا إلی نفس الإخلاص. و الصدق الثالث: فی العزم؛ فإن العبد قد يعزم علی التصدّق إن رزق مالا، و علی العدل إن رزق ولاية، و عزمه تارة يكون مع ضعف و تردد، و تارة يكون جزما قويّا لا تردد فيه. فالجزم القویّ يسمی قويّا صادقا، كما وجده عمر من نفسه- رضی اللّه عنه- حيث قال: لأن أقدّم فيضرب عنقی أحبّ إلیّ من أن أتأمّر علی قوم فيهم أبو بكر- رضی اللّه عنه-. و درجات عزم الصديقين فی القوة قد تتفاوت، و أقصاها أن ينتهی إلی الرضاء بضرب الرقبة دون الحقيقة. الاربعين فی اصول الدين، ص: ۱۴۳ و الصدق الرابع: الوفاء بالعزم؛ فإن النفس قد تسخو بالعزم أوّلا، و لكن عند الوفاء ربما تتوانی عن كمال التحقيق؛ لأن المئونة فی العزم هيّن، و إنما الشدة فی التحقيق، و لذلك قال تعالی: رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب: ۲۳]، و قال: وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ... [التوبة: ۷۵] إلی قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلی يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ [التوبة: ۷۷]. الصدق الخامس: فی الأعمال؛ بأن يكون بحيث لا يدل علی شیء من الباطن إلا و الباطن متصف به. و معناه استواء السريرة و العلانية فالماشی علی هدوء يدل بحكمه علی أنه ذو وقار فی باطنه، فإن لم يكن كذلك فی الباطن و التفت قلبه إلی أن يخيّل إلی الناس أنه ذو وقار فی باطنه فذلك الرياء. و إن لم يلتفت إلی الخلق قلبه، و لكنه غافل، فليس ذلك برياء، و لكن يفوت به الصدق؛ و لذلك قال صلی اللّه عليه و سلم: «اللهم اجعل سريرتی خيرا من علانيتی، و اجعل لی علانية صالحة». و قال عبد الواحد: كان الحسن البصری إذا أمر بشیء كان من أعمل الناس به، و إذا نهی عن شیء كان من أترك الناس له، و لم أرقط أحدا أشبه سريرته بعلانيته منه. الصدق السادس:- و هو أعلی أبوابه- الصدق فی مقامات الدين؛ كالخوف و الرجاء و الحب و الرضاء و التوكل و غيرها، فإن لهذه المقامات أوائل ينطلق الاسم بها، و لها حقائق و غايات؛ إذ يقال هذا هو الخوف الصادق، و هی الشهوة الصادقة، و لذلك قال تعالی: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا ... إلی قوله: أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحجرات: ۱۵]، و قال تعالی: وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ... إلی قوله: أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ... [البقرة: ۱۷۷] الآية. فهذه درجات الصدق، فمن تحقق فی جميعها فهو صدّيق، و من لم يصب بعضها فمرتبته بقدر صدقه. و من جملة الصدق تحقيق القلب بأن اللّه هو الرزّاق و التوكل عليه! فلنذكره.

الأصل السابع فی التوكّل

فصل فی حقيقة التوكل

اشاره

[فصل فی حقيقة التوكل] حقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد، و يظهر أثرها علی الأعمال، فهی ثلاثة أركان: المعرفة، و الحال، و العمل.

الركن الأول: المعرفة

فصل التوحيد له لبّان و قشران

[فصل التوحيد له لبّان و قشران] هذا التوحيد له لبّان و قشران، و طباقه أربع، كاللوز، له لبّ ثم الدّهن لبّ لبّه، و القشرة العليا قشر قشره. فالقشرة العليا القول باللسان المجرّد. الثانية: الاعتقاد بالقلب جزما، و هو درجة عوام الخلق، و درجة المتكلمين، إذ لا يتميزون عن العوام إلا بمعرفة الحيلة فى دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات. الثالثة: و هى اللّب، أن ينكشف بنور اللّه عز و جل حقيقة هذا التوحيد و سرّه بالحقيقة. و ذلک بأن يرى الأشياء الكثيرة، و يعلم أنها بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب. و ذلک بأن يعرف سلسلة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۵ الأسباب و كيفية تسلسلها و ارتباط أول السلسلة بسبب الأسباب. و صاحب هذا المقام بعد فى تفرقة لأنه يرى الأفعال و كثرتها و ارتباطها بالفاعل. الرابعة: و هو لبّ اللب، أن لا يرى فى الوجود إلا واحدا و يعلم أن الموجود بالحقيقة واحد، و إنما الكثرة فيه فى حق من تفرق نظره كالذى يرى من الإنسان مثلا رجله، ثم يده، ثم وجهه، ثم رأسه، فيغلب عليه كثرته، فإن رأى الإنسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد، بل كان كمدرک الشيء الواحد. فكذلک الموحّد لا يفرق نظره بين السماء و الأرض و سائر الموجودات، بل يرى الكلّ فى حكم الشيء الواحد. و هذا له غور، و يستدعى كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد و الشكر من كتب الإحياء لتقف على تلويحات منه. و الفناء فى التوحيد إنما يقع فى هذا التوحيد؛ و ذلک بأن يصير مستغرقا بالواحد الحق، حتى لا يلتفت قلبه إلى غيره و لا إلى نفسه، فإن نفسه- من حيث هى نفسه- غير اللّه، و إن لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر، و اعتبار على وجه آخر.

فصل فى حقيقة التوكل

[فصل فى حقيقة التوكل] حقيقة التوكل إنما يستدعى توحيد الفعل و لا يستدعى الفناء فى توحيد الذات، بل المتوكل يجوز أن يرى الكثرة و الأسباب و المسببات، و لكن ينبغى أن يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها. و ما عندى أن ذلک يخفى عليک فيما يدخل فيه اختيار الآدميين، فإنک إن رأيت المطر سببا فى النبات، فتعلم أن المطر مسخّر بواسطة الغيم، و الغيم مسخر بواسطة الريح و أبخرة الجبال، و كذلک الجبال جمادات مسخرة إلى أن ينتهى إلى الأول لا محالة. و إن كنت لا تعرف عدد الوسائط فلا يضرّک ذلک، و إنما الذى يخفى عليک أفعال الآدميين، فإنک تقول: من أطعمنى طعاما فإنه يطعمنى باختياره، إن شاء أعطى، و إن شاء منع، فكيف لا أراه فاعلا- و إنما مثلک فى الالتفات إليه مثل النملة، ترى الخط على البياض يحصل من حركة القلم. فتضيف ذلک إلى القلم، إذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمد إلى الإصبع، و منها إلى اليد، و منها إلى القدرة المحركة لليد، و منها إلى الإرادة التى القدرة مسخّرة لها، و منها إلى المعرفة التى يتوقف انبعاث الإرادة و انجزامها عليها، و منها إلى صاحب القدرة و العلم و الإرادة. فكذلک أنت تضيف أفعال العباد إلى إرادتهم و معرفتهم و قدرتهم، إذ ليس يمتد نظرک إلى القلم الذى تنسطر المعرفة به فى ألواح القلوب، و منه إلى الأصابع التى تنتهى إلى قلوب العباد، و منها إلى اليد التى بها خمرت طينة آدم، و منها إلى القدرة التى بها تتحرک اليد لتخمير الطينة، و منها إلى القادر الذى منه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۶ يبدأ و إليه يعود. و ذلک لأنک لا تعرف معنى قول النبى صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه خلق آدم على صورته»، و لا معنى قوله «۱» تعالى: «خمرت طينة آدم بيدى»، و لا معنى قوله تعالى: عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ، كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى [العلق: ۴، ۵، ۶]. فإنک لا تعلم قلما إلا من قصب، و لا يدا و لا أصابع إلا من لحوم و عظام، و لا صورة إلا للألوان و الأشكال. فإن انكشف لک ذلک علمت أنک إذا رميت ما رميت، و لكن اللّه رمى، حيث سلط عليک

دواعی جازمة، و معرفة حاکمة علی القطع، بأن نجاتک فی الرمی مثلا. حتی انبعثت القدرة التی انفرد بخلقها خادمة للإرادة، و المعرفة خادمة بالتّسخیر و الاضطرار، علمت أنک مضطر إلی عین الاختیار، فتفعل إن شئت ذلک، و تشاء إذا شاء اللّه، شئت أم أبیت. و هذا الآن فیه سرّ یحرّک قاعدة الجبر و الاختیار، و یوهم تناقض التوحید و تکلیف الشرع، و قد شرحناه فی کتاب التوحید و التوکل و الشکر من کتب الإحیاء. فاطلبه منه إن کنت من أهله.

فصل لا یکفی الإیمان بتوحید الفعل و الذات

[فصل لا- یکفی الإیمان بتوحید الفعل و الذات] لا یکفی الإیمان بتوحید الفعل و الذات فی إثارة حالة التوکل حتی ینضاف إلیه الإیمان بالرحمة و الجود و الحکمة، إذ به تحصل الثقة بالوکیل الحق، و هو أن یعتقد جزما أو ینکشف لک بالبصیرة أن اللّه تعالی لو خلق الخلائق کلهم علی عقل أعقلهم بل علی أکمل ما یتصور أن یکون علیه حال العقل، ثم زادهم أضعاف ذلک علما و حکمة، ثم کشف لهم عواقب الأمور و أطلعهم علی أسرار الملکوت و لطائف الحکمة، و دقائق الخیر و الشر، ثم أمرهم أن یدبّروا الملک و الملکوت، لما دبّروه بأحسن مما هو علیه، و لم یمکنهم أن یزیدوا علیه أو ینقصوا منه جناح بعوضة، و لم یستصوبوا البتة دفع مرض و عیب و نقص و فقر و ضر و جهل و کفر، و لا أن یغیروا قسمة اللّه تعالی من رزق و أجل و قدرة و عجز و طاعة و معصیة، بل شاهدوا جمیع ذلک عدلا محضا لا جور فیه، و حقّا صرفا لا نقص فیه، و استقامة تامة لا قصور فیها و لا تفاوت، بل کل ما یرون نقصا فیرتبط به کمال آخر أعظم منه، و ما ظنّوه ضررا فتحته نفع أعظم منه، لا- یتوصل إلی ذلک النفع إلا- به. و علموا قطعا أن اللّه تعالی حکیم جواد رحیم، لم یبخل علی الخلق أصلا، و لم الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۴۷ یدّخر فی إصلاحهم أمرا، و هذا الآن بحر آخر فی المعرفة، یحرّک أمواجه سرّ القدر الذی منع من ذکره المکاشفون، و تحیر فیه الأکثرون، و لا یعقله إلا العالمون، و لا یدرک تأویله إلا الرّاسخون. و أن حظ العوام، أن یعتقدوا أن کل ما یصیبهم لم یکن لیخطئهم، و ما یخطئهم لم یکن لیصیبهم. و أن ذلک واجب الحصول بحکم المشیئة الأزلیة، و أنه لا رادّ لحکمه، و لا معقّب لقضائه، بل کل صغیر و کبیر مستطر «۱»، و حصوله بقدر معلوم منتظر، وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر: ۵۰].

الرکن الثانی: حال التوکل

اشاره

الرکن الثانی: حال التوکل ؛ و معناه أن تکل أمرک إلی اللّه عز و جل، و یثق به قلبک، و تطمئن بالتفویض إلیه نفسک، و لا تلتفت إلی غیر اللّه أصلا؛ و یکون مثالک مثال من وکّل فی خصومته فی مجلس القاضی من علم أنه أشفق الناس علیه، و أقواهم فی کشف الباطل، و أعرفهم به، و أحرصهم علیه، فإنه یکون ساکنا فی بیته، مطمئن القلب غیر متفکر فی کل الخصومة، غیر مستعین بآحاد الناس، لعلمه بأن وکیله حسبه و کافیه فی غرضه، و أنه لا یقاومه غیره. فمن تحققت معرفته بأن الرزق و الأجل و الخلق و الأمر بید اللّه تعالی، و هو منفرد به لا شریک له، و أن جوده و حکمته و رحمته لا نهایة لها و لا یوازیها رحمة غیره و جوده، و اتّکل قلبه بالضرورة علیه، و انقطع نظره عن غیره؛ فإن لم ینقطع فلا یکون ذلک إلا لأحد أمرین: أحدهما: ضعف الیقین بما ذکرناه؛ و ضعف الیقین إنما یکون لتطرق شک إلیه أو لعدم استیلائه علی القلب. فإن الموت یقین لا- شک فیه، و لکنه إذ لا یستولی علی القلب فهو کشکّ لا یقین فیه. الأمر الثانی: أن یکون القلب فی الفطرة جبانا ضعیفا، فالجبن و الجرأة فطرتان، و الجبن یوجب کون النفس مطیعة لأوهام لا

شکّ فی بطلانها، حتی قد یخاف الإنسان أن یبیت مع المیت فی فراش، أو فی بیت، مع علمه بأن اللّه لا یحییه، و أن قدرته علیه کقدرته علی أن یقلب فی یده العصا حیّهٔ، و هو لا یخاف ذلک. بل قد یشبه العسل الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۴۸ بالعذرهٔ فیتعذر علیه تناوله مع علمه بأنه تشبیه کاذب، و ذلک لخور النفس و طاعهٔ الأوهام. فکما لا یخلو الإنسان عن شیء منه و إن ضعف، فکذلک لا یبعد أن یحصل الیقین بالتوحید بحیث لا یخالجه ریب، و مع ذلک فیفرغ القلب إلی الأسباب.

فصل فی درجات التوکل

[فصل فی درجات التوکل] إذا عرفت أن التوکل عبارهٔ عن حالهٔ القلب فی الثقهٔ بالوکیل الحق، و قطع الالتفات إلی غیره، فاعلم أن فیه ثلاث درجات: إحداها ما ذکرناه، و هو کالثقهٔ بالوکیل فی الخصومهٔ، بعد اعتقاد کماله فی الهدایهٔ و القدرهٔ و الشفقهٔ. الثانیهٔ، و هی أقوی منها، تضاهی حالهٔ الصبیّ فی ثقته بأمه، و فزعه إلیها فی کلّ ما یصیبه، و ذلک لثقته بشفقتها و کفالتها؛ و لکنه فی توکله فان عن توکله «۱» فإنه لیس یحصله بفکر و کسب، و إن کان لا یخلو توکله عن نوع إدراک؛ و أما التوکل علی الوکیل بالخصومهٔ، فکالمکتسب بالفکر و النظر. و الثالثهٔ: و هی الأعلی، أن یکون بین یدی اللّه تعالی کالمیت بین یدی الغاسل، لا کالصبی، فإنه یزعق بأمه و یتعلق بذیلها، بل هذا کالصبی علم أنه و إن لم یزعق بأمه فإنها تطلبه، و إن لم یتعلق بذیلها فهی تحمله، و إن لم یسألها فهی تبتدیء بإرضاعه، فیکون هذا الشخص فی حق اللّه عزّ و جلّ ساقط الاختیار، لعلمه بأنه مجری القدر فلا یبقی فیه متسع لغیر الانتظار لما یجری علیه. و هذا المقام یأبی الدعاء و السؤال، و لا یمتنع الدعاء فی المقام الثانی و الأول، و یمتنع التدبیر فی المقام الأخیر، و یمتنع فی الثانی أیضا، إلا فی التعلق بالوکیل فقط. و فی الأول یمتنع التدبیر بالتعلق بغیره، و لا یمتنع بالطریق الذی رسمه الوکیل و سنّه له و أمره به.

الرکن الثالث فی الأعمال

فصل ترک الادخار محمود لمن غلب یقینه

[فصل ترک الادخار محمود لمن غلب یقینه] اعلم أن ترک الادخار محمود لمن غلب یقینه، و قوی قلبه. و أما الضعیف الذی یضطرب قلبه لو لم یدخر لم یتفرغ للعبادهٔ، فالأفضل له أن یدع طریق المتوکلین. و لا یحمّل نفسه ما لا یطیقه، إذ فساد ذلک فی حقه أکثر من صلاحه، بل یعالج کل واحد علی حسب حاله و قوته. و قد تنتهی القوهٔ إلی أن یجوز السفر فی البوادی من غیر زاد، و ذلک لمن یصبر عن الطعام أسبوعا، و یقنع بالحشیش؛ فإن ذلک لا یعوزه غالبا فی البادیهٔ. فأما الضعیف إذا فعل ذلک فهو عاص ملق نفسه فی التهلکهٔ. و القویّ إن حبس نفسه فی کهف جبل لیس فیه حشیش و لا یجتاز به إنسان، فذلک أیضا حرام؛ لأنه خالف سنّهٔ اللّه تعالی فی خلقه؛ و إنما جاز له ذلک فی البوادی، لأن سنّهٔ اللّه جاریهٔ بأنها لا تخلو عن الحشیش، و قد یجتاز بها الآدمیون، فإذا قوی کان هلاکه نادرا، فلم یکن بذلک عاصیا، فله أن یسافر فی البادیهٔ متّکلا علی لطیف صنع اللّه تعالی، و غیر قاصر التفاته علی الأسباب الجلیّهٔ الواضحهٔ.

الأصل الثامن فی المحب

اشاره

الأصل الثامن فی المحبة: قال اللّه تعالی: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [المائدة: ۵۴]، و قال: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكَمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... [التوبة: ۲۴] الآیة. و قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «لا یؤمن أحدکم حتی یکون اللّه و رسوله أحب إلیه مما سواهما». و قال علیه السلام: «أحبوا اللّه لما یغذوکم به من نعمة، و أحبونی لحب اللّه عز و جل». و قال أبو بکر الصدیق- رضی اللّه عنه- «من ذاق خالص محبة اللّه عز و جل منعه ذلک من طلب الدنیا، و أوحشه من جمیع البشر». و قال الحسن البصریّ- رحمة اللّه علیه- من عرف الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۱ اللّه تعالی أحبّه، و من عرف الدنیا زهد فیها. و المؤمن لا یلهو حتی یغفل، و إذا تفکر حزن.

فصل فی أن أکثر المتکلمین أنکروا محبّة اللّه تعالی

[فصل فی أن أکثر المتکلمین أنکروا محبّة اللّه تعالی] اعلم أن أکثر المتکلمین أنکروا محبّة اللّه تعالی و أوّلوها، و قالوا: لا معنی لها إلا لامتثال أوامره، و إلا فما لا یشبهه شیء و لا یشبه شیئا، و لا یناسب طباعنا، فکیف نحبه؟ و إنما یتصور منّا أن نحب من هو من جنسنا، و هؤلاء محرومون بجهلهم بحقائق الأمور. و قد کشف الغطاء عن هذا فی کتاب المحبة من کتب الإحیاء فطالعها لتصادف منها أسرارا تخلو الکتب عنها. فاقنع فی هذا المختصر بتلویحات و إشارات.

فصل فی أن کلّ لذیذ محبوب

[فصل فی أن کلّ لذیذ محبوب] اعلم أن کلّ لذیذ محبوب، و معنی کونه محبوبا میل النفس إلیه، فإن قوی المیل سمّی عشقا، و معنی کونه مبغوضا نفرة النفس عنه لکونه مؤلما. فإن قوی البغض و النّفرة سمی مقتا. و اعلم أن الأشیاء التی تدرکها بحواسک و جمیع مشاعرک، إما أن تکون موافقة لک ملائمة، و هو اللذیذ، أو تکون منافیة مخالفة، و هو المؤلم. أو لا موافقة و لا مخالفة، و هو الذی لا ألم فیها و لا لذة. و کل لذیذ محبوب، أی للنفس الملتذة به میل لا محالة إلیه. و اعلم أن اللذة تتبع الإدراک، و الإدراک إدراکان: ظاهر و باطن. أمّا الظاهر فبالحواس الخمس، فلا جرم لذة العین فی الصور الجمیلة، و لذة الأذن فی النغمات الموزونة الطیبة، و لذة الذوق و الشم فی الطعوم و الروائح الملائمة الموافقة، و لذة جملة البدن فی ملابسة الناعم اللین، و جملة ذلک محبوبة للنفس، أی للنفس میل إلیها. و أما الإدراک الباطن، فهو اللطیفة التی محلها القلب، تارة یعبر عنها بالعقل، و تارة بالنور، و تارة بالحس السادس. و لا تنظر إلی العبارات فتغلط، بل قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «حبب إلیّ من دنیاکم ثلاث: الطیب و النساء و قرة عینی فی الصلاة». فتعلم أن الطیب و النساء فیهما حظ الشم و اللمس و البصر، و الصلاة لا حظ فیها للحواس الخمس، بل للإدراک السادس الذی محله القلب، و لا یدرکها من لا قلب له، و أن اللّه یحول بین المرء و قلبه. و من اقتصر من لذته علی الحواس الخمس فهو بهیمة، لأن البهیمة تشارکه فیها؛ و إنما الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۲ خاصیة الإنسان التمییز بالبصیرة الباطنة. و لذة البصر الظاهر، فی الصور الجمیلة الظاهرة، و لذة البصیرة الباطنة، فی الصور الجمیلة الباطنة.

فصل ما معنی الصور الجمیلة الباطنة؟

[فصل ما معنی الصور الجمیلة الباطنة؟] لعلک تقول: ما معنی الصور الجمیلة الباطنة؟ فأقول ما عندی أنک لا تحس من نفسک حب الأنبیاء و العلماء و الصحابة، و لا تدرک من نفسک تفرقة بین الملک العادل العالم الشجاع الکریم العطوف علی الخلق، و بین الظالم الجاهل البخیل الفظّ الغلیظ. و ما عندی أنک إذا حکی لک صدق أبی بکر، و سیاسة عمر، و سخاوة عثمان، و شجاعة علی- رضوان اللّه علیهم- لا تجد فی نفسک هزة و ارتیاحا و میلا إلی هؤلاء، و إلی کل موصوف بخلال الکمال من نبیّ و صدّیق و عالم. و کیف تنکر هذا، و فی الناس من یقتدی بنفسه أرباب المذاهب، و یحمله حبه لهم علی البذل بالمال و النفس فی الذب عنهم، و تجاوز ذلک

حدّ العشق، و أنت تعلم أن حبک لهؤلاء لیس لصورهم الظاهرة، فإنک لم تشاهدها، و لو شاهدتها ربما لم تستحسنها، و إن استحسنت، فلو تشوهت صورهم الظاهرة، و بقیت صفاتهم المعنویة الباطنة، لبقی حبهم. و إذا فتشت عن محبوبک منهم، رجع- بعد التفصیل الطویل الذی لا یحتمله هذا الکتاب- إلی ثلاث صفات: العلم و القدرة و النزاهة عن العیوب. أما العلم، فکعلمهم باللّه و ملائکته و کتبه و رسله و عجائب ملکوته و دقائق شریعة أنبیائه. و أما القدرة، فکقدرتهم علی أنفسهم بکسر شهوتها، و حملها علی الصراط المستقیم. و قدرتهم علی العبادة بسیاستهم، و إرشادهم إلی الحق. و أما النزاهة، فکسلامة باطنهم من عیب الجهل و البخل و الحسد و خبائث الأخلاق؛ و اجتماع کمال العلم و القدرة مع حسن الأخلاق، و هو حسن الباطن، و هی الصورة الباطنة التی لا تدرکها البهیمة، و من فی مثل حالها بالبصر الظاهر. ثم إذا أحببت هؤلاء بهذه الصفات، و علمت أن النبی صلی اللّه علیه و سلم کان أجمع منهم لهذه الخصال، کان حبک له أشد بالضرورة، فارتفع نظرک الآن من النبی إلی مرسل النبی و خالقه و المتفضل علی الخلق ببعثه، لتعلم أن بعثه الأنبیاء حسنة من حسناته. ثم انسب قدرة الأنبیاء و علمهم و طهارتهم إلی علم اللّه سبحانه و قدرته و قدسه، لتعلم أنه لا قدّوس سوی الواحد الحق، و أن غیره لا یخلو من عیب و نقص؛ بل العبودیة أعظم أنواع الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۳ النقص، فأیّ کمال لمن لا قوام له بنفسه، و لا یملک لنفسه موتا و لا حیاة و لا رزقا و لا أجلا! و أیّ علم لمن یشکل علیه صفات باطنه فی مرضه و صحته، بل لا یعلم جمیع جوارحه الباطنة، و تفصیلها و حکمها بالتحقیق، فضلا عن ملکوت السموات و الأرض! و انسب هذا إلی العلم الأزلیّ المحیط بجمیع الموجودات، و معلومات لا نهایة لها إلی الذی لا یعزب عنه مثقال ذرّة فی السموات و لا فی الأرض، و إلی قدرة خالق السموات و الأرض الذی لا یخرج موجود عن قبضة قدرته فی وجوده و بقائه و عدمه؛ و انسب نزاهته من العیوب إلی قدسه، لتعلم أنه لا قدس و لا قدرة و لا علم إلا للواحد الحق، و إنما لغیره القدرة التی أعطاه، وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ [البقرة: ۲۵۵] وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا [الإسراء: ۸۵] فانظر الآن هل یمکنک أن تنکر أن هذه الصفات و المحامد محبوبة، أو تنکر أن الموصوف بکمال الجلال هو اللّه تعالی؟ و انظر کیف تنکر حبه بعد ذلک!

فصل المیل إلی المنعم المحسن

[فصل المیل إلی المنعم المحسن] إن قصّرت بصیرتک عن إدراک الجلال و الکمال و المیل إلی مطالعته و الفرح به و العشق له، فلا تقصر عن المیل إلی المنعم المحسن إلیک، و لا تکوننّ أقلّ من الکلب، فإنه یحب صاحبه الذی یحسن إلیه. و تأمل هذا فی العالم، هل لأحد إحسان إلیک سوی اللّه تعالی؟ و هل لک حظ و لذة و تنعّم فی شیء و حرص علی نعمة إلا و اللّه سبحانه خالقها و مبدیها و مبقیها و خالق الشهوة إلیها و التلذذ بها؟ و تفکر فی أعضائک و لطف صنع اللّه تعالی بک فیها، لتحبه بإحسانه إلیک، فتکون من عوام الخلق إن لم تقدر أن تحبه لجماله و جلاله و کماله، کما تحبه الملائکة لذلک، و امتثال قوله علیه السلام: «أحبوا اللّه لما یغذوکم به من نعمه و أحبونی لحبّ اللّه». و عند هذا تکون کالعبد السوء، یحب و یعمل للأجرة و النفقة، فلا جرم یزید حبّک و ینقص بزیادة الإحسان و نقصانه؛ و ذلک ضعیف جدا؛ بل الکامل من یحب اللّه لجلاله و جماله و محامد صفاته التی لا یتصور أن یشارک فیها. و لذلک أوحی اللّه تعالی إلی داود علیه السلام: «إن أودّ الأودّاء إلیّ من عبدنی بغیر نوال، لکن لیعطی الربوبیة حقها». و فی الزبور: «من أظلم ممن عبدنی لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة و لا نارا، أ لم أکن أهلا أن أطاع؟» و مرّ عیسی- علیه السلام- بطائفة من العبّاد و قد تخلّوا للعبادة، و قالوا نخاف النار و نرجو الجنة، فقال: الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۴ مخلوقا خفتم و مخلوقا رجوتم. و مر بقوم آخرین کذلک، فقالوا: نعبده حبّا و تعظیما لجلاله، فقال: أنتم أولیاء اللّه حقّا، و معکم أمرت أن أقیم.

فصل العارف لا یحب إلا اللّه تعالی

[فصل العارف لا یحب إلا اللّه تعالی] العارف لا یحب إلا اللّه تعالی، فإن أحبّ غیره فیحبه للّه عز و جل، إذ قد یحبّ المحبّ عبد

المحبوب و أقاربه و بلده و ثيابه و ضيعته و تصنيفه، و كل ما هو منه و إليه نسبته. و كل ما فى الوجود صنع اللّه عز و جل و تصنيفه، و كل الخلق عباد اللّه تعالى؛ فإن أحبّ الرسول أحبّه لأنه رسول محبوبه و حبيبه. و إن أحب الصحابة فلأنهم محبوبو رسوله، و لأنهم محبوه و عبيده و المواظبون على طاعته. و إن أحب طعاما فلأنه يقوّى مركبه الذى به يصل إلى محبوبه، أعنى البدن. و إن أحب الدنيا، فلأنها زاده إلى محبوبه. و إن أحب النظر إلى الأزهار و الأنهار و الأنوار و الصور الجميلة، فلأنها صنعة محبوبه، و هى دلالات على جماله و جلاله، و مذكّرات لصفات المحامد التى هى المحبوبة فى ذاتها. و إن أحبّ المحسن إليه و المعلم إياه علوم الدين، فيحبه لأنه واسطة بينه و بين محبوبه فى إيصال علمه و حكمه إليه. و يعلم أنه الذى قيّضه لتعليمه و إرشاده، و الإنفاق عليه من ماله، و أنه لولا تسليط الدواعى إليه و اضطراره بسلسلة البواعث و الأغراض إلى إرشاده و الإنفاق عليه لما فعله. و أعظم الخلق إحسانا علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و للّه المنّة و الفضل بخلقه و بعثه، كما قال: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعة: ۲]. و لذلك قال اللّه تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ، وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ [القصص: ۵۶]. و تأمل سورة الفتح و قوله تعالى: وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً [النصر: ۲، ۳]. فقد أنزله منزلة النظارة و قال: إذا رأيت عباد اللّه يدخلون فى دين اللّه فقل بحمد اللّه لا بحمدى، و هو معنى التسبيح بحمد ربه. فإن التفت قلبك إلى نفسك و سعيك فاستغفره ليتوب عليك. و اعلم أنه ليس لك من الأمر شىء. و من هاهنا نظر عمر- رضى اللّه عنه- حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكة: «من خالد سيف اللّه المسلول على المشركين إلى أبى بكر أمير المؤمنين». فقال: إن نصر اللّه المسلمين نظر خالد إلى نفسه و يسميها سيفا مسلولا على المشركين. و لو لا حظ الحق كما هو لعلم أن ليس ذلك بسيفه و لكن للّه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۵ تعالى سر فى إرادته بنصرة الإسلام، فينصره بخطرة واحدة و هو خاطر رعب يلقيه فى قلب كافر فينهزم، و ينظر إليه غيره فينهزم و تعم الهزيمة، فينظر خالد و من هو فى مثل حاله أنه علا كلمة الإسلام بصرامته وحدة سيفه، و يطلع عمر- رضى اللّه عنه- و من هو فى مثل حاله من الصّديقين و الأولياء على حقيقة الحال، و يعلم حاجة خالد إلى الاستغفار، و أن يسبح بحمد ربه إذا رأى ذلك كما أمر به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فإذا لا موجب للمحبة إلا أمران: أحدهما الإحسان و الآخر غاية الجلال و الجمال بكمال الجود و الحكمة و العلو و القدرة و التقديس من العيب و النقص. و لا إحسان إلا منه، و لا جلال و لا جمال و لا قدس إلا له. فكل ما فى العالم من حسن و إحسان فهو حسنة من حسنات جوده، يسوقها إلى عباده بخطرة واحدة يخلقها فى قلب المحسن. فكل ما فى العالم من صور مليحة، و هيئة جميلة يدركـ بعين أو سمع أو شم، فأثر من آثار قدرته، و هى بعض معانى جماله. فليت شعرى! لمن عرف بالمشاهدة المحققة و البرهان القاطع جميع هذا، كيف يتصور أن يلتفت إلى غير اللّه تعالى، أو يحب غير اللّه عز و جل؟

فصل اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية

[فصل اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية] اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية، أعظم من كل لذة يتصور أن يكون فى الدنيا سواها؛ و ذلك لأن اللذة على قدر الشهوة، و قوة الشهوة على قدر الملاءمة و الموافقة مع المشتهى. و كما أن أوفق الأشياء للأبدان الأغذية، فأوفق الأشياء للقلوب المعرفة، فالمعرفة غذاء القلب، و أعنى بالقلب الروح الربانى الذى قال اللّه تعالى فيه: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]، و قال تعالى: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲] فأضافه إلى نفسه. و هذا الروح لا يكون للبهائم و لمن هو فى مثل حالها من الإنس، بل يختص به الأنبياء و الأولياء؛ و لذلك قال تعالى: وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا [الشورى: ۵۲] فالمعرفة أوفق الأشياء لهذه الروح، لأن الأوفق لكل شىء خاصيته؛ فالصوت الطيب لا يوافق البصر، لأنه ليس من خاصيته. و خاصية روح الإنسانى معرفة الحقائق، و كلما كان المعلوم أشرف، كان العلم به ألذ؛ و لا أشرف من اللّه و ملكوته و لا

أجلّ منه، فمعرفته و معرفة صفاته و ذاته و عجائب ملکه الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۶ و ملکوته ألذّ الأشیاء عند القلب؛ لأن شهوة ذلک أشدّ الشهوات؛ و لذلک یخلق آخرا بعد سائر الشهوات. و کل شهوة تأخرت فهی أقوی مما قبلها؛ فأول ما یخلق شهوة الطعام، ثم یخلق له شهوة الوقاع، فیترک شهوة الطعام لأجله و یستحقر فیه. ثم یخلق له شهوة الرئاسة و الجاه و الغلبة، و یستحقر فیها شهوة المنکح و المطعم. ثم یخلق له شهوة المعرفة التی هی استیلاء علی کلّ الموجودات، فیستحقر فیها الجاه و الرئاسة؛ و هی آخر شهوات الدنیا و أقواها. و کما أن الصبی ینکر شهوة الوقاع، و یتعجب ممن یتحمل مؤونة النکاح لأجلها، فإذا بلغ شهوة الوقاع أکبّ علیها و أنکر الجاه و الرئاسة و لم یبال بفواتها فی قضاء شهوة الفرج؛ فکذلک المشعوف «۱» بشهوة الجاه و الرئاسة، ینکر لذة المعرفة، إذ لم یخلق فیه بعد شهوتها؛ و قد تنتهی شهوة شرهه للجاه إلی مرض قلبه، حتی لا یقبل شهوة معرفة اللّه عز و جل أصلا، کما یفسد مزاج المریض شهوته للغذاء حتی یموت. و قد ینعکس طبعه، فیشتهی الطین و الأشیاء المضرة المهلکة، و هی مقدّمات الموت. فکذلک مرض القلب، قد ینتهی إلی حد ینکر المعرفة و یبغضها، و یبغض أهلها و المقبلین علیها، و لا یدرک إلّا لذة الرئاسة أو المطعم و المنکح. و ذلک هو المیت الذی لا یقبل العلاج، و فی مثله قیل: إِنَّا جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً، وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَی الْهُدی فَلَنْ یَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً [الکهف: ۵۷] و فیهم قیل: أَمْواتٌ غَیْرُ أَحْیاءٍ وَ ما یَشْعُرُونَ أَیَّانَ یُبْعَثُونَ [النحل: ۲۱].

فصل لذة النظر إلی وجه اللّه الکریم

[فصل لذة النظر إلی وجه اللّه الکریم] هذه المعرفة و إن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلی لذة النظر إلی وجه اللّه الکریم فی الدار الآخرة. و ذلک لا یتصور فی الدنیا لسرّ لا یمکن الآن کشفه، و لا ینبغی أن تفهم من النظر ما یفهمه العوام و المتکلمون، فیحتاج فی تقدیره إلی جهة و مقابلة. فذلک من نظر من أقعده القصور فی بحبوحة عالم الشهادة، حتی لم یجاوز المحسوسات التی هی مدرکات البهائم. لکن ینبغی أن تفهم أن الحضرة الربوبیة، تنطبع صورتها و ترتیبها الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۷ العجیب علی ما هو علیه من البهاء و العظمة و الجلال و المجد، فی قلب العارف، کما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس فی حواسک، فکأنک تنظر إلیه و إن غمضت عینیک. فإن فتحت العین و وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخیلة قبل فتح العین لا تخالفها فی شیء إلّا أن الإبصار فی غایة الوضوح بالنسبة إلی التخیل. و کذلک ینبغی أن تعلم أن فی إدراک ما لا یدخل فی الخیال و الحس أیضا فی درجتین متفاوتتین فی الوضوح غایة التفاوت، و نسبة الثانیة إلی الأولی کنسبة الإبصار إلی التخیل، فتکون الثانیة غایة الکشف، فیسمی لذلک مشاهدة و رؤیة. و الرؤیة لم تسمّ رؤیة لأنها فی العین، إذ لو خلقت فی الجبهة لکانت رؤیة؛ بل لأنها غایة الکشف. و کما أن تغمیض الأجفان حجاب من غایة الکشف فی المبصر، فکدورة الشهوات و شواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غایة المشاهدة؛ و لذلک قال اللّه تعالی: لَنْ تَرانِی [الأعراف: ۱۴۳]. و قال تعالی: لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ۱۰۳]. فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعینها مشاهدة، و یکون مشاهدة کل واحد علی قدر معرفته؛ و لذلک تزید لذة أولیاء اللّه سبحانه فی النظر علی لذة غیرهم، و یتجلّی اللّه تعالی لأبی بکر- رضی اللّه عنه- خاصة، و یتجلی للناس عامة. و کذلک لا یراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بدء النظر، بل هی التی تنقلب مشاهدة، کما ینقلب التخیل إبصارا. فلذلک لا یقتضی مقابلة وجهه. و سرّ هذا طویل، فاطلبه من کتاب المحبة فی الإحیاء.

فصل

فصل لو کان معشوقک و أنت تراه من وراء ستر رقیق فی وقت الإسفار و فی حالة ضعف الضوء، و فی حالة اجتمع علیک تحت ثوبک عقارب و زنابیر تلدغک و تشغلک، فلا یخفی أن لذتک من مشاهدة معشوقک تضعف. فلو أشرقت الشمس دفعة واحدة فارتفع الستر الرّقیق، و انصرفت عنک العقارب و الزنابیر، و هجم علیک العشق المفرط البلیغ، فلا نسبة لهذه اللذة العظیمة التی تحصل الآن إلی ما کان قبل ذلک. و کذلک فافهم أنه لا یشبه لذة النظر إلا لذة المعرفة بل هی أعظم منها کثیرا. و الستر الرّقیق قالبک. و

العقارب شواغل الدنیا و غمومها و شهواتها، و هجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعّفات و المنغّصات عنها، و إشراق الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلّی، فإنها فی هذه الحیاة لا یحتمل بصر الخفّاش نور الشمس. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۸

فصل إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالی لزحمة سائر الشهوات

[فصل إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالی لزحمة سائر الشهوات] إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالی لزحمة سائر الشهوات، و إنما خفیت معرفة اللّه تعالی مع جلائها لشدة ظهورها؛ و مثاله: أنک تعلم أن أظهر الأشیاء المحسوسات، و منها المبصرات، و منها النور الذی به یظهر لک الأشیاء. ثم لو کانت الشمس دائمة لا تغیب و لا یقع لها ظل، لکنت لا تعرف وجود النور، و کنت تنظر إلی الألوان فلا تری إلا الحمرة و السواد و البیاض. فأما النور فلا تدرکه إلا بأن تغیب الشمس، أو یقع لها حجاب بما له ظل، فتدرک- باختلاف الأحوال بین الظلمة و الضیاء- أن النور شیء آخر، یعرض للألوان فتصیر مبصرة؛ و لو تصوّر للّه سبحانه غیبة أو لأنوار قدرته حجاب عن بعض الأشیاء لأدرکت من التفاوت ما یضطر معه إلی المعرفة. و لکن الموجودات کلها، لما تساوت فی الشهادة لخالقها بالوحدانیة من غیر تفاوت، خفی الأمر لشدّة جلائه. و لو تصور انقطاع أنوار قدرته عن السموات و الأرض، لانهدمت و انمحقت و أدرک فی الحال من التفاوت ما یضطر إلی المعرفة بالقدرة و القادر. و هذا مثال ما ذکرناه، و تحته أسرار، و فیه مواقع غلط؛ فاجتهد، لعلک تقف علی أسراره، و لا- ترتبک فی مواقع غلطه، فمنه غلط من قال: إنه فی کل مکان. و کل من نسبه إلی مکان أو جهة فقد ذلّ فضلّ، و رجع غایة نظره إلی التصرف فی محسوسات البهائم، و لم یجاوز الأجسام و علائقها. و أول درجات الإیمان مجاوزتها، فیه یصیر الإنسان إنسانا فضلا عن أن یصیر مؤمنا.

فصل فی أن للمحبة علامات کثیرة

[فصل فی أن للمحبة علامات کثیرة] اعلم أن للمحبة علامات کثیرة، یطول إحصاؤها. و من علاماتها تقدیم أوامر اللّه تعالی علی هوی النفس، و التوقّی بالورع، و رعایة حدود الشرع. و من علاماتها الشوق إلی لقاء اللّه، و الخلو عن کراهیة الموت إلا من حیث یتشوق إلی زیادة المعرفة، فإن لذة المشاهدة بقدر کمال المعرفة، فإنها بدء المشاهدة، فتختلف لا محالة باختلافها. و من علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر اللّه عز و جل؛ فلنذکر معنی الرضاء حتی لا یغتر الإنسان بما یصادف فی نفسه من خطرات تخطر، فیظن أنها حقیقة الحب للّه تعالی، فإن ذلک عزیز جدّا. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۵۹

الأصل التاسع، الرضاء بالقضاء

فصل قد أنکر الرضا جماعة

[فصل قد أنکر الرضا جماعة] قد أنکر الرضا جماعة و قالوا: لا یتصور الرضاء بما یخالف الهوی، و إنما یتصور الصبر فقط. و إنما أوتوا من إنکار المحبة و نحن نحققها، و علامتها الرضاء بالبلاء و بما یخالف الطبع و الهوی، و ذلک یتصور من ثلاثة أوجه: أحدها: أن یدهشه مشاهدة الحب و إفراطها عن الإحساس بالألم، ذلک مشاهد فی حب المخلوقین و فی غلبة الشهوة و الغضب، حتی أن الغضبان تصیبه الجراحة فلا یحس بها فی الوقت، و حتی أن الحریص تصیبه شوکة فی رجله فلا یحس بها، ثم إذا سکن غضبه و ظفر بمراده عظم ألمه. و إذا تصور أن ینغمر ألم یسیر بحب یسیر، تصور أن ینغمر ألم کثیر بحب قوی بالغ، فإن کل واحد- من الحب و الألم- یقبل الزیادة و الشدة. و مهما تصور مثل هذا فی عشق یرجع إلی المیل إلی صورة مرکبة من لحم و دم الاربعین فی اصول الدین، ص:

۱۶۰ مشحون بالأقذار و الخبائث؛ و إنما يدرک بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها، حتى ترى الكبير صغيرا، و البعيد قريبا، و القبيح جميلا. فكيف لا يتصور بالإدراک جمال الحضرة الربوبية، و الجلال الأزلى الأبدى، الذى لا يتصور انقطاعه و نقصانه، المدرک بالبصيرة الباطنة، التى هى أصدق و أوضح عند أهلها من البصر الظاهر؟ و من هذا الأصل قال الجنيد- رحمه اللّه- قلت لسرّى السقطى- رحمه اللّه-: هل يجد المحب ألم البلاء؟ قال: لا. قلت: و إن ضرب بالسيف؟ قال: لا، و إن ضرب بالسيف سبعين ضربة، ضربة على ضربة. و قال بعضهم: أحببت كل شىء لحبه، حتى لو أحب النار أحببت الدخول فى النار. و قال عمر بن عبد العزيز- رحمه اللّه-: ما بقى لى فرح إلا فى موقع قدر اللّه تعالى. و ضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام، فقيل له: لو سألت اللّه تعالى أن يرده عليك! فقال: اعتراضى عليه فيما قضى أشدّ على من ذهاب ولدى. الوجه الثانى من الرضاء: أن يحس بالألم و يكرهه بالطبع، و لكن يرضى به بعقله و إيمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء، كما يرضى المريض بألم الفصد، و شرب الدواء، لعلمه بأنه سبب الشفاء، حتى إنه ليفرح بمن يهدى إليه الدواء و إن كان بشعا. و كذلک يرضى التاجر بمشقة السفر و هو خلاف طبعه. و هذا أيضا يشاهد مثله فى الأغراض الدنيوية، فكيف ينكر فى السعادة الأخروية؟ و روى أن امرأة فتح الموصلى الأنصارى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين ألم الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه. فإذا من أيقن أن ثواب البلاء أعظم مما يقاسيه، لم يبعد أن يرضى به. الوجه الثالث: أن تعتقد أن للّه تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطايف، و ذلک يخرج عن قلبه. (لم و كيف) حتى لا يتعجب مما يجرى على العالم مما يظنه الجاهل تشويشا و اضطرابا، و ميلا عن الاستقامة و يعلم أن تعجبه كتعجب موسى من الخضر- عليه السلام- لما خرق سفينة الأيتام، و قتل الغلام، و أعاد بناء الجدار، كما فى سورة «الكهف». فلما كشف الخضر عن السر الذى اطلع عليه، سقط تعجبه، و كان تعجبه بناء على ما أخفى عنه من تلک الأسرار. و كذلک أفعال اللّه تعالى، مثاله: ما حكى عن رجل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۱ من الراضين أنه كان يقول فى كل ما يصيبه: «الخير فيما قدّره اللّه تعالى» و كان فى بادية و معه أهله و ليس له إلا حمار يحمل عليه خباءه، و كلب يحرسهم، و ديک يوقظهم، فجاء ثعلب و أخذ الديک فقال: خيرة، و جاء ذئب و قتل الحمار، فحزن أهله فقال: خيرة، ثم أصيب الكلب فمات، فقال: خيرة؛ فتعجب أهله من ذلک، حتى أصبحوا و قد سبى من حولهم، و استرقّ أولادهم، و كان قد عرف مكانهم بصوت الديک، و مكان بعضهم بنبيح الكلب، و مكان بعضهم بنهيق الحمار، فقال: قد رأيتم أن الخيرة فيما قدره اللّه سبحانه، فلو لم يهلكهم اللّه عز و جل لهلكتم و هلكنا. و روى أن نبيّا كان يتعبد فى جبل و كان بالقرب منه عين، فاجتاز بها فارس و شرب و نسى عندها صرة فيها ألف دينار، و جاء آخر فأخذ الصرة، ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب، فشرب و استلقى ليستريح فرجع الفارس فى طلب الصرة فلم يرها، فأخذ الفقير فطالبه و عذبه فلم يجدها عنده فقتله. فقال النبى: إلهى ما هذا؟ أخذ الصرة ظالم آخر، و سلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله! فأوحى اللّه إليه: اشتغل بعبادتک، فليس معرفة أسرار الملک من شأنک، إن هذا الفقير كان قد قتل أبا الفارس فمكّنته من القصاص، و إن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة، فرددته إليه من تركته. فمن أيقن بأمثال هذه الأسرار لم يتعجب من أفعال اللّه تعالى، و تعجب من جهل نفسه، و لم يقل لم و كيف فرضى بما دبره اللّه فى ملكوته. و هاهنا وجوه أربعة تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود و الحكمة، و بكيفية ترتيب الأسباب المتوجهة إلى المسببات، و معرفة القضاء الأول الذى هو كلمح البصر، و معرفة القدر الذى هو سبب ظهور تفاصيل القضاء، و أنها رتبت على أكمل الوجوه و أحسنها، و ليس فى الإمكان أحسن منها و أكمل. و لو كان و ادّخر، لكان بخلا لا جودا و عجزا يناقض القدرة، و ينطوى تحت ذلک معرفة سرّ القدر، و كما أن من أيقن ذلک، لم ينطو ضميره إلا على الرضا بكل ما يجرى من اللّه. و شرح ذلک يطول، و لا رخصة فيه أيضا فلنتجاوزه.

فصل كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين بغض أهل الكفر

[فصل كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين بغض أهل الكفر] لعلک تقول: كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين

بغض أهل الكفر الاربعین فی اصول الـدین، ص: ۱۶۲ و العصیان، و قد تعبدت به شرعا و ذلک مراد اللّه تعالی فیهم؟ فاعلم أن طائفهٔ من الضـعفاء ظنوا أن ترک الأمر بالمعروف من جملهٔ الرضا بالقضاء، و سـمّوه حسن الخلق و هو جهل محض، بل علیک أن ترضـی و أن تکره جمیعا. و الرضا و الکراهیـهٔ یتضادان إذا تواردا علی شـیء واحـد من وجه واحد، و لا یتناقض أن یقتل عدوّک الذی هو عدوّ عـدوّک أیضا، فترضاه من حیث إنه عـدوّک، و تکرهه من حیث إنه عدوّ عدوّک. فکذلک للمعصـیهٔ وجهان: وجه إلی اللّه تعالی من حیث إنها بقضائه و مشیئته فهو من هذا الوجه مرضیّ به، و وجه إلی العاصی من حیث إنه صفته و کسبه، و علامهٔ کونه ممقوتا من اللّه تعالی فهو من هـذا الوجه مکروه. و قد تعبّدک اللّه تعالی ببغض من یبغضه من المخالفین لأمره، فعلیک بما تعبّدک به و الامتثال له. و لو قـال لک محبوبک إنی أریـد أن أمتحن حبک بأن أضـرب عبـدی و أرهقه إلی أن یشـتمنی فمن أبغضه فهو محبّی و من أحبه فهو عـدوی، فیمکنـک أن تبغض عبـده إذا شـتمه، مع أنک تعلم أنه الـذی اضـطره إلی الشـتم، و کان ذلک مرادا منه، فیقول: أمّا فعله فی الشتم فإنی أرضی به من حیث إنه تدبیرک فی عبدک، و مرادک ممن أردت إبعاده، و أما شتمه من حیث هو صفته و علامهٔ عداوته، فإنی أبغضه لأنی أحبک، فأبغض لا محالهٔ من علیه علامهٔ عداوتک؛ و هذه دقیقهٔ زلّ فیها الضعفاء، فلذلک یتهافتون فیها.

فصل ینبغی أن لا یظن أن معنی الرضا بالقضاء ترک الدعاء

[فصل ینبغی أن لا یظن أن معنی الرضا بالقضاء ترک الدعاء] کذلک ینبغی أن لا تظن أن معنی الرضا بالقضاء ترک الدعاء، بل ترک السـهم الـذی أرسل إلیک حتی یصـیبک، مع قـدرتک علی دفعه بالترس، بل تعبـدک اللّه عز و جل بالـدعاء، لیسـتخرج به من قلبک صفاء الذکر، و خشوع القلب و رقته، لتستعد به لقبول الألطاف و الأنوار. فمن جملهٔ الرضا بقضائه، أن یتوصل إلی محبوباته بمباشرهٔ ما جعله سببا له؛ بل ترک الأسباب مخالفهٔ لمحبوبه و مناقضهٔ لرضاه، فلیس من الرضاء للعطشان أن لا یمدّ الید إلی الماء البارد، زاعما أنه رضـی بـالعطش الـذی هو من قضـاء اللّه تعـالی؛ بـل من قضـاء اللّه تعـالی و محبته أن یزال العطش بالمـاء. فلیس فی الرضا بالقضاء ما یوجب الخروج عن حدود الشـرع و رعایهٔ سنهٔ اللّه تعالی أصلا، بل معناه ترک الاعتراض علی اللّه عز و جل إظهارا و إضمارا، مع بذل الجهد فی التوصل إلی محاب اللّه تعالی من عباده، و ذلک بحفظ الأوامر و ترک النواهی. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۶۳

الأصل العاشر، ذکر الموت و حقیقته و أصناف العقوبات الروحانیهٔ

فصل فی أن الموت عظیم هائل

[فصل فی أن الموت عظیم هائل] اعلم أن الموت عظیم هائل، و ما بعـده أعظم منه، و فی ذکره منفعـهٔ عظیمـهٔ، فإنه الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۶۴ ینغّص الـدنیا و یبغّضـها إلی القلب، و بغضـها رأس کـلّ حسـنهٔ، کما أن حبها رأس کل خطیئـهٔ، و للعارف فی ذکره فائـدتان: إحـداهما: النفرهٔ من الـدنیا، و الأـخری: الشوق إلی الآـخرهٔ، فـإن المحب لاـ محالـهٔ مشـتاق، و معنی الشوق فی المحسوسات اسـتکمال الخیال بالترقی إلی المشاهدهٔ، فإن المشـتاق إلیه مدرک لا محالهٔ بالخیال، و غائب عن الأبصار، و أحوال الآخرهٔ و نعیمها، و جمال الحضـرهٔ الربوبیهٔ، مدرک کل ذلک للعارف یعرفه کأنه نظر من وراء ستر رقیق فی وقت الإسفار و ضعف النور، فهو مشتاق إلی اسـتکمال ذلک بالتجلی و المشاهـدهٔ، و یعلم أن ذلک لا یکون إلا بالموت؛ فلذلک لا یکره الموت، لأنه لا یکره لقاء اللّه تعالی. و لا سبب لإقبال الخلق علی الـدنیا إلا قلـهٔ التفکر فی الموت، و طریق الفکر فیه أن یفرّغ الإنسان قلبه عن کل فکر سواه؛ و یجلس فی خلوهٔ و یباشر ذکر الموت بصمیم قلبه، و یتفکر أولا فی أخدانه و أشکاله الذین مضوا، فیتذکرهم واحدا واحدا، و یتذکر حرصهم و أملهم و رکونهم إلی الجـاه و المال، ثم یتـذکر مصارعهم عنـد الموت، و تحسـرهم علی فوات العمر و تضـییعه، ثم یتفکر فی أجسادهم کیف تمزقت فی التراب و صارت جیفهٔ یأکلها الدیدان، ثم یرجع إلی نفسه و یعلم أنه کواحد منهم أمله کأملهم، و مصـرعه کمصـرعهم، ثم

ینظر فی أعضائه و ینظر کیف تتفت، و إلی حدقته کیف یأکلها الدود، و إلی لسانه کیف یتهرأ و یصیر جیفهٔ فی فیه. فإذا فعلت ذلک تتنغص علیک الدنیا و کنت سعیدا، إذ السعید من وعظ بغیره، فلذلک قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «أیها الناس، کأن الموت فیها علی غیرنا کتب، و کأن الحق فیها علی غیرنا وجب، و کأن الذین نشیّع من الأموات سفر عن قریب إلینا راجعون نبوؤهم أجداثهم و نأکل تراثهم، کأنا مخلدون بعدهم، قد نسینا کل واعظهٔ و أمنّا کل جائحهٔ».

فصل أصل الغفلهٔ عن الموت طول الأمل

فصل أن العارف الکامل المستهتر بذکر اللّه تعالی مستغن عن ذکر الموت

[فصل أن العارف الکامل المستهتر بذکر اللّه تعالی مستغن عن ذکر الموت] اعلم أن العارف الکامل المستهتر بذکر اللّه تعالی مستغن عن ذکر الموت، بل حاله الفناء فی التوحید، لا ـ التفات له إلی ماض و لا إلی مستقبل، و لا إلی حال من حیث أنه حال؛ بل هو ابن وقته، یعنی أنه کالمتّحد بمذکوره؛ لست أقول متحدا بالذات، فلا ـ تعقل فتغلط، و تسیء الظن. و کذلک یفارقه الخوف و الرجاء، لأنهما سوطان یسوقان العبد إلی هذه الحالهٔ التی هو ملابسها بالذوق؛ و کیف یذکر الموت و إنما یراد ذکر الموت لینقطع علاقهٔ قلبه عما یفارقه بالموت. و العارف قد مات مرهٔ فی حق الدنیا و فی حق کل ما یفارقه بالموت، فإنه ترفع و تنزه عن الالتفات إلی الآخرهٔ أیضا، فضلا عن الدنیا، و قد تنغص علیه ما سوی اللّه تعالی، و لم یبق له من الموت إلا کشف الغطاء لیزداد به وضوحا، لا لیزداد یقینا، و هو معنی قول علی– رضی اللّه عنه– «لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا»، فإن الناظر إلی غیره من وراء ستر، لا یزداد برفع الستر یقینا، بل وضوحا فقط؛ فإذا ذکر الموت یحتاج إلیه من لقلبه التفات إلی الدنیا، لیعلم أنه سیفارقها، فلا یعتکف بهمته علیها، و لذلک قال علیه السلام: «إن روح القدس نفث فی روعی أحبب ما أحببت، فإنک مفارقه، و عش ما عشت، فإنک میت، و اعمل ما شئت، فإنک مجزیّ به».

فصل حقیقهٔ الموت و ماهیته

[فصل حقیقهٔ الموت و ماهیته] لعلک تشتهی أن تعرف حقیقهٔ الموت و ماهیته؛ و لن تعرف ذلک ما لم تعرف حقیقهٔ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۶۶ الحیاهٔ، و لن تعرف حقیقهٔ الحیاهٔ، ما لم تعرف حقیقهٔ الروح و هی نفسک، و حقیقتک و هی أخفی الأشیاء عنک، و لا ـ تطمع فی أن تعرف ربک قبل أن تعرف نفسک، و أعنی بنفسک روحک التی هی خاصیهٔ الأمر المضافهٔ إلی اللّه تعالی فی قوله: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی [الإسراء: ۸۵] و فی قوله: وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲] دون الروح الجسمانی اللطیف، الذی هو حامل قوهٔ الحسّ و الحرکهٔ، التی تنبعث من القلب، و تنتشر فی جملهٔ البدن، فی تجاویف العروق الضوارب، فیفیض منها نور حس البصر علی العین، و نور السمع علی الأذن، و کذا سائر القوی و الحواس، کما یفیض من السراج نور علی حیطان البیت إذا أدیر فی جوانبه؛ فإن هذه الروح تشارک البهائم فیها و تنمحق بالموت، لأنه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الأخلاط. فإذا انحل المزاج بطل کما یبطل النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج؛ بانقطاع الدهن عنه، أو بالنفخ فیه. و بانقطاع الغذاء عن الحیوان تفسد هذه الروح؛ لأن الغذاء له کالدهن للسراج، و القتل له کالنفخ فی السراج. و هذه هی الروح التی یتصرف فی تعدیلها و تقویتها علم الطب، و لا تحمل هذه الروح المعرفهٔ و الأمانهٔ، بل الحمّال للأمانهٔ الروح الخاصهٔ للإنسان، و نعنی بالأمانهٔ تقلد عهدهٔ التکلیف، بأن یتعرض لخطر الثواب و العقاب بالطاعهٔ و المعصیهٔ. و هذه الروح لا تموت و لا تفنی، بل تبقی بعد الموت، إما فی نعیم و سعادهٔ، أو جحیم و شقاوهٔ، فإنه محلّ المعرفهٔ. و التراب لا ـ یأکل محل الإیمان و المعرفهٔ أصلا کما نطقت به الأخبار، و شهدت له شواهد الاستبصار. و لم یأذن الشرع فی ذکر تحقیق صفته، إذ لا یحتمله إلا الراسخون فی العلم؛ و کیف یذکر، و له من عجائب الأوصاف ما

لم یحتمله أکثر عقول الخلق فی حق اللّه تعالی! فلا تطمع فی ذکر حقیقته، و انتظر تلویحا یسیرا فی ذکر صفته بعد الموت.

فصل الروح لا تفنی البتهٔ

[فصل الروح لا تفنی البتهٔ] هذه الروح لا تفنی البتهٔ، و لا تموت، بل تتبدل بالموت حالها فقط، و یتبدل منزلها، فترتقی من منزل إلی منزل. و القبر فی حقها إما روضهٔ من ریاض الجنهٔ، أو حفرهٔ من حفر النیران، إذ لم یکن لها مع البدن علاقهٔ سوی استعمالها البدن، و اقتناصها أوائل المعرفهٔ به بواسطهٔ شبکهٔ الحواس. فالبدن آلتها و مرکبها و شبکتها، و بطلان الآلهٔ و المرکب و الشبکهٔ لا توجب بطلان الصائد؛ نعم، إن بطلت الشبکهٔ بعد الفراغ من الصید فبطلانه غنیمهٔ، إذ یتخلص من ثقله و حمله، و لذلک قال علیه السلام: «الموت الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۶۷ تحفهٔ المؤمن»؛ و إن بطلت الشبکهٔ قبل الصید عظمت فیه الحسرهٔ و الندامهٔ و الألم، فلذلک یقول المقصّر: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ [المؤمنون: ۹۹، ۱۰۰]. بل إن کان ألف الشبکهٔ و أحبها و تعلق قلبه بها، و حسّن صورتها و صنعتها، و ما یتعلق بها، کان له من العذاب ضعفان: أحدهما: حسرهٔ فوات الصید الذی لا یقتنص إلا بشبکهٔ البدن، و الثانی: زوال الشبکهٔ مع تعلق القلب بها و إلفه لها. و هذا مبدأ من مبادیء معرفهٔ عذاب القبر، إن استقصیته تحققته قطعا.

فصل فی أن معنی الموت زمانهٔ البدن

[فصل فی أن معنی الموت زمانهٔ البدن] لعلک تشتهی الاستقصاء المفضی إلی التحقیق؛ فاعلم أن هذا الکتاب لا یحتمله، فاقنع منه بأنموذج یسیر، و افهم أن معنی الموت زمانهٔ «۱» البدن. و أنت تعرف أن زمانهٔ الید خروجها عن طاعتک مع وجود شخصها ببطلان القوهٔ التی بواسطتها تستعمل الید. فافهم أن الموت زمانهٔ مطلقهٔ فی جمیع الأعضاء ببطلان قواها، فیسلب الموت منک یدک و رجلک و عینک و سائر حواسک، و أنت باق، أعنی حقیقتک التی أنت بها أنت؛ فإنک الآن الإنسان الذی کنت فی الصّبا، و لعله لم یبق فیک من تلک الأجسام شیء، بل انحل کلّها و حصل بالغذاء بدلها، و أنت أنت، و جسدک غیر ذلک الجسد. فإن کان لک معشوق تفتقر فیه إلی حواسک، عظم عذابک بفراق معشوقک. و جمیع ملاذ الدنیا معشوق، و لا تنال إلا بالحواس، و لا فرق فی عذاب العاشق بین أن یحجب عنه معشوقه، و بین أن یفقأ عینه، أو یسلب هو عنه بأن یحمل إلی موضع حتی لا یراه، فإن ألمه من عدم الرؤیهٔ. و من أحب أهله و ماله و عقاره و فرسه و جاریته و ثیابه یألم بفراقها، سواء سلبت هذه الأشیاء عنه، أو سلب هو عنها، بأن حمل إلی موضع آخر، و حیل بینه و بینها. فالموت یسلبک هذه الأشیاء. و یحول بینک و بینها، فیکون عذابک بقدر عشقک لها. و الموت یخلی بینک و بین اللّه تعالی، و یقطع عنک هذه الحواس الشاغلهٔ المشوّشهٔ، فتکون لذّتک فی القدوم علی اللّه تعالی بقدر حبک له و أنسک بذکره؛ و لأجل هذا نبّهک و قال اللّه تعالی: «أنا بدّک «۲» اللازم فالزم بدّک». و أجمع العبارات عن نعیم الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۶۸ الجنهٔ: «إن لهم فیها ما یشتهون» «۱». و أجمع العبارات لعذاب الآخرهٔ قوله: وَ حِیلَ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ ما یَشْتَهُونَ [سبأ: ۵۴]. و لا ملذ إلا الشهوهٔ، و لکن عند مصادمهٔ المشتهی، و لا مؤلم إلا الشهوهٔ، و لکن عند مفارقهٔ المشتهی. و لا ینبغی أن تغتر الآن و تقول: إن کان هذا سبب عذاب القبر فأنا فی أمان منه، إذ لا علاقهٔ بین قلبی و بین متاع الدنیا؛ فإن هذا لا تدرکه بالحقیقهٔ ما لم تطرح الدنیا و تخرج عنها بالکلیهٔ، فکم من رجل باع جاریهٔ علی ظن أنه لا علاقهٔ بینه و بینها، فلما أخذها المشتری اشتعل فی قلبه من نیران الفراق، و احترق بها احتراقا، و ربما ألقی نفسه فی الماء و النار لیقتل نفسه و یتخلص منها. فکذلک یکون حالک فی القبر فی کل ما یتعلق به قلبک من الدنیا؛ و لذلک قال المصطفی علیه السلام: «أحبب ما أحببت فإنک مفارقه». و وراء هذا عذاب أعظم منه، و هو حسرهٔ الحرمان عن القرب من اللّه تعالی، و النظر إلی وجهه الکریم. و ینکشف بالموت عظم قدر ما فات منه، و إن کان لا یعظم قدره عندک قبل الموت؛ لأن الموت سبب الانکشاف، ما لم تکن المکاشفهٔ قبله، کما أن النوم سبب انکشاف الغیب بمثال أو غیر مثال. و النوم أخ الموت، و لکنه دونه یکبر. فهذان عذابان یتضاعفان علی کل میت کأن غیر اللّه تعالی أحب إلیه من اللّه تعالی؛ و کأن أنسه

بغير اللّه تعالى، أكثر من أنسه باللّه؛ و هما ضروريان إن عرفت بالحقيقة الروح و بقاءه بعد الموت، و علائقه، و ما يضادّه بالطبع و ما يوافقه بالطبع.

فصل أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد

[فصل أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد] لعلك تقول: المشهور عند أهل العلم، أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد، و أن عذاب القبر يكون بنيران و عقارب و حيات، و ما ذكرته بخلاف ذلك. فاعلم أن من قال إن الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد و يفاع «۲» الاستبصار جميعا، أما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلا تدركه ما لم تستبصر؛ و أما حرمانه عن التقليد فتعرفه بتلاوة الآيات و الأخبار، قال اللّه تعالى: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ ... [آل عمران: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۹ ۱۶۹، ۱۷۰] الآية. هذا فى السعداء؛ و أما فى الأشقياء فقد ناداهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم بدر لما قتلوا، فكان يقول: «يا فلان يا فلان- يذكر واحدا واحدا من صناديدهم- فقد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّا»؟ فقيل يا رسول اللّه أ تناديهم و هم أموات؟ فقال عليه السلام: «و الذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لكلامى منهم، لكنهم لا يقدرون على الجواب». و قال عليه السلام: «الموت هو القيامة، و من مات فقد قامت قيامته» و أراد بهذه القيامة الصغرى، و القيامة الكبرى تكون بعده. و شرح قيامة الصغرى إن أردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الإحياء. و الأخبار فى الدلالة على بقاء أرواح الموتى و شعورهم مما يجرى فى هذا العالم أيضا كثيرة.

فصل فى إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، صحيح

[فصل فى إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، صحيح] أما قولك: إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، فهذا صحيح، و هو كذلك؛ و لكنى أراك عاجزا عن فهمه و درك سره و حقيقته، إلا أنى أنبّهك على أنموذج منه تشويقا لك إلى معرفة الحقائق، و التشمر للاستعداد لأمر الآخرة، فإنه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون؛ فقد قال عليه السلام: «المؤمن فى قبره فى روضة خضراء قد فرّج له قبره سبعين ذراعا، و يضىء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فى ماذا أنزلت فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم: قال: عذاب الكافر فى قبره، يسلّط عليه تسعة و تسعون تنّينا، هل تدرون ما التّنين؟ تسع و تسعون حية، لكل حية تسعة رؤوس ينهشونه و يلحسونه و ينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون». فانظر إلى هذا الحديث، و اعلم أن هذا حق على الوجه الذى شاهده أرباب البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر. و الجاهل ينكره إذ يقول: إنى أنظر فى قبره فلا أرى ذلك أصلا. فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت، أعنى ذات روحه لا ذات جسده، فإن الروح هى التى تتألم و تتنعم، بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فأحس بلدغه بعد الموت. و ليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته و عدد رؤوسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة، و شهواته لمتاع الدنيا. و أصل هذا التنين حبّ الدنيا، و تتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد و الحقد و الرياء و الكبر و الثروة و المكر و الخداع و حب الجاه و المال و العداوة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۰ و البغضاء. و أصل ذلك معلوم بالبصيرة، و كذلك كثرة رؤوسه اللداغة؛ أما انحصار عددها فى تسعة و تسعين، إنما يوقف عليه بنور النبوة فقط. فهذا التنين متمكن فى صميم فؤاد الكافر، لا بمجرّد جهله بالكفر، بل لما يدعو إليه الكفر، كما قال اللّه تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ [النحل: ۱۰۷]. و قال اللّه تعالى: أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها ... [الأحقاف: ۲۰] الآية. و هذا التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت، لكان أهون، إذ ربما يتصور أن ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه، لا- بل هو متمكن من صميم فؤاده، تلدغه التنين لدغا أعظم مما تفهمه من لدغ التنين، و هو بعينه صفاته التى كانت معه فى حياته كما أن التنين التى تلدغ قلب العاشق إذا باع جاريته، هو بعينه الذى كان مستكنّا

فی قلبه استکنان النار فی الحجر و هو غافل عنه. فقد انقلب ما کان سبب لذّته سبب ألمه، و هذا سرّ قوله علیه السلام: «إنما هی أعمالکم ترد علیکم»، و قوله تعالی: یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً، وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً، وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ [آل عمران: ۳۰]، بل سر قوله تعالی: کَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ [التکاثر: ۵، ۶]، أی أن الجحیم فی باطنکم فاطلبوها بعلم الیقین، لترونّها قبل أن تدرکوها بعین الیقین؛ بل هو سر قوله تعالی: یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکافِرِینَ [العنکبوت: ۵۴]؛ و لم یقل إنها ستحیط؛ بل قال: هی محیطة؛ و قوله تعالی: إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِینَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها [الکهف: ۲۹]، و لم یقل یحیط بهم، و هو معنی قول من قال: إن الجنة و النار مخلوقتان. و قد أنطق اللّه لسانه بالحق، و لعله لا یطلع علی سر ما یقوله، فإن لم تفهم بعض معانی القرآن کذلک، فلیس لک نصیب من القرآن إلا فی قشوره، کما لیس للبهیمة نصیب من البر «۱» إلا فی قشوره الذی هو التّبن. و القرآن غذاء الخلق کلهم علی اختلاف أصنافهم، و لکن اغتذاؤهم به علی قدر درجاتهم؛ و فی کل غذاء مخّ و نخالة و تبن؛ و حرص الحمار علی التبن أشد منه من الخبز المتخذ من اللّب. و أنت شدید الحرص علی أن لا تفارق درجة البهیمة، و لا تترقی إلی رتبة الإنسانیة، بل إلی الملکیة، فدونک و الانسراح فی ریاض القرآن، ففیه متاع لکم و لأنعامکم. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۷۱

فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر

[فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر] فإن قلت: فهل یتمثل هذا التنین تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر، أم هو تألم محض فی ذاته کتألم العاشق إذا حیل بینه و بین معشوقه؟ فأقول: لا بل یتمثل لک حتی تشاهده، و لکن تمثلا- روحانیا لا علی وجه یدرکه من هو بعد فی عالم الشهادة إذا نظر فی قبره، فإن ذلک من عالم الملکوت. نعم، العاشق أیضا قد ینام فیتمثل له حاله فی المنام، فربما یری حیة تلدغ صمیم فؤاده. لأنه بعد بالنوم من عالم الشهادة قلیلا، فیتمثل له حقائق الأشیاء تمثلا محاکیا للحقیقة، منکمشا له من عالم الملکوت، و الموت أبلغ فی الکشف من النوم، لأنه أقمع لنوازع الحس و الخیال، و أبلغ فی تجرید الروح عن غشاوة هذا العالم. فلذلک یکون ذلک التمثل تامّا متحققا دائما لا یزول، فإنه نوم لا ینتبه منه إلا یوم القیامة: لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن المتیقظ بجنب النائم إن کان لا یشاهد الحیة التی تلدغ النائم، فذلک غیر مانع من وجود الحیة فی حقه، و حصول الألم به؛ فکذلک حال المیت فی القبر.

فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر

[فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر] فإن قلت: فهل یتمثل هذا التنین تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر، أم هو تألم محض فی ذاته کتألم العاشق إذا حیل بینه و بین معشوقه؟ فأقول: لا بل یتمثل لک حتی تشاهده، و لکن تمثلا- روحانیا لا علی وجه یدرکه من هو بعد فی عالم الشهادة إذا نظر فی قبره، فإن ذلک من عالم الملکوت. نعم، العاشق أیضا قد ینام فیتمثل له حاله فی المنام، فربما یری حیة تلدغ صمیم فؤاده. لأنه بعد بالنوم من عالم الشهادة قلیلا، فیتمثل له حقائق الأشیاء تمثلا محاکیا للحقیقة، منکمشا له من عالم الملکوت، و الموت أبلغ فی الکشف من النوم، لأنه أقمع لنوازع الحس و الخیال، و أبلغ فی تجرید الروح عن غشاوة هذا العالم. فلذلک یکون ذلک التمثل تامّا متحققا دائما لا یزول، فإنه نوم لا ینتبه منه إلا یوم القیامة: لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن المتیقظ بجنب النائم إن کان لا یشاهد الحیة التی تلدغ النائم، فذلک غیر مانع من وجود الحیة فی حقه، و حصول الألم به؛ فکذلک حال المیت فی القبر.

فصل فی العذاب الآخرة

[فصل فی العذاب الآخرة] و أما مطالبتک إیای بتفصیل عذاب الآخرة، و ذکر أصنافه، فلا تطمع بالتفصیل، فذلک داعیة إلی الملال و التطویل، و اقنع بذکر الأصناف؛ فقد ظهر لی بالمشاهدة ظهورا أوضح من العیان، أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة: أعنی الروحانی منها حرمة المشتهیات، و خزی خجلة المفضحات، و حسرة فوات المحبوبات. فهذه ثلاثة أنواع من النیران الروحانیة یتعاقب علی روح من آثر الحیاة الدنیا إلی أن ینتهی إلی مقامات النار الجسمانیة، فإن ذلک یکون فی آخر الأمر، فخذ الآن شرح هذه الأوصاف. الصنف الأول: حرقة فرقة المشتهیات، فصورته المستعارة من عالم الحس و التخیل، التنین الذی وصفه الشرع، و عدد رؤوسه و هی بعدد الشهوات، و رذائل الصفات تلدغ صمیم الفؤاد لدغا مؤلما، و إن کان البدن بمعزل عنه. فقدّر فی عالمک هذا ملکا مستولیا علی جمیع الأرض، متمکنا من جمیع الملاذّ، متمتعا بها، مستهترا بالوجوه الحسان، متهالکا علیها، مشغوفا بالإمارة و استعباد الخلق بالطاعة، مطاعا فیهم، غافصه «۱» عدوه و استرقه و استعمله علی ملأ من رعیته فی تعهد الکلاب، و صار یتمتع بنعمه و یتمتع بأهله و جواریه بین یدیه، و یتصرف فی خزائنه و ذخائر أمواله، فیفرقها علی أعدائه و معاندیه. و انظر الآن هل تری علی قلبه تنّینا ذا رؤوس کثیرة، تلدغ صمیم فؤاده و بدنه بمعزل عنه، و هو یرید أن یبتلی بدنه بأمراض و آلام لیتخلص منه! فتوهم هذا، فربما تشتم به قلیلا من رائحة الحطمة «۲» التی فیها نار اللّه الموقدة التی لا تطلع إلا علی الأفئدة، أعدت لمن جمع مالا و عدده یحسب أن ماله أخلده. و اعلم أن عذاب کل میت بقدر رؤوس هذا التنین، و عدد الرءوس بقدر المشتهیات، فلهذا من کان أفقر و تمتعه فی الدنیا أقل، کان العذاب علیه أخف، و من لا علاقة له مع الدنیا أصلا فلا عقاب علیه أصلا. الصنف الثانی: خزی خجلة المفضحات؛ فقدّر رجلا خسیسا رذیلا فقیرا عاجزا، قرّبه ملک من الملوک و رفعه و قوّاه و خلع علیه، و سلم إلیه نیابة ملکه، و مکنه من الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۷۵ دخول حریمه و جملة خزائنه اعتمادا علی أمانته. فلما عظمت علیه النعمة، طغی و بغی، و صار یخون فی خزانته، و یفجر بأهل الملک و بناته و سریّاته، و هو فی جمیع ذلک یظهر الأمانة للملک، و یعتقد أنه غیر مطلع علی خیانته. فبینما هو فی غمرة فجوره و خیانته، إذ لاحظ روزنة «۱» فرأی فیها الملک مطّلعا علیه منها، و علم أن الملک کان یطلع علیه کل یوم و لیلة، و لکنه کان یغض عنه و یمهله حتی یزداد خبثا و فجورا، و یزداد استحقاقا للنکال لیصب علیه فی الآخرة أنواع العذاب صبّا. فانظر الآن إلی قلبه کیف یحترق بنار الخزی و الخجلة، و بدنه بمعزل منه، و کیف یود أن یعذب بدنه بکل عذاب و ینکتم خزیه. فکذلک أنت تتعاطی فی الدنیا أعمالا- هی مشتهیاتک، و لتلک الأعمال أرواح و حقائق خبیثة قبیحة، و أنت جاهل بها معتقد حسنها؛ فینکشف لک فی الآخرة حقائقها فی صورها القبیحة، فتختزی و تخجل خجلة تؤثر علیها آلاما بدنیة. فإن قلت کیف ینکشف إلیّ أرواحها و حقائقها؟ فاعلم أن ذلک لا تفهمه إلا بمثال؛ فمن جملته مثلا أن یؤذّن المؤذّن فی رمضان قبل الصبح، فیری فی المنام أن بیده خاتما یختم به أفواه الرجال و فروج النساء، فیقول له ابن سیرین: هذا رأیته لأذانک قبل الصبح. فتأمل الآن أنه لما بعد بالنوم قلیلا عن عالم الحس الجسمانی، انکشف له روح عمله. لکن لما بعد فی عالم التخیل- لأن النائم لا یزول تخیله- غشاه الخیال بمثال متخیل، و هو الخاتم و الختم، و لکنه مثال أدل علی روح العمل من نفس الأذان، لأن عالم المنام أقرب إلی عالم الآخرة، فالتلبیس فیه أضعف قلیلا و لیس یخلو عن تلبیس، و لأجله یحتاج إلی التعبیر. و لو قال قائل لهذا المؤذن: أما تستحی أن تختم أفواه الرجال و فروج النساء؟ لقال: معاذ اللّه أن أفعل هذا، فلأن أقدّم و یضرب عنقی أحب إلیّ من أن أفعل ذلک. فهو ینکره، لأنه یجهله، مع أنه فعله، لأن روحه قاصرة عن إدراک أرواح الأشیاء. و کذلک لو أکلت لحما طیبا علی اعتقاد أنه لحم طیر، فقال قائل: أما تستحی أن تأکل لحم أخیک المیت فلان؟ لقلت: معاذ اللّه أن أفعل ذلک، و لأن أموت جوعا أهون علیّ من ذلک، فنظرت فإذا هو لحم أخیک المیت قد طبخ و قدّم إلیک و لبّس علیک. فانظر کیف تختزی الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۷۶ و تفتضح به، و بدنک فی معزل من ألمه. فکذلک یری المغتاب نفسه فی الآخرة، و لأنّ روح الغیبة تمزیق أعراض الإخوان و التفکه بها. و فی عالم الآخرة ینکشف أرواح الأشیاء و حقائقها. و کذلک لو کنت ترمی حجارة إلی حائط، فقال لک قائل: أما تستحی أن تفعل ذلک، و الحجارة ترتد من الحائط و تقع فی دارک، و تصیب حدقة أولادک، فقد غیبت أحداقهم کلهم! قلت: معاذ اللّه أن أفعل ذلک. فقال: ادخل دارک. فدخلت فإذا هو کذلک. فانظر کیف تفتضح و یحترق

قلبك تحسّرا على عملك الذى ظننته هيّنا و هو عند اللّه عظيم. و هذا روح حسدك لأخيك، فإنك تحسده و لا تضره و ينعكس عليك و يهلك دينك، و ينقل حسناتك إلى ديوانه- و هى قرّة عينك- لأنها سبب سعادة الأبد، فهى أعز من حدقة الولد. فإذا انكشف لك هذه الروح، فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة و بدنك بمعزل عنه. فالقرآن كثيرا ما يعبّر عن الأرواح، و لذلك قال تعالى فى الغيبة: أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات: ۱۲]. و قال اللّه تعالى فى الحسد: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ [يونس: ۲۳]. فيكفيك من الأمثلة مثال الأذان و الغيبة و الحسد. فقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه، فذلك لقبح روح الفعل و حقيقته، و حسن ظاهره، أى ظاهره حسن للبصر الظاهر، و باطنه قبيح للبصيرة الناظرة فى مشكاة نور اللّه تعالى. و عن هذا عبر الشرع حيث قال: تعرض الدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شوهاء زرقاء، صفتها كيت و كيت، لا يراها أحد إلا و يقول أعوذ باللّه منها، فيقال هذه دنياكم التى كنتم تتهالكون عليها، فيصادفون فى نفوسهم من الخزى و الفضيحة ما يؤثرون النار عليه. و إن أردت أن تفهم كيفية هذه الخجلة، فاسمع حكاية رجل من أبناء الملوك، زوج بأجمل امرأة من بنات الملوك، فشرب تلك الليلة فسكر، و أخطأ باب الحجرة فخرج من الدار و ضلّ فرأى ضوء سراج فقصده على ظنّ أنها حجرته، فدخل الموضع فرأى جماعة نياما، فصاح بهم فلم يجيبوه، فظنّ أنهم نيام، فطلب العروس فرأى واحدا نائما فى ثياب جديدة فظن أنها العروس، فضاجعها و أخذ يقبلها و يغشاها، و يجعل لسانه فى فيها و يمتص ريقها متلذذا بذلك فى سكره غاية التلذذ، و يتمسح بالرطوبات التى تصيبه من جميع بدنها، على ظن أن ذلك عطر ادّخرته له. فلما أصبح أفاق فإذا هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۷ فى ناووس المجوس، و إذا النيام موتى. و هذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت، عليها الحنوط، و كفنها الجديد، فصادف فى فمه و أنفه من رطوبات ريقها و مخاطها، و على بدنه من قاذورات أسافلها، فإذا هو من قرنه إلى قدمه ممتلىء فى قاذوراتها، ثم تفكر فى غشيانه إياها و ابتلاعه ريقها، فهجم على قلبه من الخزى ما تمنّى أن يخسف اللّه به الأرض، حتى ينسى ما جرى عليه. و لا يزال يعاود ذكره و لا ينساه أصلا، بل تجد نفسه ما عمله من سوء محضرا يود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا، و بدنه بمعزل من هذه المخازى و الآلام، و هو فى عذاب دائم فى الغثيان و القىء، و تذكر تلك المخازى، و يحذر أن يطلع عليه أحد فيتضاعف حزنه، فإذا هو بأبيه و جميع حشمه قد جاؤوا فى طلبه، و اطلعوا على جميع مخازيه. فهذه حال من تمتع بالدنيا، ينكشف له كذلك فى الآخرة روحه و حقيقته، و هى معنى قوله تعالى: وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ [العاديات: ۱۰] أى يعرض عليها حاصلها أى روحها و حقيقتها، و هى معنى قوله تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ [الطارق: ۹]. أى يكشف عن أسرار الأعمال و أرواحها القبيحة أو الحسنة. و كما أن ألذ الأطعمة رجيعه «۱» أقذر و أنتن، فألذ تنعمات الدنيا و حاصلها و سرها فى الآخرة أقبح و أفضح؛ و لذلك شبه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الدنيا بالطعام، و عاقبته بالرجيع. الصنف الثالث: حسرة فوات المحبوبات؛ فقدّر نفسك مع جماعة من أقرانك دخلتم فى ظلمة، فكان فيها حجارة لا يرى ألوانها، فقال أقرانك: احمل من هذا ما تطيق، فلعله يكون فيها ما ينتفع بها إذا خرجنا من الظلمة، فقلت فماذا أصنع بها؟ أتحمل فى الحال ثقلها، و أكدّ بنفسى فيها و أنا لا أدرى عاقبتها! ما هذا إلا جهل عظيم. فإن العاقل لا يترك الراحة نقدا بما يتوقعه نسيئة، و لا يستيقنه. فأخذ كل واحد من أقرانك ما أطاق أخذه، و أعرضت عن ذلك تستحمقهم و تسخر بهم، لأنهم ينوءون تحت أعبائه و ثقله، و أنت مرفّه فى الطريق تعدو و تضحك منهم. فلما جاوزوا الظلمة نظروا، فإذا هى جواهر و يواقيت يساوى كل واحد ألف دينار، فأقبلوا على بيعها و توصلوا بها إلى الجاه و النعمة و أصبحوا ملوك الأرض. فأخذوك فاستسخروك لتعهد دوابّهم لينفقوا عليك فى كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۸ فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة فى قلبك، و بدنك بمعزل منه؟ و كم تقول: يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [الزمر: ۵۶] و يا ليتنا نردّ و نعمل غير الذى كنا نعمل؟، فتقول لهم: أفيضوا علينا من الماء ممّا أفيض عليكم، فيقولون لك: هذا حرام عليك، أ لم تكن تسخر منّا و تضحك علينا، فلابد و أن نسخر اليوم منك كما سخرت منّا. فلا يزال ينقطع نياط «۱» قلبك من التحسر و لا ينفعك التحسر، و لكن تتسلى و تقول: الموت يخلصنى من هذا. فاعلم أن حال تارك الطاعات فى الآخرة كذلك ينكشف له، و لكن لا مطمع فى الموت المخلّص، بل هى حسرة أبدية دائمة، و الألم يتضاعف كل يوم، و إن كان

البـدن بمعزل عنه، و عنه العبـارة بقوله تعـالی: أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكَمُ اللَّهُ، قالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ [الأعراف: ۵۰]. و کذلک يفيض علی أهل المعرفة و الطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللّذّة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا، بل يعطی آخر من يخرج من النـار مثـل الـدنيا عشـر مرات کمـا ورد به الخبر، لاـ بمعنی تضـاعف المقـدار بالمساحـة، بـل بتضاعف الأرواح، کما أن الجوهر يکون عشـرة أمثـال الفرس لاـ بـالوزن و المقـدار، بـل بروح الماليـة، إذ قيمته عشـرة أمثـاله. و اعلم أن تحريم تلـک اللـذات و إفاضـتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجـل نعمه علی عبـده بغضب أو باختيـار، حتی يتصور تغييره، بـل هو کتحريم اللّه تعـالی علی الأبيض أن يکون أسود فی حالـة البياض، و علی الحار أن يکون باردا فی حالـة الحرارة؛ و ذلک لا يتصور فيه التبديل، بل مثال ذلک أن يقول للعالم الکامل رجل شـيخ هرم من الجهال الـذی کان بليـدا فی أصل الفطرة و لم يمارس قطّ علما و لم يتعلم لغـة: أفض علی قلبی من دقـائق علومـک، فيقول: إن اللّه حرّمه علی الجاهلين: معناه أن الاسـتعداد لقبوله إنما يکتسب بـذکاء فطریّ، و ممارسـة طويلة للعلم، بعد تعلم اللغة العربية و أمور أخر کثيرة. و إذا بطل الاسـتعداد و فات اسـتحالة الإفاضة، کما يستحيل إفاضة الحرارة علی البرودة مع بقـاء البرودة، فلا تظنن أن اللّه تعالی يغضب عليک فيعاقبک انتقاما، ثم تخـدع نفسک الاربعين فی اصول الـدين، ص: ۱۷۹ برجاء العفو فتقول: لم يعذبنی و لم يضـره معصـيتی بل يلزم العذاب من المعصية کما يلزم الموت من السمّ. و اعلم أن هذه الحسرة دائمة لأن منشأها تضاد صـفتين لا يزول تضادهما أبـدا؛ مثاله أن الذی يعلّق بحبل فی عنقه أو رجله إنما يتألم لتضاد الصـفتين، لا لصورة الحبل و التعلق؛ لکن صـفته الطبعية تطلب الهویّ إلی أسـفل، و المنع القهری بالحبل يمانع الطبعية فيتولد الألم فيه من تمانعهما، فکذلک الروح الإنسانی من الروح الروحـانی الإلـهی بأصـل فطرته، فله بحکم الطبع حنين و شوق إلی عـالم العلوّ، عـالم الأرواح، و إلی مرافقـة الملأ الأعلی؛ و لکن أغلال الشـهوات و سلاسلها يجذبها إلی أسفل السافلين، و هی شهوات الدنيا، و هی صفة عارضة قهرت الصفة الطبعية، و منعتهـا عن نيـل مقتضاهـا، و الألم يتولـد من بينهما؛ و النار أيضا إنما تؤلم للمضادة، فإن الملائم للترکيب بقاء الاتصال. و النار تضاد الاتصـال بـالتفريق بين الأجزاء. و لو لم يکن قـد رأيت النار، و سـمعت بأن شـيئا لطيفا لیّنا يماسّ بـدنک فيؤلمک، لاسـتنکرته و قلت: شیء لاـ صـلابة فيه کيف يؤلم بـاللمس؟ و اعلم أن التضـاد مؤلـم، سواء کـان بسـبب خارج أو داخل؛ فإن سمّ العقرب فی العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البـدن. فلا تظنن أن الآلام کلّها تـدخل من خارج. فإن قلت: إن العقرب إنما لـدغت من خارج فاعلم أن ألم السّن و ألم العين لا يقصـر عنه، و إنما سببه انصباب خلط داخل مضادّ لمزاج العين و السن. و ليس ذلک بأهون من لدغ العقرب و الحية. و اعلم أن تضادّ الصفات فی القلب، يؤلـم القلب إيلاما لا ينقص عما يؤلـم السن و العين، و مثاله فی أضعف الصفات، أن البخيل المرائی إذا طلب منه عطيـة علی ملأـ من النـاس عنـد من يريـد أن يعرفوه بالسـخاء؛ يتـألم قلبه لتضـادّ صـفتين، إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطی، و حب الجـاه يتقاضاه أن يعطی، و قلبه بين هاتين الصـفتين کشـخص ينشـر بمنشار بنصـفين. فهـذا مثال حسـرة الفوت و عظمها بقـدر ما ينکشف من جلالـة قـدر الفائت، و لا تعلمه بالحقيقة فی هذا العالم بل فی عالم الکشف، و هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون. و اعلم أن هذه الأصـناف الثلاثة، لها ترتيب: فالصـنف الأول الذی يلقاه الميت المعذب، هو حرقة فرقة المشـتهيات، و ذلک الاربعين فی اصول الدين، ص: ۱۸۰ تنين حب الدنيا و لذلک أضيف ذلک إلی القبر؛ و إنما سبق هذا لأن أغلب الأشياء علی قلب الميت فی الحال فراق مـا يفوته فی الـدنيا من جـاه و مـال و منصب و نعمـة، ثم بعـد ذلـک ينکشف له أرواح الأعمال و حقائقها القبيحـة. و ذلک عند الانغمـار التـام فی الموت، و بعـد العهـد بغشاوة صـفات الـدنيا. و کل ما کان أعقابه بعـد الموت أشـد، فهو للکشف أقبل، فيفيض عنه ذلک عليه الخزی و الفضـيحة، و لـذلک أضـيف هـذا إلی القيامـة، لأنه وسط بين منزل القبر و بين دار القرار؛ و لذلک قال اللّه تعالی: يَوْمَ لاـ يُخْزِی اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم: ۸]، أی يوم القيامة. و أما حسـرة فوت المحبوبات، فيسـتولی عليه آخرا عند القرار فی النار، ففيها يقول: أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [الأعراف: ۵۰]. و ذلک أن بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع إليها. و طول العهد بالکشف يوجب خروجه عن خزی الافتضاح، فإن سورة عذاب الخزی تکون عند هجوم الافتضاح، ثم يألف الفضيحة و الخزی إلفا ما، ثم عند فتورهما قليلا، تنبعث حسرة الفوت، إذ يظهر جلالة الفوائت، ثم تبقی حسرة الفوت آخرا، و يشبه أن

یکون ذلک لا آخر له. و هـذا کله تعرفه قطعا، إذا عرفت نفسک، و عرفت أنک لا تموت، لکن تعمی عینک، و تصم أذنک، و تفلج أعضاؤک. فأما الحقیقـة التی أنت بها أنت، فلا تفنی بالموت أصـلا، بل یتغیر حالک فقط، فیبقی معک جمیع معارفک، و إدراکاتک الباطنـة، و شـهواتک، و إنمـا تعـذبک بفراق مـا أحببت، و افتضاحـک بظهور مـا ینکشف فی تلـک الحال، و تحسـرک علی فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله، و هذا کله مقدّمات العذاب الحسی البدنی، و ذلک أیضا حق و له میعاد معلوم، کما ورد به الآی و الأخبار. فاقنع الآن بهـذا القـدر، فإن هذا الکلام یکاد یجاوز حد مثل هذا الکتاب، و لا بد و أن یحرک سلسـلة الحمقی الجاهلین؛ و لکنهم أخس من أن یلتفت إلیهم؛ قـال اللّه تعـالی: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّی عَنْ ذِکْرِنـا وَ لَمْ یُرِدْ إِلَّا الْحَیاةَ الـدُّنْیا، ذلِکَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [النجم: ۲۹، ۳۰]. فلنقتصـر علی هـذا و لنختم به أصول الأربعین لنختم به کتاب جواهر القرآن. و من الاربعین فی اصول الـدین، ص: ۱۸۱ طلب مزیدا علی هذا فلیطلبه من کتاب ذکر الموت من کتب الإحیاء. فالغرض الأظهر من هذا الکتاب، التلویحات مع التشویق إلی الاستقصاء المذکور فی ذلک الکتاب، ففیه تنکشف أسرار علوم الدین، و لا یفتر عن طلبه إلا مشغوف بالدنیا لا یطلب من العلوم إلا ما یتخذه شبکة للحطام، و آلة لکسب الحرام، فلا یناسبه علوم ذلک الکتاب أصلا البتّة. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۸۳

خاتمة فی مناظرة النفس

خاتمـة فی مناظرة النفس اعلم أنا قد نبهناک و شوقناک، فإن أعرضت عن الإصـغاء أو أصـغیت بظاهر قلبک، کما تصـغی إلی الکلام الرسـمی، فقد خبت و خسـرت، و ما ظلمت إلا نفسک: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُکِّرَ بِآیاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِیَ ما قَدَّمَتْ یَداهُ، إِنَّا جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً، وَ إِنْ تَـدْعُهُمْ إِلَی الْهُـدی فَلَنْ یَهْتَـدُوا إِذاً أَبَداً [الکهف: ۵۷]، و إن أصغیت إصغاء ذی فطنة و بصـر حدید، و تفکرت تفکر من له قلب عتید، و قد ألقی السمع و هو شهید، فاخرج عن جمیع ما یصدّک عن سلوک الصراط المستقیم، و مـا یصـدّ عنها إلا حب الـدنیا و الغفلـة عن اللّه تعالی و الیوم الآخر. و اجتهـد أن تفرغ قلبک کلّ یوم ساعـة عقیب صـلاة الصبح، و ذلک عند صفاء الذهن؛ فتتفکر فی شأنک و تنظر فی مبدئک و معادک، و تحاسب نفسک، و تقول لها: إنی مسافر و تاجر، و ربحی سـعادة الأبد و لقاء اللّه تعالی، و خسرانی شقاوة الأبد و الحجاب عن اللّه تعالی، و رأس مالی عمری. و کل نفس من الأنفاس کنز من الکنوز، و جوهرة من الجواهر، إذ تجارته به سـعادة الأبـد، و أی کنز أعظم من هـذا! و إذا فنی العمر انقطعت التجارة و حصـل الیـأس. و هـذا الیوم یوم جدیـد قـد أمهلنی اللّه تعالی فیه، و لو توفانی لکنت اشـتهی أن یرجعنی إلی الـدنیا لأعمل صالحا، فاحسبی یا نفسـی أنـک توفیت و رجعت إلی الـدنیا یومـا واحـدا، و اجتهـدی فی هـذا الیوم الواحـد، و انظری لنفسـک، فإن لم تمهلی للغـد فقد اسـتوفیت ربـح هـذا الیوم و لم تتحسّـری، و إن أمهلت فاسـتأنفی للغـد مثل ذلک و لا تخـدعی نفسک بتمنی العفو، فإن ذلک ظن قد یکذب و لا ینفع التحسّـر. ثم هب أنه قد عفی عنک، أ لیس قد فاتک ثواب المحسنین؟ و ناهیک به حسرة الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۸۴ و ندامـة! فـإذا قـالت نفسک ماذا أعمل و کیف أجتهـد؟ فتقول: اترکی ما یفارقک بالموت، و الزمی بـدّک اللّازم و هو اللّه تعـالی، و اطلبی الأنس بـذکره. فإذا قالت: فکیف أترک الـدنیا؟ فقـد اسـتحکمت علائقها فی قلبی فتقول: أقبلی علی قطع علائقها من باطن القلب، کما أعلمناک فی الأصول العشـرة من المهلکات. ففتشـی عن أغلب علاقـة من علائقها من حب مال أو جاه أو حسب أو عـداوة أو شـهوة بطن أو فرج أو غیر ذلـک من المهلکات. فلیس إلا أن یتفکر فی عظم آفاتها و إهلاکها إیاک، فتنبعث لمجاهـدتها و مخالفـة مقتضاها، فقـد تخلصت منها و أیـدک اللّه بتوفیقه و معونته. فقـدّری أنک مریضـة العمر مدة الحیاة، و قد أنبأک طبیب تظنین صـدقه أن ملاـذّ الأطعمـة تضـرک، و أن الأدویـة البشـعة تنفعـک، أ لست تتصبّرین بقوله علی مرارة الـدواء طمعا فی الشـفاء؟ أ لسـت تتصبّرین علی الکـدّ و التّعب فی السـفر الطویل طمعا فی الاستراحـة فی المنزل و أنت مسافرة و منزلک الآخرة؟ و المسافر لا یستریح و یتحمل التعب و الکـدّ، فإن استراح انقطع فی الطریق و هلک. و یقول یا نفس: ما الـذی تطلبین من الـدنیا إن طلبت المال و وجـدته، و هیهـات، فتکون فی الیهود جماعـة أغنی منـک. و إن طلبت الجـاه و نلت، و هیهات، فیکون فی أجلاف الأتراک و حمقی الأکراد من

يستولى عليك، و يكون جاهه أعظم من جاهك. فإن كنت لا تدركين آفة الدنيا و شدة عذابها فى الآخرة و بلائها، أ فلا تترفعين عنها لخسة شركائها؟ أما تعلمين أنك لو أعرضت عن الدنيا، و أقبلت على الآخرة، كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد فى الأقاليم نظيرك؟ و إن طلبت الدنيا كان فى اليهود و الحمقى من سبقك بها؛ فأفّ لدنيا سبقك بها حمير! فتفكرى يا نفس، و انظرى لنفسك، فلا ينظر لك أحد غيرك. و كذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم إلى اللّه تعالى. فهذه المناظرة أهم لك- إن كنت عاقلا- من مناظرة الحنفية و الشفعوية و المعتزلة و غيرهم. فلم تعاديهم و تجادلهم و لا يضرّك خطؤهم و لا خطأ غيرهم، و لا- هم يقبلون منك و لا- أنت تقبل منهم الصواب، و إن صار أظهر من الشمس، و تترك أعدى عدوّك بين جنبيك لا تنازعه و لا تناظره، بل تساعده على ما يطالبك به من شهواته الباطلة الباطنة، فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل لقضاء الشهوة! هل هذا إلّا عين الانعكاس و الانتكاس الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۵ على قمة الرأس؟ فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات و عقارب أقبلت عليه لتهلكه، فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره؛ فهل يستحق من يفعل ذلك إلا الخزى؟ فاعلم أن هذا حالك فى اشتغالك بمناظرة غيرك، و إعراضك عن مناظرة نفسك. و فى هذا المعرض ينكشف لك روح عملك، يوم تبلى السرائر، كما نبهتك على كيفية مكاشفات الآخرة بأسرار الأعمال و أرواحها. و ما لم تناظر نفسك مدة طويلة، لا تخليك لمناجاة ربك و ذكره و الإقبال عليه. ثم طريقك مع النفس- إذا خالفتك- أن تعاقبها بما يزجرها، و تعلم أنها كالكلب، لا يتأدب إلا بالضرب. و إن أردت أن تتعلم طريق مناظرتها و مراقبتها و محاسبتها و معاقبتها، فاطلبه من كتاب المحاسبة و المراقبة، فإن هذا الكتاب لا يحتمله؛ و اللّه تعالى يوفقنا و إياك بفضله و جوده و كرمه. [انتهى] الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۷

الفهرس الموضوع الصفحة

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی

تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷. مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز" القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبّاب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَى ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلةَ السَّنَةِ المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.